٢١٤

الحمد لله واهب حقوق العالمين والصلوة والسلام
على سيد المرسلين ...
وجميع اصحابه من الانصار والمهاجرين وتابعيهم
الى يوم الدين ... واهب العطية على عبده احمد
اسمعيل اغا ... ما اراده

T.C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 158/1

سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٦	سورة آل عمران ٨٥	سورة النساء ١٢٠
سورة المائدة ١٥٦	سورة الإنعام	سورة الاعراف ١٩٨	سورة الانفال ٢٢٦
سورة التوبة ٢٣٨	سورة يونس ٢٥٧	سورة هود ٢٦٩	سورة يوسف ٢٨٥
سورة الرعد ٣٠٥	سورة ابراهيم ٣٠٩	سورة الحجر ٣١٧	سورة النحل ٣٢٣
	سورة الاسرى ٣٣٥	سورة الكهف ٣٥٠	

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد
مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره
آيات وميزهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدئ مبدع وسمات منشئ
مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم
انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي
عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا
باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد
للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض
من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم
عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة
والمعارة وبذلهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط
ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف
آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان لم يمضه الحجة
حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد
اشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من دعا الخلق الى الله ابي القاسم محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف

قصي

قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل
وعلى آله الأطهار وخلفائه من الأختان والأصهار وعلى جميع المهاجرين والأنصار اعلم أن متن كل
علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية إن
سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة
قصيرة وإنما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل
عظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد وترقى إلى أن عد ألف بواحد
ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر
ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم وإلا واسطتهم
وفصهم وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم
وإطلاقهم ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح من غرائب
نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة
النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى
والأحكام والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان
من ابن القرية أحفظ والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ والنحوي وإن كان أنحى
من سيبويه واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك
الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم
المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما أزمنة وبعثته
على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله
بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات
طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع إليه ورد ورد عليه فارسا في علم الإعراب مقدما في حملة
الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان
النفس دراكا للمحة وإن لطف شأنها منتبها على الرمزة وإن خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا
غليظا جافيا متصرفا ذا دربة بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد
علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقه ووقع في مداحضه
ومزالقه ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم
العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا
في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا إلى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا إلي
مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل
فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد

والذي حداني عن الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه علي واجبة لأن الخوض فيه كفرض العين
ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم فضلاً
أن تترقى إلى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة
من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب
وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً ينتحونه ومثالاً يحتذونه
فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في
مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى متطلعين
إلى إيناسه حراصاً على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت
الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الأمير الشريف الإمام شرف آل رسول
الله أبي الحسن علي بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم
وجموم مناقبهم أعطش الناس كبداً وألهبهم حشاً وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه
في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة
علينا بخوارزم ليتوصل إلى إصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفي الحيل وعيت
بي العلل ورأيتني قد أخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة
الرقاب فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر
ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين
سنة وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت علي من بركات هذا الحرم
المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني ونوراً لي على الصراط يسعى بين
يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لأنها نزلت
بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من
الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبد بالأمر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة
الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لأنها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لأنها
تكون فاضلة أو مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق
إلا أن منهم من عد أنعمت عليهم آية دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس **بسم الله
الرحمن الرحيم** قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من
الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ
بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم
في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة
وعليه الشافعي وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف
مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها وعن ابن عباس رضي
الله عنه من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله فإن قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف
تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل وارتحل فقال بسم
الله والبركات كان المعنى بسم الله أحل وبسم الله أرتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم
الله كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات
إلى فرعون وقومه أي اذهب في تسع آيات إلى فرعون وقومه وكذلك قول العرب في الدعاء
للمعرس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست ونكحت ومنه قوله فقلت
إلى الطعام فقال منهم فريق نحسد الإنس الطعاما فإن قلت لم قدرت المحذوف متأخراً قلت
لأن الأهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم فيقولون
باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء
وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص
والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها فإن قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت
هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم فإن قلت ما معنى
تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت
بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتداً به في الشرع واقعاً على السنة حتى
يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وإلا كان فعلاً كلا فعل
جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق به تعلق الدهن بالإنبات
في قوله تنبت بالدهن أي متبركاً باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس
بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن فإن قلت
كيف قال الله تعالى متبركاً باسم الله أقرأ قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر
على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده
كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت من حق حروف المعاني التي
جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء
وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام
فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء
العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم
بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة
ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم
من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم وقال باسم الذي في كل سورة سمه

وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سِمْوٌ بدليل تصريفه كأسماء وسُمَيّ وسميت
واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز
بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت
في قوله باسم ربك قلت فيها اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط
لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال
لكاتبه طوّل الباء واظهر السينات ودوّر الميم والله اصله الاله قال معاذ الاله ان تكون كظبية
ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطّلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة
وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء
الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم
اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب
على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم
اشتق تألّه وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فان
قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله
كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خيّر وايضا فان صفاته تعالى
لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف
بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا
معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما
معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك
كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قيل هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج
ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر الرحمن
فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم
من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة و
رحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ
غضبا ومما طنّ على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب
خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت
المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد
في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل
في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن
اليمامة وقول شاعرهم وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان

قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني عطشان وغرثان
وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى و
اختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك
ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن
لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو
القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم
لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان
قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم
فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها
واصولها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد والمدح اخوان
وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته
واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده وهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلم الحمد رأس
الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها
وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف
عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر
نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم
باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا و
كفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون
بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن
النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال
سلام رفع الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على ثبات
معنى السلم لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه
بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف
في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك
ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله
بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما
على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة

كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشف القراءتين قراءة ابرهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة
للاعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي سفين لأن يربني
رجل من قريش أحب الي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه
ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله
وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى
ربك انه ربي أحسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما
دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل
ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير
صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى
الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام
وقرأ أبو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة مالك بالنصب وهو نصب
على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم
ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان
وبيت الحماسة شعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم
الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل
الدار والمعنى على الظرفية والمعنى ملك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم
الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما
تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال والاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك
الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك
العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز
ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل
عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه
ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة و
الباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة
على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد
احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف
والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب
كما لا محل للكاف في ارأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه
الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم

المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى افغير الله تأمروني أعبد قل أغير الله أبغي ربا والمعنى نخصك
بالعبادة ونخصك بالمعونة وقرئ ياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد
وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي شعر فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده
ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة
اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم
النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب
قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن
الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات شعر تطاول ليلك بالاثمد ونام
الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبا جاءني
وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل
من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه
على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد
واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع
والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته
نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له
لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع
ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على
الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت
الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة
ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما
كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان
يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم
فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة
الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما
يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط
السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء
كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاء وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص

الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله تعالى عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضي هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود رض صراط من انعمت عليهم **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف يصح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم ولا الضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي ابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي انهما قرا وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة **امين** صوت سمي به الفعل

الذي

الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله عليه السلام عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال **شعر** ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال **شعر** امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عليه السلام لقنني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله عليه السلام وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي عليه السلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله عليه السلام انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى اداء ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فقلت ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف

دلالته على اوسط حروف قال مقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين
الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة
كقولك بانا وبالتفخيم كقولك باها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد
والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك
قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في
ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال
اقول كه وبه وذكر ابو علي رحمه الله في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء
فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا
الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما تلفظ بها فان قلت من اي قبيل
هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما
من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف و
ليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه
باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت
فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة و
مدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان
قلت قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الخلو لاجل
الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق
الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف باب
اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني
ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على
زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان تفتح نونها
وتصير ميما مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع
الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي
شعر يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا
كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء
بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت
سورة انزلناها وقال شعر وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة
سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الآخر تنادوا بالرحيل غدا

وفي ترحالهم نفسي ويروى منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا
من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف
ونون مفتوحات قلت الاوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع
الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس
ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء
الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب
قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال
فعل القسم وقال ذو الرمة شعر الا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك امانة
الله الثريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين
قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار
اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان
تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت
للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه
بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقوله بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان
تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي
ثم حياتك لافعلن فثم هاهنا بمنزلة الواو وهذا لا سبيل فيما نحن بصدده الى ان يجعل الواو للعطف
لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم
الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة و
الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده
ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله تعالى بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم
صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك
ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة
معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة
من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين
كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم لا ينصرون فيصلح ان
يقضى له النصب والجر جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السورة بهذه الالفاظ خاصة
قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ
كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور

واحدًا الا انها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين
مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا
والوجه الثالث ان ترد السورة مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب
وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم
واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان
مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن
اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة
بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها
من واحد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله سبحانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف
اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء
والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا
نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من
المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم
والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والطاء والكاف و
القاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون و
من المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف و
الهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء
ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي
الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت
في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل
واختصاراته فكأن الله عز وعلا عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما
ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا
في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين
وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد و
يونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما بالها
جاءت متفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير
وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد

اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب
اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة
في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة ألسن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة
لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفردا لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد
اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك
بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبيد
الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف
لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون
ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة
نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن
ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في
اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ
التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع
وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من
القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة ولناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا
في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة
اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى
صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده
اجابك بان له محملا سوى ما ذهبت اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول
الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور وهذه الآي وانما
تعني به رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام
على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة
وللمجيب لاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكر لعمري وخروج عن كلام
العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها
لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا تأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد
منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة
من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم

ذكر مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان
قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه
وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص
وحمعسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى
ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك
بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت
بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان
تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت
ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم
سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه
القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح اية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال
للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك
المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان
وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ون
ثلاثتها لم تعد اية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها اية فان قلت فكيف
عد ما هو في حكم كلمة واحدة اية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها ايتين على طريق
التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التام اذا حملت على معنى مستقل
غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها
اخبار ابتداء محذوف كقوله عز من قائل الم الله اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان
قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر
الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب و
الجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور
ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد
ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث
ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا
بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد
البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي
وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من

ان تجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في
التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به
الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفته تقول هند ذلك الانسان او ذلك
الشخص فعل كذا وقال الذبياني نُبِّئتُ نُعماً على الهجران عاتبةً سقياً ورعياً لذاك العاتب
الزاري فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي
التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه
ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستأهل ان يسمى كتابا
كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما
قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفته ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود
وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته و
ان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ
خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل والكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر
مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا
ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس
واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله عليه السلام قال دع ما يريبك الى ما لا
يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له
النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق
النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه عليه السلام مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء
فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا
لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان
بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من
مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم و
يروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس
فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله
لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب
كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه
كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي
كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها
وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع

عاطفتهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى. الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وآله من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده. والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا

بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الا ترى كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وآله الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا واستغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضلهما على سائر الحسنات واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد

عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت وحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب
صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب
كقوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب
عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله عليه السلام وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي
لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بالغيب ثم قرأ هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته
صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب
الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة كما قال تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن
من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة
التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل
قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه
نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك
نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد و
الوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح
قلنا ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة
الصلاة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا
قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على
صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات
ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد
والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب
على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء
بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا
سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من
زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه
وسجوده ونظيره كفّر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين
وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق
الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه
وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة

على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجاز ان يراد به الزكوة المفروضة
لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير
لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء
ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك
اذا تاملت **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم
يوقنون** فان قلت والذين يؤمنون ام غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف
كما توسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم وقوله شعر يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل
ان يراد هؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم
على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات
واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين
منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه
آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد
والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه ولا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع
اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف
عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات
وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين قلت ان عطفتهم
على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب
وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون
بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم
يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد به المقدار الذي سبق
انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب
قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما
لم يوجد كما يغلب المتكلم والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت وزيد تفعلون
ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله
ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا
ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا
وهو نادر ولانه بهذا الماضي منه يحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا

علة عدم ارادة الماضي فقط سعد

اليه بما صيته وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته
وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من
قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي
هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله وتلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة
وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام دابة الارض وقرئ
ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه
ووقتت ونحوه قال شعر لحب المؤقدان الى مؤسى * وجعدة اذ اضاءهما الوقود *
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون
بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون
بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون
بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله
الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها
خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم
اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك
احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل
للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على اولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات
قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس
بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم ما
استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة
احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصوف الاول
على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى
والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة محمد صلعم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم
ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله
اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم * ولله صعلوك * ثم عدد له خصالا
فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله شعر فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه * وان عاش لم يقعد
ضعيفا مذمما * ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل

وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال
الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه
قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي * فلا وابي الطير المربة
بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم * والنون من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة
ويزيد وورش في روايته والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي
عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح
فجعل كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حالها فان
قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما
متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة
لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وفائدة هم الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة و
التوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل
زيد التائب اي هو الذي قد اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا
ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف
المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا
وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على
الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من
صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم
والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى
ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لما قدم ذكر اوليائه
وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف
لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضداده وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم
ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان

قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين الآيتين وزان ما ذكرت لان الاولى
فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم
كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف
فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين
ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام
المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في
حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في
الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد
بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم
ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء
وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به
على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم ابوه وابن عمه او
يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة
خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور
فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا
من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان
ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما
معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك جرى على صورة
النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما
الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين و
التخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول
فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده
وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله ولا الضالين وخويصة والثاني اخطاء
طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو
تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي

فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض ختم الله
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم الختم والكتم اخوان لان في
الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء
فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم
على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون
من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا
يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو
عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله
المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل
بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها
وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل
بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال شعر [illegible] فان قلت فلم اسند
الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله
يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله تعالى
وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك
مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز و
جل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا
ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل
ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك
الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به
الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في
طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به
العنقاء وكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب
الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر
ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله
وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم
الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل
والمفعول به والمصدر والمكان والزمان والسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند
الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي

الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل
مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر
ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب
وقال اذا ردّ عافي القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله لما كان هو
الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع
والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها
لم يبق بعد استحكام العلم الا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ان يؤمنوا الا القسر والالجاء
فاذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف
عبّر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه
الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم
في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل
ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم
لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت
اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة
وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن
في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم
وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح
الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ
ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف
الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك
اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات
كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما
آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح
والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا
والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه
العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ
العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا

اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا
تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية
غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا
يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا
خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين
وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك
استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال
الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم
واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال
الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة
واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم
لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون
اي يبصرون كما سمي الجن جنا لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ونوس ناس فعال لان الزنة على
الاصول الا ترى انك تقول في وزنه فعال وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال
واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز
ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كأنه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد
الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قوله
نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كأنه قيل ومن الناس ناس
يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم
الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت
الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا
للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان
يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك
المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص
بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في

لخبث نياتهم في الدعاء لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم
عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا
بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه
النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمؤمنين
واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى
كفر وايضا فقد قصدوا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه
واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على جهة
الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول
في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار
ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة
ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم
من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم انهم في انفسهم على هذه الصفة
فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت
ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما
يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد
التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط
لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر قلت
يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات
المنقضية وان يراد به الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده يخادعون الله والذين
آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد
به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله
عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم
الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز
ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله شعر واستمطروا من قريش كل منخدع
وقول ذي الرمة شعر ان الحليم وذا الاسلام يختلب وقد جاء النعت بالانخداع
ولم يأت بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث
يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر
باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار

صنع الخادع وكذلك صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامه عليهم والثاني
ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان
بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل
القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز
ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه و
الناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم
بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله الرابع ان يكون من قولهم
اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله ان الذين يؤذون الله ورسوله اخوانه ضوع و
كذلك الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه
احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر
زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت
وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة
قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون
بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم
في ذلك فقيل يخادعون فان قلت فعم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن اغراض لهم
ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها
اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من
المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى
منابذيهم فان قلت فلم اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم
لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته
وممارستهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه
تعالى من المصلحة فان قلت فما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول
فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرر راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد
حقيقة المخادعة وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها
به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون

وما يخدعون ويُخدعون من خدع ويخدّعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدّعون
ويُخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشئ وحقيقته يقال عندي كذا نفساً ثم قيل للقلب
نفس لأن النفس به ألا ترى الى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لأن قوامها
بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عينه
أصيبت نفسه لقولهم صيد الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان
لا يدري على ايهما يعرّج كأنهم أرادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين لصدورهما عن النفس
واما لأن الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه الآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين
والمراد بالأنفس هنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم
الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز أن يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم
الشئ علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم
لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا
يكذبون واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازاً فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول
في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل
الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة
شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء
الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين غلاً وحنقاً ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء
من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسداً ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك
بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله عليه السلام اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله
لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله
ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك ويراد ما داخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم
كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه
يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله تعالى على رسوله النصر واظهار
دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف
الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله
عليه وآله نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله
الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكأن الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا
للفعل الى المسبب كما أسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا وكلما ازداد رسوله
نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم

ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءه وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بالمرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به كقوله شعر تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته و تخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشئ على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم عليه السلم انه كذب ثلث كذبات والمراد به التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابى بكر وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشئ وبيّن وقلص الثوب وقلّص او بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ

واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشئ عن حال الاستقامة وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية و الدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم و اغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شئ كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم و تمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا

لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين و
طلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة
المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين
الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون نصحوهم
من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني
تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان
سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة
فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما
لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل
واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه زعموا
مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما او مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد
اي كما آمن الرسول ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من
جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون
في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين
الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس
كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي
تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت
لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر
وانصاف انفسهم اعتقدوا سفههم ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان
اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا
عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم
قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة
العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان
امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى
يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر
دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان
بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه
فكان ذكر العلم معه احسن طباقا قال الله **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم**

يعمهون مساق هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان
مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم و
الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم
صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد
ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني
هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت
ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقيّ ومراقيّ وقرأ ابو حنيفة
واذا لاقوا خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك
ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك
خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم
بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل
سيبويه نون الشياطين في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن
اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل
انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم
بالجملة الاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم
في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق
فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا
كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه
على لفظ التاكيد والمبالغة فكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين و
الانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا
واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر و
البعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك
فهو رائج عنهم متقبل منهم وكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما
نحن مستهزءون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله
انما نحن مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع
لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر

استيناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا لهم فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية بمن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة والاستخفاف شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد تحقير شأنهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه تجرى عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدأ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله تعالى هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحقه بما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلنا اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في

قلوب المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل وتعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اى نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأى والعمه في الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه

اخذت بالجمة راسا ازعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على الهدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضهم كأنه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران

الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازى وهو ان يسند الفعل الى شىء يتلبس بالذى هو
فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على
الاسناد المجازى قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رايت اسدا وانت تريد
المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا
فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة
البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال
لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز
المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كان اذنى قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا
ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا
يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه شعر ولما رايت النسر عز ابن داية
وعشش فى وكريه جاش له صدرى لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم
بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم فى امه شعر فما ام الردين
وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع فى قفاها تنفقناه بالحبل
التؤام اى اذا دخل الشيطان فى قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى
المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا فى ازالة غضبها واماطة ما يسوء
من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفيق ثم الحبل التؤام فكذلك لما
ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه تمثيلا
لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
قلت معناه ان الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين
لم يبق فى ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به
من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله
قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح
فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان
ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفى فى ابراز
خبيات المعانى ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم
فى معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح
الابى ولامر ما اكثر الله فى كتابه المبين وفى سائر كتبه امثاله وفشت فى كلام رسول الله
وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها

إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المِثْل وهو النظير يقال
مِثْل ومَثَل ومَثيل كشِبْه وشَبَه وشَبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل
ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة
من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه
قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن
وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة
التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في
بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في
التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مَثَلة في
الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فإن قلت كيف مُثّلت الجماعة بالواحد قلت
وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين
ولم يجز وضع القائم مقام القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه
وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق
بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا على اللام وحدها
في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك
علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو
قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم
لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد
ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون إليك نظر المغشي عليه
من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل إذا صعد وعلا
والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها
من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق
ذلك قوله وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير
متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده
قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو أن يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل إشراق
ضوء النار حوله بمنزلة إشراق النار نفسها على أن ما مزيدة أو موصولة في معنى الأمكنة وحوله
نصب على الظرف وتأليفه للدوران والإطافة وقيل للعام حول لأنه يدور فإن قلت أين
جواب لما قلت فيه وجهان أحدهما أن جوابه ذهب الله بنورهم والثاني أنه محذوف كما حذف في

قوله فلما ذهب الله وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس للدال عليه وكان الحذف
اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو
ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام
متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب
محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت بكون الكلام مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال
المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل
له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير
في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى
الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت
فما اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي
ريح او مطر فقد اطفأها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد
في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة
للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة
بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفأها الله وخيب امالهم فان قلت
كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة
المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت
قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب
بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه اصلا الا ترى كيف
ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف
نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا
يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل
ولريح الضلال عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه و
ذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به
معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت
به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب
وقرأ اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك
ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة
فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات اصلهم في ظلمات

دخل بذلك فى صنف الجرمين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافى النور واشتقاقها من
قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية و
قرأ الحسن ظلْمات بسكون اللام وقرأ اليمانى فى ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من
يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذى لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوى
كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون فى قوله ويذرهم فى طغيانهم يعمهون فان قلت
فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت فى انهم غب الاضاءة خبطوا فى ظلمة وتورطوا
فى حيرة فان قلت واين الاضاءة فى حال المنافق وهل هو الا حائر خابط فى ظلماء الكفر قلت
المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء اضاءتهم
بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التى ترمى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز
ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين
واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمى وفى الاية تفسير اخر وهو
انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذى
باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التى اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب
الله بنورهم وتركه اياهم فى الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا
عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما
ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التى بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله شعر صم اذا
سمعوا خيرا ذكرت به ۞ وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا ۞ اصم عما ساءه سميع ۞ اصم
عن الشئ الذى لا اريده ۞ واسمع خلق الله حين اريد ۞ فاصممت عمروا واعميته عن الجود
والفخر يوم الفخار ۞ فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث
للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا فى الصفات وذاك فى الاسماء وقد جاءت الاستعارة
فى الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ورأيت صما عن الخير ودجا الاسلام
واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما فى الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته
تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق
حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول
اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير شعر لدى اسد شاكى السلاح مقذف ۞ له لبد
اظفاره لم تقلم ۞ ومن ثمة ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن
توهمه صفحا قال ابو تمام ۞ ويصعد حتى يظن الجهول ۞ بان له حاجة فى السماء ۞ ولبعضهم
لا تحسبوا ان فى سرباله رجلا ۞ ففيه غيث وليث مسبل مشبل ۞ وليس لقائل ان يقول
طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه فى حكم

المنطوق به نطيق فول من يخاطب الحجاج شعر اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها
تسجيلا عليهم بالطبع واراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون
ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله تعالى في شانهم بتمثيل
اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز
ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ شعر
يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء
ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام ممسى بالوحشي اكرعه
اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا
واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه بالتمثيل الثاني
بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق والصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام
بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وما يصيبهم من الافزاع والبلايا والفتن من
جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء
على هذه الصفة فلقوا ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات
وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات
ولا المسيء وفي قول امرئ القيس شعر كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين
جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به
وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من
بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذلك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القران
وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا
باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية والغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما
معها من التوراة واياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي
الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه
من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

زهرة الدنيا كالنبات الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيّرة شيئاً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه
من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها
في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
فان قلت الذي كنت تقدره مثله في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل
ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم
ما يرجع اليه لكنت مستغنياً عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي
أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية
كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الحيوة الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما
هو بيّن في هذا قول لبيد شعر وما الناس الا كالديار واهلها • بها يوم حلوها وغدواً بلاقع
لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل
الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خالية خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني
لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من
الأهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها
لتساوي شيئين فصاعداً في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك
نحو قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا
تطع منهم آثماً او كفوراً اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهم فكذلك قوله او كصيب
من السماء معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين
سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها
بهما جميعاً فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل من صاب يصوب ويقال للسحاب صيب ايضاً
قال الشماخ • واسحم دان صادق الرعد صيب • وتنكير صيب لانه اريد نوع من
المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ او كصائب والصيب ابلغ و
السماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء ما الفائدة في
ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان
يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان
كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله • ومن بعد ارض
بيننا وسماء • والمعنى انه غمام مطبق آفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من
جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقاً وفيه ان السحاب من السماء ينحدر
ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء

السماء من جبال فيها من برد فان قلت بما ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده
على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن اجرام السماء تضطرب وتنتقض
اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق
الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به
السحاب والمطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا
فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر
مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين
في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغل جرمه
فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري شعر يا عارضا متلفعا
ببروده * يختال بين بروقه ورعوده * وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان
ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما
بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق
وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية و
رعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه
محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف معناه وان سقط
لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله شعر يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل * حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله
يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن
قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف
حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هو
الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر
يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى
المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان
قلت فالاصبع الذي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت
لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها
فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات
قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك

يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم
مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
ان الله على كل
شيء قدير

سقاه من الغيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها
سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى
وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء
في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه
وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما
في التصرف وبناؤها ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية
او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله
شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره ٭ والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد
يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح
الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي
يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم
استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا
تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل
بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم
انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين
متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم
واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما
غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده
قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا
ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم
حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر
وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله
وجاء في شعر حبيب بن اوس شعر هما اظلما حالي ثمت اجليا ٭ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله

بمنزلة ما يرويه الأبري الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقفون لذلك بوثوقهم
بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء وقامت السوق اذا ركدت
وقام الماء اذا جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله
ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون
المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله شعر فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا
ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد و
ابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لأذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري
اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من
قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض
والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف
قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط
في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء
كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم
يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق
القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما
عدد فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما
اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو
من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز و
تحريك من السامع كانك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت
وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك
ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك
نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء و
اوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على
لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع
ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس
فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة
ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله
اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي

به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي
يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه
لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما
لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه و
ابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء
الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه
اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو
اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك
من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة
بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا
مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره
قلت لاستقلاله باوجه من التأكيد واسباب المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه
وزواجره وعظاته ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق
به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها
وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من
ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة و
الحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل شعر فلو
اني فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون
فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة
الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلوة شرائطها من الوضوء
والنية وغيرها وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا
به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم
ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الامر بالعبادة والامر
بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان
المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم
يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي
خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم
صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا
ان الاول اوضح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها

بالغيب وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وقرأ زيد بن علي والذين من قبلكم
وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما
اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة
في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى
لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين امنوا مشفقون منها وقد
جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القران ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا
اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال
ان لعل بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه
اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على
انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم
بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم ورد كلام
مالك الملوك ذي العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد
كقوله يا ايها الذين امنوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت
فلعل التي في الاية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم
لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب
والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في
الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف
وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين
ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم
ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين
ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو و
يختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم
دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي
ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا
ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما
لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك الا لجر الاثقال
ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع فقدم سبحانه من موجبات عبادته

وملزما من حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب
في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد
لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة
والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها
والاخراج من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك
معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم
الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها
لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا
المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما
ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الا
وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا ومهادا
وبساطا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه
ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس
يفترشونها كما يفعلون بالمفارش سواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة والافتراش غير مستنكر و
مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها فاذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من
اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان
او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته
قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان
ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء
الاشياء مدرجا من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته
والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون
الى عظم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من
الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان
المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا
من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى
لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات
ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان
كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت

فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل من الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد
بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة
لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع
من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو
مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر
اى اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله
ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اى خلقكم لكي تتقوا وتخافوا
عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اى هو الذي حفظكم
بهذه الآيات العظيمة والآيات النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند
المثل ولا يقال الا للمثل المناوي قال جرير شعر اتيما تجعلون الى ندا * وما تيم لذي حسب
نديد * وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا
ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها
بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها
وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته و
مضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم
بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل
حين فارق دين قومه شعر اربا واحدا ام الف رب * ادين اذا تقسمت الامور * وقرأ
محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم
وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال و
الاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا
ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن
الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه
آكد اى انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او
وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها
ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك

وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات
نبوة محمد عليه السلام وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزا واراهم كيف يتعرفون اهو من
عند الله كما يدعي ام من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا
طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون
الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا
نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل ووقوع الحوادث على سنن
ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا
فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان
شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه ورسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف
هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة
من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفترقات وهذه
غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله عليه السلام وامته
والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا
فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على
حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور
المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة شعر ولرهط حراب
وقد سورة * في المجد ليس غرابها بمطار * لان السور بمنزلة المنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شأنها
وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن الهمزة فلانها قطعة وطائفة من
القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن
وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل
والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون
في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع
واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بابا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم
سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه
لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد
نفس ذلك منه ونشط للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا وخموسا

ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة واعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها
فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رض كان
الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل
ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملائمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ
المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع **من مثله** متعلق بسورة
صفة لها اى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا و
الضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما
هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا
عربيا او اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه
نحو قول القبعثري للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد واحدا يجعله
مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر
سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على اصح الاساليب والكلام معه رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث
في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا ينفك عنه برد الضمير الى غيره
الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله تعالى فهاتوا انتم نبذا مما
يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلعم ان يقال وان ارتبتم
في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا
بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت باخر
نحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدنيء
الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة
بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان انحط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اى من ادنى
مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف
والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راءه بالثناء عليه انا دون ذلك وفوق ما في نفسك واتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين و
قال امية **شعر** يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنلها
لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه

ادعوا

ادعوا الذين تتخذونهم آلهة من دون الله وتزعمون انهم تشهد لكم يوم القيمة انكم على الحق
او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى **شعر** تريك القذى من دونها
وهي دونه اى تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي
امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم
بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم
الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية
والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة
المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء
فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد
ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه او ادعوا الشهداء
من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان
لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبث غير قولهم الله يشهد انا صادقون
وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل
عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من
دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين
اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من
الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو
في معنى قوله قل لئن اجتمعت الجن والانس الاية **لما ارشدهم** الى الجهة التي منها يتعرفون
امر النبي عليه السلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال
لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبتغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن
محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب ففيه دليلان على اثبات
النبوة صحة المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله
فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي
للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسبانهم وطمعهم وان العجز عن
المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام
والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه ان غلبتك
لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل
واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما

فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فيقول لم بئسما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وآله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه سمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط اي ليست حياته الا به فكأن نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله عليه السلام او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا

منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مأمور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه

عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين
كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف
على قوله فاتقوا النار كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني
إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار
بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر
فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني
أخبرني عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من
أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في
غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك و
منه قوله شعر فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف
الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الأعمال
بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد و
بينها داخلة على المجموع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط
به وأن يراد بعضه إلى الواحد منه لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول
الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة
من الأعمال الصالحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان
من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير شعر تسقي جنة سحقا أي
نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة
من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة
لما فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة
يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام
كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار
الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين
لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل
الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل
الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الله الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح
والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء
إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله
لنبيه صلى الله عليه وآله وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك ول

للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما
من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت
كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في
غير أخدود وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في
خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان
والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب
الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتا والسرور
الأوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى
بذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد
لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء
ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان
يطأهم الطريق وصيد عليه يومان فإن قيل لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار
قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد بها الجنس كما تقول لفلان بستان فيه
الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب أو يراد
أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا
أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير
طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف
أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات
أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه
ثمار الدنيا أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله فإن قلت ما موقع من ثمرة
قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من
الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير
ذلك رزقا فالواو ذلك من الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ
من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك
من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا
جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة
وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من
أنواع الثمار وعلى الوجه الآخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك

اسدًا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فإن قلت
كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي
رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها
وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فإن قلت إلامَ
يرجع الضمير في قوله وأتوا به قلت إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لأن قوله هذا الذي
رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا
فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى
المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر
الجنة لم يكن أجناسا أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل وإذا رأى
ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم
له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه
وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد
وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين
أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة
ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة
كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير
الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور
وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما و
ترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال
في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي
تبجحهم في كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت
ثمرة عاد مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز أن
يرجع الضمير في قوله وأتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة
يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي
أوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وآله والذي نفس محمد بيده
إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فإذا أبصروها
والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو فإن قلت كيف موقع قوله وأتوا به متشابها
من نظم الكلام قلت كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان
صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل

التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة
وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس
الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء
والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فإن قلت
هلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات
وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة شعر وإذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملّت والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد
بن عمير مطهّرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما أخرجني إلى بيت الله فاطّهّر به اطّهّرة
أي فأتطهّر به تطهّرة فإن قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة
وهي الإشعار بأن مطهرا طهرهن وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم
كل مزية فيما أعد لهم والخلد والثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس شعر ألا انعم صباحا أيها
الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت
بأوجال إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها سيقت هذه الآية لبيان
أن ما استنكره الجهلة والسفهاء وأهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون
المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل
إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم من الشاهد
فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في
المضروب به المثل إذا إلا أمرا استدعته حال المتمثل له واستجرته إلى نفسه فيعمل الضارب
للمثل على حسب تلك القضية ألا ترى إلى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور
وإلى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار
أندادا لله لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن
وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم
يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق
للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكيه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم
الإنصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل
علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين
غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون وعرفوا أنه الحق إلا أن
حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا يخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوا عاندوا وكابروا

وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى للمؤمنين واهلاك الفاسقين
عنهم فضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور و
احناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد
تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة
واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض
وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة
الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا يغني
استقامته وصحته على من له ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى متمسك بدليل
ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار
المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر
الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا
كلام الله فانزل الله هذه الاية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم
واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضا
جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا فلان هلك حيا
من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا
فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث
سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما
صفرا حتى يضع فيهما خيرا **قلت** هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا
من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي
اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه
العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت
به على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي
تمام **شعر** من مبلغ افناء يعرب كلها ❊ اني بنيت الجار قبل المنزل ❊ وشهد رجل عند شريح فقال انك
لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء
الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة
لامتنع تجعيدها ولله در التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها
فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه
شعر اذا ما استحسن الماء يعرض نفسه ❊ كرعن بسبت في اناء من الورد ❊ وقرأ ابن كثير في رواية
شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييته

واستحييت منه وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم و
في الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي
التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما
تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان
يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة
صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي
احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من
تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من
الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران
والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شأنها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل
بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما
تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى والله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح و
القيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه
القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا
او مفعول له ليضرب ومثلا حال من النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين فجرى ضرب
مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه
البعوض وانشد **شعر** لنعم البيت بيت ابي دثار ❊ اذا ما خاف بعض القوم بعضا ❊ ومنه بعض
الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش
فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو
القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم والثاني فما زاد عليها في
الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة
كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته بشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين
ونحو في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش
على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت
عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما من
مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا
الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه

فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين

فهو كفارة الخطايا حتى نخبة النمل وهي عضتها ونحيل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالجزء وكالحطب السقاط فإن قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وآله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها وربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا تكاد تجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم شعر يا من يرى مد البعوض جناحها ✽ في ظلمة الليل البهيم الأليل ✽ ويرى عروق نياطها في نحرها ✽ والمخ في تلك العظام النحل ✽ اغفر لعبد تاب من فرطاته ✽ ما كان منه في الزمان الأول ✽ وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه تأكيدا وأنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان أن تكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فتكون كلمتين وأن تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والأصوب في جوابه أن يجيء على الأول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خيرا أي المرئي خير وفي جواب الذي رأيت خيرا أي رأيت خيرا وفي قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب للحي حالا لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله تعالى فبعضهم على أن للباري صفة المريد منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه ولا مكره ومعنى إرادته لأفعال غيره أمره بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون

وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا أو على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي ازداد الجهلة خبطا في ظلمائهم فإن قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم والناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله قلت أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيرا شعر إن الكرام في البلاد كثير وإن ✽ قلوا كما أن غيرهم قل وإن كثروا ✽ وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى ما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به إلا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة شعر فواسقا عن قصدها جوائرا ✽ والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حد له هذا الحد أبو حذيفة واصل بن عطاء وعن أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن الله أعزك وأظهرك أن ترجع إلى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذه إلا وقد نبهت

على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد الموثق وعهد اليه في
كذا اذا وصاه ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولاء
الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت
وما المراد بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه امر وصاهم به ووثقه
عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا
بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب
المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى عليه السلام سأنزل عليك
كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريتهم اياه من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم
الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيعي للذين قاموا بميثاقي واوفوا
بعهدي ونصري اياهم وكيف انزلت باسي ونقمتي بالذين غدروا ونقضوا ميثاقي ولم يوفوا
بعهدي لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود
كفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على
بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على
جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا
الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص
به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير
في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى
توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من
بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم
ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء
من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت
ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور
لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يأمر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر
كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت
قصده اولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد
بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف
عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف
تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح
واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار
الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا
للحال التي يقع عليها الكفر قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت
الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على
طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال
يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد
بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا
للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام
الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى
ترجعون كأنه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب
آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا
حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل
كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك
على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام
في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما اعجب
كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم
لم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك
بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان
قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما صح فيه الحياة من البنى
قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان
يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني
قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير
الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد
تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ
عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه
والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين اتصل احتجاج الكفر مع القصة التي ذكرها
الا انها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت
يحتمل الامرين لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم خلق لكم لاجلكم و

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

لانتفاعكم في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهيجة وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها **فان قلت** هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة **قلت** ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية **وجميعا** نصب على الحال من الموصول الثاني **والاستواء** الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق **والضمير** في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء **والسماء** في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن **وهو بكل شيء عليم** فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم **فان قلت** ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقض ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة **قلت** ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لقصد اليها خلقا آخر **فان قلت** اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها **قلت** لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق **واذ** نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع **وجاعل** من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة **والخليفة** من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته **قال** ...

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ

تضعيف الشيء اثناؤه بمعنى الضعف كالتثنية بمعنى الثني في قوله وبلدة ليس بها تثنية اي ثني

فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء **قلت** اريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض **فان قلت** لاي غرض اخبرهم بذلك **قلت** ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة **اتجعل فيها** تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير **فان قلت** من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب **قلت** عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ **ويسفك الدماء** بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في **ونحن نسبح** للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد **بحمدك** في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك **اعلم ما لا تعلمون** اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم **فان قلت** هلا بين لهم تلك المصالح **قلت** كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم الاسماء كلها واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك **الاسماء كلها** اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس **فان قلت** هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء **قلت** لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها **فان قلت** فما معنى تعليمه اسماء المسميات **قلت** اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية **ثم عرضهم** اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوٓا اِلَّآ اِبْلِيسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ❁ وَقُلْنَا يَآ اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ❁ فَاَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلٰى حِينٍ ❁ فَتَلَقّٰٓى اٰدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ❁

عجزهم عن الانبآء على سبيل التبكيت **ان كنتم صادقين** فى زعمكم انى استخلف فى الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح فى استخلافهم فى قوله انى اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم انى اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابى عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح فى الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة يآء وانبهم بحذفها مكسورة فيهما **السجود** لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التآء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا فى لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله **فسجدوا الا ابليس** استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه فى قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا **ابى** اى امتنع مما امر به **واستكبر** عنه **وكان من الكافرين** من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه **اسكن** من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار و**انت** تاكيد للمستكن فى اسكن ليصح العطف عليه **رغدا** وصف للمصدر اى اكلا رغدا واسعا رافها و**حيث** للمكان المبهم اى اى مكان من الجنة **شئتما** اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر فى التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ **ولا تقربا** بكسر التآء وهذى **والشجرة** بكسر الشين والشيرة بكسر الشين واليآء وعن ابى عمرو انه كرههما وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها **من الظالمين** من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله **فتكونا** جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهى والضمير فى **عنها** للشجرة فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها فى قوله وما فعلته عن امرى وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل **فازلهما** عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عنى ذلك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما **مما كانا فيه** من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة فى عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها **فان قلت** كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم **قلت** يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحوآء وقيل كان يدنو من السمآء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروى انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل فى فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل **اهبطوا**

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❁ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❁ يَا بَنِىٓ اِسْرَآئِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِىٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِىٓ اُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَاِيَّاىَ فَارْهَبُونِ ❁ وَاٰمِنُوا بِمَآ اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا اَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِاٰيَاتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَاِيَّاىَ فَاتَّقُونِ ❁ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ❁

خطاب لآدم وحوآء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحوآء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصلى الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو حكم يعم الناس كلهم ومعنى **بعضكم لبعض عدو** ما عليه الناس من التعادى والتباغى وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض **مستقر** موضع استقرار او استقرار **ومتاع** وتمتع بالعيش **الى حين** يريد يوم القيمة وقيل الى الموت ومعنى **تلقى** الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته واتصلت به **فان قلت** ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود رض ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فىّ الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون حوآء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء فى اكثر القران والسنة لذلك وقد ذكرها فى قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا **فتاب عليه** فرجع عليه بالرحمة والقبول **فان قلت** ما جواب الشرط الاول **قلت** الشرط الثانى مع جوابه كقولك ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم منى هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فى مقابلة قوله فمن تبع هداى **فان قلت** فلم جئ بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت** للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التى اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغى والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التى هى اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته فى اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدىّ على لغة هذيل فلا خوف بالفتح **اسرائيل** هو يعقوب عليه السلم لقب له ومعناه فى لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بن اسحق بن ابرهيم واسمعيل غير منصرف ومثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرايل واسرائل

وذكرهم النعمة ان لا يخلّوا بشكرها ويعتدّوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما
انعم به على آبائهم مما عدّد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل
والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشّر
في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد جميعا يقال اوفيت بعهدي اى بما
عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اى بما عاهدتك عليه ومعنى
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واوفوا بما عاهدتموني من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن
اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بما
عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من
قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ أوفّ بالتشديد
اى ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي
ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر به او اول فوج او فريق
كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اى كل واحد منا وهذا تعريض
بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من
اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدّون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث
كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من
اهل مكة اى ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو
مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم كفروا واشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما
اشترى المسلم اذ تنصّرا وقوله فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي
ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا
عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله فاستبدلوها وهي بدل
قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل
الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا و
يرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم
يدرّون عليهم الاموال ليكتموا او يحرّفوا الباء التي في الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك
لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك
كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا

وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون
واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين

جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اى و
لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم
ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت
بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا
لا نجد في التورية صفة محمد عليه السلام او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف
عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح
لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين
منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد
بالركوع الصلوة كما يعبّر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلّى مع المصلّين يعني في الجماعة كانه قيل و
اقيموا الصلوة وصلّوها مع المصلين لا منفردين أتأمرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة
الخير والمعروف ومنه البرّ لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
واذا اتوا بصدقات ليفرّقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا
على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا
نأمركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون
الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلى الله عليه وآله او فيها
الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا
تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدّكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول
لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا
على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة بالجمع بينهما وان تصلّوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين
لمشاقّها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب
والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار
السموات ليسأل فكّ الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة
عند وقوعها وكان رسول الله عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه
نُعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحّى عن الطريق فصلّى ركعتين اطال
فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة و
قيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر و
يجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى

الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

الدعاء والابتهال الى الله تعالى في دفعه **وانها** الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنوا اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا **لكبيرة** لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **فان قلت** ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل **قلت** لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم** اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين بأعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه تراه رغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كأنه يستلذ مزاولة خلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا **والخشوع** الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته **واني فضلتكم** نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة **يوما** يريد يوم القيمة **لا تجزي** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك **وشيئا** مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما **فان قلت** فاين العائد منها الى الموصوف **قلت** هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي **شعر** تروحي اجدر ان تقيلي اي اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله **ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله تعالى ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا **فان قلت** هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة **قلت** نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا

واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

تقبل للعصاة **فان قلت** الضمير في ولا يقبل منها شفاعة الى اي النفسين يرجع **قلت** الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها **ولا هم ينصرون** يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس **آل** اصله اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام **فرعون** علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءه موسى الكليم فزاده في قصبي تفرعنه وفرط عرامه وقرئ **انجيناكم** وانجيتكم **يسومونكم** من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم **شعر** اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كأنه بمعنى يبغونكم **سوء العذاب** ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كأنه قبحه بالاضافة الى سائره **يذبحون** بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا من قبل وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله **والبلاء** المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء **فرقنا** فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط **فان قلت** ما معنى بكم **قلت** فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقنا بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله **شعر** تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم **وانتم تنظرون** الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقال اربعين ليلة لان الشهور غررها الليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

المجئ للميقات الى الطور **من بعده** من بعد مضيه الى الطور **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا**
عنكم حين تبتم **من بعد ذلك** من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل **لعلكم تشكرون**
ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم **الكتاب والفرقان** يعني الجامع بين كونه كتابا وفرقانا
يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين
الجود والجرأة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى يعني
الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرى او التورية **والفرقان** الفارق بين الكفر والايمان
من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق
البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر حمل قوله
فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد
العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم
يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا
ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن
الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى
دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت
التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا **فان قلت** ما الفرق بين الفاآت
قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة
فاقتلوا انفسكم قيل ان الله جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى
فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم
في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا
من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم
فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ **قلت** البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من
التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور
المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الاشكال
المختلفة الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة وفي امثال العرب ابلد من ثور حتى
عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم حين
لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها **قيل القائلون** السبعون الذين
صعقوا وقيل عشرة آلاف منهم **جهرة** عيانا وهي مصدر من جهر بالقراءة وبالدعاء كأن الذي
يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع
من الرؤية فنصبت بفعلها كما ينصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة و

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَاِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا
مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا
عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا

قرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى
رادّهم القول وعرّفهم ان رؤية الحق ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز
على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان
ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصاعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين
الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة **فاخذتكم الصاعقة** ما صعقتهم اي اماتتهم قيل نار وقعت من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين
يوما وليلة وموسى عليه السلم لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه
اصابهم ما ينظرون اليه لقوله **وانتم تنظرون** وقرأ علي عليه السلم فاخذتكم الصعقة **لعلكم تشكرون**
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم
الموت **وظللنا** وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو
الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم
السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه **كلوا** على ارادة القول **وما ظلمونا** يعني فظلموا بان
كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه **القرية** بيت المقدس وقيل
اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه **والباب** باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا
يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله
وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل
طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم **حطة** فعلة
من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل
النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا
مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا
حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها **فان قلت** هل يجوز ان ينتصب حطة في قراءة من نصبها
بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة **قلت** لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك
المضمر بقولوا وقرئ تغفر على البناء للمفعول بالياء والتاء **وسنزيد المحسنين** اي من كان محسنا منكم
كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة **فبدل الذين**
ظلموا اي وضعوا مكان حطة **قولا** غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه
الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو
لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو
قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم و

وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون

عدوا لا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا وفي تكرير **الذين ظلموا** زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار **والرجز** العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وعطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار **فانفجرت** الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان **كل اناس** كل سبط **مشربهم** عينهم التي يشربون منها **كلوا** على ارادة القول **من رزق الله** مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب **ولا تعثوا** العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه **كانوا** فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى **فان قلت** هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد **قلت** ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ومعنى **يخرج لنا** يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها

إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون

وقرئ وقثائها بالضم **والفوم** الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل وقرئ **الذي هو ادنى** الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمزة من الدناءة **اهبطوا مصرا** وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يكون العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب **وضربت عليهم الذلة** جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية **وباءوا بغضب من الله** من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته اي صاروا احقاء بغضبه **ذلك** اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم **فان قلت** قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره **قلت** معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي عليه السلام ويقتلون بالتشديد **ذلك** تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا **ان الذين آمنوا** بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون **والذين هادوا** والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود **والنصارى** وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال الشاعر نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح **والصابئين** هو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة **من آمن** من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا **وعمل صالحا فلهم اجرهم** الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم **فان قلت** ما محل من آمن **قلت** الرفع ان جعلته مبتدأ

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا
أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا
بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون

خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعله بدلا من اسم ان والمعطوف عليه خبر ان في الوجه الاول والجملة كما
هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط **وإذ أخذنا ميثاقكم** بالعمل على ما في التورية
ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح
فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل فقلع الطور من
اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا **خذوا** على
ارادة القول **ما آتيناكم** من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة **واذكروا ما فيه** واحفظوا ما في الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه **لعلكم تتقون** رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا
ارادة ان تتقوا **ثم توليتم** ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به **فلولا فضل الله عليكم** بتوفيقكم
للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا **السبت** مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت وان بارشانهم **لقد علمتم** اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت
فاذا مضى تفرق كما قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك
نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم
الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم **قردة خاسئين** خبران اي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد **فجعلناها** يعني المسخة **نكالا** عبرة تنكل من
اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد **لما بين يديها** لما قبلها **وما خلفها** وما بعدها من
الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم
من الآخرين واريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة
لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها **وموعظة للمتقين** تمنعهم عن
الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها **كان** في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه
ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله **قالوا أتتخذنا هزوا** أتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوءا
بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه
وقرئ هزؤا بالضمتين وهزءا بسكون الزاء نحو كفؤا وكفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو
وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك **ما هي** سؤال
عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا
عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر **لا فارض** المسنة وقد فرضت
فروضا قال خفاف بن ندبة شعر لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم
على رجل وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها **والبكر**

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

الفتية والعوان النصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين تقتضي
شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر
من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر
قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا افعل نائبا عن افعال
جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له
ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله شعر
فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت
السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذلك وذلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة
تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما
تؤمرون ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله شعر امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد
تركتك ذا مال وذا نشب او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير
الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وابلغه يقال في التوكيد اصفر فاقع وورس كما يقال
اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام و
اورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع ههنا وقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا
لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع
لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد
لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده
وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها تسر
السرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي عليه السلام من لبس نعلا صفراء قل همه
لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله استعار
من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك
خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها
وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض
الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه
بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني بأي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز
اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سألتني اضائن ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام
انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

الناس بحرمانا من سئل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسئلته ان البقر تشابه علينا يعني ان البقر
الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها تذبح وقرئ تشّابه بمعنى تتشابه بطرح
التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشّابه
بالياء والتشديد وجاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء
الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من القاتل لا ذلول صفة
لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح لسقي الحرث
ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقال عبد الرحمن السلمي لا ذلولَ بمعنى لا ذلول
هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت
بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى مسلّمة سلّمها
الله من العيوب او معفاة من العمل سلّمها اهلها منه كقوله شعر او معبر الظهر ينبي عن وليته
ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها
شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى
قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور
موشى القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها
اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال
لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها
وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا
يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ
صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا
بوالديه فشبت فكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلث دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين
سنة فان قلت كانت البقرة الموصوفة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم صارت
مخصوصة بلون وصفة فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم
الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة
المخصوصة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص كان امتثالا له فكذلك
اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادّارأتم فا
ختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى
طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او

دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة ما كتمتم من
امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان
مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين
المعطوف والمعطوف عليه وهما ادّارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس
والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون
ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل
عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة
بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الموتى روي انهم لما
ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط
ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا
للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله يوم القيمة ويريكم آياته دلائله
على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء
نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما
ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فان قلت هلا احياه ابتداء
ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد
وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن
تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد
والمسارعة الى امتثال امر الله وارتسامه على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم
بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ
بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه
ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختار ما كان فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون
بريئا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلثمائة
دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل و
امكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر
هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة
فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتل والضرب ببعض
البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه
ببعضها قلت كلما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات
وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون

منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض فى تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استونفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت الاولى بها دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح فى قوله اضربوه ببعضها حتى يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى **ثم قست** استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصف القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها **فهى كالحجارة** وهى فى قسوتها مثل الحجارة **او اشد قسوة** منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هى فى انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة **فان قلت** لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب **قلت** لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة فكانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ اشد قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالتباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله **وان من الحجارة** بيان لفضل قلوبهم على الحجارة فى شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهى ان المخففة من الثقيلة التى يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع **والتفجر** التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر **يشقق** يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا **يهبط** يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ **يعملون** بالتاء والياء وهو وعيد **افتطمعون** الخطاب لرسول الله عليه السلام والمؤمنين **ان يؤمنوا** ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فامن له لوط يعنى اليهود **وقد كان فريق منهم** طائفة فى من سلف منهم **يسمعون كلام الله** وهو ما يتلونه من التورية **ثم يحرفونه** كما حرفوا صفة رسول الله واية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى الطور وما امر ونهى قالوا سمعنا الله يقول فى اخره ان استطعتم ان

او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا

تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم لا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله **من بعد ما عقلوه** من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة فى صحته **وهم يعلمون** انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا التورية فلهم سابقة فى ذلك **واذا لقوا** يعنى اليهود **قالوا** اى منافقوهم **امنا** بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به **واذا خلا بعضهم الى بعض** الذين لم ينافقوا الى الذين نافقوا قالوا عاتبين **اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** بما بين لكم فى التورية من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب فى دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا فى كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو فى كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد **يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون** ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان **ومنهم اميون** لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها **لا يعلمون الكتاب** التورية **الا امانى** الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد وقال اعرابى لابن داب فى شىء حدث به اهذا شىء رويته ام تمنيته اى اختلقته وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمنى يقدر فى نفسه ويحرز ما يتمناه وكذلك المختلق والقارى يقدر ان كلمة كذا بعد كذا **الا امانى** من الاستثناء المنقطع وقرئ امانى بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع الاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم فى الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامى ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم **يكتبون الكتاب** المحرف **بايديهم** تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه هذا كتبته بيمينك هذه **مما يكسبون** من الرشى **اياما معدودة** اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما **فلن يخلف الله** متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون منقطعة **بلى** اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله **لن تمسنا النار** اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله **هم فيها خالدون** **من كسب سيئة** من السيئات يعنى كبيرة من الكبائر **واحاطت به خطيئته** تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطياته وقيل الاحاطة كان ذنبا قلبه من طاعته وسلب

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ

رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل
آية نهى فيها الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة **لا تعبدون**
اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي
لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه ويتضره وقرأ عبد الله وأبي لا تعبدوا
ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله **وبالوالدين احسانا** اما
بتقدير وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قسم دل عليه **اخذنا ميثاق بني اسرائيل** اجراء له
مجرى القسم كأنه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع
كقوله **شعر** الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا
ان تكون فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل
توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه
لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى **ثم توليتم** على طريقة الالتفات
اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** قيل هم الذين اسلموا منهم **وانتم معرضون**
وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والتولية **لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم** لا
يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره
فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه **ثم اقررتم** بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه **وانتم تشهدون**
عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود
على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق **ثم انتم هؤلاء** استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء
والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه
الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصولة بمعنى الذين وقرئ
تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتهما وتظهرون بمعنى تتظهرون اي
تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم **وتفادوهم واسرى واسارى وهو** ضمير الشان
ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم **افتؤمنون ببعض** اي الفداء **وتكفرون ببعض**
اي القتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء
الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا
اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم
تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا
والخزي كقتل قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك
الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون **تعملون** بالتاء والياء **لا يخفف**

تخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين

عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التورية آتاه اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية يشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى والاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدنا ومنه آجده بالمد اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفها بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وآله وسلم عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها على النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا

على الذين كفروا يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقاتلكم معه قتل عاد وإرم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة أي يسألون أنفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين أي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى شيئا اشتروا به أنفسهم و المخصوص بالذم أن يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا أي لأن ينزل أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته إرساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بالنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم بما أنزل الله مطلق فيما أنزل الله من كتاب قالوا نؤمن بما أنزل علينا مقيدا بالتورية ويكفرون بما وراءه أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الأنبياء وأنتم ظالمون يجوز أن يكون حالا أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها وأن يكون اعتراضا بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما أمرتم به في التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك فإن قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وأشربوا في قلوبهم العجل أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم بالتورية لأنه ليس في التورية عبادة العجاجيل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلوتك تأمرك وكذلك إضافة الإيمان إليهم وقوله إن كنتم مؤمنين تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة أي سالمة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين

ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا

بالجنة ما روي كان علي عليه السلم يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي أبوك على الموت سقط أم عليه سقط الموت وعن حذيفة أنه قال يتمنى الموت فقال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين شعر الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن إليه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات في مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي بما قدمت أيديهم بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وساير أنواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا فإن قلت ما أدراك أنهم لم يتمنوا قلت لأنهم لو تمنوا لنقل كما نقل ساير الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي المطاعن في الإسلام أكثر من الذر وليس أحد منهم نقل ذلك فإن قلت التمني من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لي كذا فإذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا ذلك فإن قلت لم يقولوا لأنهم علموا أنهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا أنهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمنعون من أن يقولوا إن التمني من أفعال القلوب قد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لأنه أراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحيوة ومن الذين أشركوا محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس فإن قلت لم يدخل الذين أشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون إلا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من كان له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ فإن قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لأنهم علموا لعلمهم بحالهم أنهم صائرون إلى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز وألف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الأعاجم زي هزار سال

يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين

وقيل ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناس **يود أحدهم** على حذف الموصوف كقوله وما منا إلا له مقام معلوم والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله والضمير في **وما هو** لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه ويجوز أن يكون هو مبهما وأن يعمر موضحه **والزحزحة** التبعيد والإنحاء **فإن قلت** يود أحدهم ما موقعه **قلت** هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف **فإن قلت** كيف اتصل لو يعمر بيود أحدهم **قلت** هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر إلا أنه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود أحدهم كقولك حلف بالله ليفعلن روي أن عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبرئيل فقال ذلك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبرئيل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإن لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلونه وقيل أمره الله أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رض أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلم فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا أقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال النبي عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في **نزله** للقرآن ونحو هذا الإضمار أعني إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته **على قلبك** أي حفظه إياك وفهمكه **بإذن الله** بتيسيره وتسهيله **فإن قلت** كان حق الكلام أن يقال على قلبي **فإن قلت** كيف استقام قوله فإنه نزله جزاء للشرط **قلت** فيه وجهان أحدهما إن عادى جبرئيل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما

والثاني إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم له كارهون وللقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه **أفرد** الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه **عدو للكافرين** أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب **إلا الفاسقون** إلا المتمردون من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت **واللام** في الفاسقون للجنس والأحسن أن يكون إشارة إلى أهل الكتاب **أوكلما** الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات **وكلما عاهدوا** وقرأ أبو السمال بسكون الواو على أن الفاسقين بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة **والنبذ** الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه **فريق منهم** وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض **بل أكثرهم لا يؤمنون** بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به **كتاب الله** يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله عليه السلام المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول **كأنهم لا يعلمون** أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه **واتبعوا** أي نبذوا كتاب الله واتبعوا **ما تتلو الشياطين** يعني اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها **على ملك سليمان** أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا

ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين
المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه

علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس والريح التي تجري بامره
وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به و
سماه كفرا ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر
يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي و
يعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا الشياطين اي واتبعوا ما انزل و
هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما علم السحر ابتلاء
من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن
ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا شعر عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى
قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرئ الملكين
بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى
ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر
فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغض والنشوز
والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا
باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما
يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي
لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا هؤلاء اليهود لمن اشتريه اي استبدل ما تتلو
الشياطين بكتاب الله ماله في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي
باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه
فيما بعد وقرأ الزهري هروت وماروت بالرفع على انهما هاروت وماروت وهما اسمان
اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ
طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المر بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير
التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري
بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف تضاف الى احد
وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله
ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو
كانوا يعلمون جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم امنوا برسول الله و
القرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة

يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من اية او ننسها

من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومثوبة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا
لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت
لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم
كذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله
ولو انهم امنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم
امنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم
راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود
كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا
افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون وامروا بما هو في
معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ
وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن
راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى
رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا
واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا
يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى
لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها
منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين
تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان
اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة لقوله اهم يقسمون رحمة ربك
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء
من الوحي والله يختص برحمته بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو
الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا
روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم
بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من اية وما ننسخ بضم
النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب
الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من اية

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل
موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا
حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة

او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبرئيل بان
يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها
ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها
وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل **نات بخير منها** للعباد اي باية العمل
بها اكثر للثواب **او مثلها** في ذلك **على كل شيء قدير** فهو يقدر على الخير وما هو خير منه
وعلى مثله في الخير **له ملك السموات والارض** فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على
ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ **لما بين** لهم انه مالك امورهم ومدبرها
على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة
به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على نبيهم ما اقترحه اباء اليهود
على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير
ذلك **ومن يتبدل الكفر بالايمان** ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها
واقترح غيرها **فقد ضل سواء السبيل** روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس و
نفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم
ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا
فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت
فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا
وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **فان قلت** بم يتعلق قوله من عند انفسهم
قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم
ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك
من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي
حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم **فاعفوا واصفحوا** فاسلكوا معهم سبيل العفو
والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة **حتى ياتي الله بامره** الذي هو قتل بني قريظة
واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم **ان الله على كل شيء قدير** فهو يقدر على
الانتقام منهم **من خير** من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما **تجدوه عند الله** تجدوا
ثوابه عنده **ان الله بما تعملون بصير** لا يضيع عنده عمل عامل والضمير في **وقالوا** لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحو

وقالوا

لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله و
هو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل **فان قلت** كيف
قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر **قلت** حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة
الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين وقرا ابي بن كعب الا من كان يهوديا او
نصرانيا **فان قلت** لم قيل **تلك امانيهم** وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة **قلت** اشير بها الى الاماني المذكورة
وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا
يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله **قل هاتوا برهانكم** متصل بقوله
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض وقد يراد امثال تلك الامنية
امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل
امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة **هاتوا برهانكم** هلموا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة **ان كنتم صادقين** في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب
المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة **من اسلم وجهه لله** من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره
وهو محسن في عمله **فله اجره** الذي يستوجبه **فان قلت** من اسلم وجهه كيف موقعه **قلت** يجوز ان يكون
بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدا ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون
من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على
يدخلها من اسلم **على شيء** يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم
الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا
كقولهم اقل من لا شيء **وهم يتلون الكتاب** الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم
انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله و
امن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك
كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا **كذلك** اي مثل الذي سمعت به على ذلك
المنهاج **قال** الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم في سلك من
لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اتاهم احبار
اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا
بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية **فالله يحكم** بين اليهود والنصارى
يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله
بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار **ان يذكر** ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته
كذا ومثله وما منعنا ان نرسل بالايات وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف

وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون

حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس والمسجد الحرام قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر عنها او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى والمشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح المحفوظ انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وآله الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف العلماء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي وذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام وفي بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص اماكنها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا على انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا وقيل

بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب

معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا قرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بها دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو شعر امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله شعر اذ قالت الانساع للبطن الحق والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا وعتوا او تأتينا آية جحودا لان يكون ما آتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون فيؤمنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم
ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات

واضجار فلا تسأل وبعض القراءة الأولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة أبي وما تسأل
كأنهم قالوا لن ترضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطاً منهم لرسول
الله عن دخولهم في الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل إن هدى الله هو
الهدى على طريق إجابتهم عن قولهم يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق و
الذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتباعه ما هو
بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم
الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول
الله أولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر
ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد
كأنه يمتحنه بما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة وهي قراءة ابن عباس إبراهيم ربه
رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أو لا
فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر
قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم فليس واحد
منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكراً ظاهراً وأما الثاني
فإبراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم فيه لفظاً
ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في فأتمهن في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق
القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى
لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر
الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا البلد آمناً واجعلنا مسلمين لك وابعث
فيهم رسولاً ربنا تقبل منا فإن قلت ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو إذ
ابتلاه كان كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فإن قلت فما موقع قال قلت هو على الأول استئناف
كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك للناس إماماً وعلى الثاني جملة
معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون بياناً لقوله ابتلى وتفسيراً له فيراد بالكلمات ما ذكر من الإمامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هي خمس
في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد
والاستنجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقيل ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الإسلام عشر
في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل

فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين وإذ جعلنا البيت مثابة للناس و
أمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود

سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي
والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار
والهجرة والإمام من يؤتم به على زنة الإله كالإزار لما يؤتزر به أي يأتمون بك على دينهم
ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول
وزيداً لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون أي من كان ظالماً من ذريتك لا يناله
استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم وقالوا في هذا
دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب
طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن
علي وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة كالدوانيقي
وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله
بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد
وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم إماماً قط وكيف يجوز نصب
الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء
المثل السائر من استرعى الذئب ظلم وإذ جعلنا البيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس
مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان الذين
يزورونه وأمناً موضع أمن كقوله حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني
يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء
العاكف فيه والباد واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون
فيه وهي على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي أنه أخذ بيد عمر فقال هذا
مقام إبراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركاً وتيمناً
بموطئ قدم إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله
أن رسول الله صلى الله عليه وآله استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة أقدام حتى
إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر
حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم وعن عمر أنه سأل المطلب بن
أبي وداعة هل تدري أين موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام
إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله
مقام إبراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفاً على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم
الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها عهدنا أمرنا هما

وإذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم

ان طهرا بيتى بان طهرا او اى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس من طواف الجنب الحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لنعبته فيه والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعنى القائمين فى الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلى اى اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله فى عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعنى وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتى على الكاف فى جاعلك فان قلت كيف قاس الرزق على الامامة قلت قاسه على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينتصح للمرعى وابعد الناس من النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون من كفر مبتدأ لتضمنه معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اى ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره كالزه الى عذاب النار لز المضطر الذى لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابى فنمتعه ثم نضطره وقرأ يحيى بن ثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر المراد الدعاء من ابرهيم دعا به بذلك فان قلت تقدير الكلام على هذه القراءة قلت فى قال ضمير ابرهيم اى قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد فى الطاء كما قالوا اطجع وهى مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها ولا يدغمن هى فيما يجاورها وهى حروف ضم شفر يرفع حكاية حال ماضية القواعد جمع قاعدة وهى الاساس وهى صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسأل الله ان يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعنى هيئة القاعد المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروى انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى وغربى وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحج آدم اربعين حجة من

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين

ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودى ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه فى ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض فى الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس فى ايضاحها لما فى الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك وجوهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وآله وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذل لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرطنا من الصغائر او استتبنا لذريتنا وابعث فيهم فى الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روى انه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا قال عليه السلام انا دعوة ابى ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امى يتلوا عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابرهيم ومن سفه نفسه فى محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله شعر ولا بفزارة

اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

الشعر الزفّا باشعر اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولك
زيد ظنى مقيم اى فى ظنى والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ فى اذالة
نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأى من
رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله فى الدارين بان كان صفوته وخيرته فى الدنيا
وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير فى الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة فى طريقته منه اذ قال
ظرف لاصطفيناه اى اخترناه فى ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر
من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله
ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر فى الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت
اى فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة
ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت قرئ واوصى وهى فى مصاحف اهل الشام
والحجاز والضمير فى بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه
رجوع الضمير فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى
فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب عطف على
ابرهيم داخل فى حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب
عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بنى باضمار القول
عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه فى معنى القول ونحوه قول القائل شعر رجلان
من ضبة اخبرانا ... انا رأينا رجلا عريانا بالكسر فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل
الاخبار وفى قراءة ابى وابن مسعود ان يا بنى اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذى هو
صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا
على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهى فى الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع فى حال صلوته
فان قلت فاى نكتة فى ادخال حرف النهى على الصلوة وليس بمنهى عنها قلت النكتة فيه اظهار
ان الصلوة التى لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا
ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا فى المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا
فى المسجد وكذلك المعنى فى الآية اظهار ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه
وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول فى الامر ايضا مت

سورة البقرة

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا
وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ
تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

أنت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته
بالموت اعتدادا منك بميتته واظهار الفضلها على غيرها وانها حقيقة بان تحث عليها **أم
كنتم شهداء** هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين
يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل
لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية
الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر حرصه على ملة الاسلام ولما
ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء **اذ حضر يعقوب
الموت** يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام
وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة **ما
تعبدون** اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء
من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال
عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات **وابرهيم واسمعيل
واسحق** عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخال ام
لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه
اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال
ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله
ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف
بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال الشاعر وفديننا بالابينا **الها واحدا** بدل من اله آبائك
كقوله بالناصية ناصية او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا **ونحن له مسلمون**
حال من فاعل نعبد او مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون
جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون **تلك** اشارة الى
الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب
غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا
ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم ونحوه قول رسول الله عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس
باعمالهم وتأتوني بانسابكم **ولا تسئلون عما كانوا يعملون** ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم
حسناتهم **بل ملة ابرهيم** بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين بل
من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملتنا ملته او امرنا ملته
او نحن ملته بمعنى اهل ملته **حنيفا** حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنف

ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا
بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن

المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد
شعر ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل
الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين
ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك
قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط
الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله والاسباط حفدة يعقوب
ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت
اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من
باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا
بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير
اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان
دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل و
ضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي
اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون للاستعانة
كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم
التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذي آمنتم به وان تولوا
عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا في
طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان
من الله لاظهار رسول الله عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني
النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد
لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد
لرسول الله يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك
وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب
وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها
الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك
قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله

من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل أأنتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده
من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول

بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله
بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول
لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله
صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن
من صبغة الله وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول
من زعم ان صبغة بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه
من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد
هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بادغام النون
والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله
على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده
وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده ثم فوضى ذلك لا يختص به
عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس
الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم
قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان
فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة فينا لا انا اهل كتاب في العرب
عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى اي
الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام
عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل تقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن
قرأ بالياء لا يكون الا منقطعة قل أأنتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام
في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله ان كتم شهادة الله التي عنده انه شهدها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل
معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني
انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة
في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان
اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود
لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء
وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت
اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به

قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على
الذين هدى الله

قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما تقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة
اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم هي
بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء
من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس
واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا
خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ونحوه قوله عليه السلم انطوا الثبجة يريد الوسطة بين السمينة والعجفاء ووصفا بالثبج وهو
وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي شعر كانت هي الوسط
المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال
اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف
ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون
تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله
عليه وآله فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق
على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك
قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت فهلا قيل لكم شهيدا
وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه
قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا
شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم
ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول
اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة
للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما
جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها
الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص
على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون
بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان
استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت
عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم

البعض [illegible]
[illegible] الفعل المذكور [illegible]
[illegible] البيضاوي [illegible]
[illegible]

[illegible] العظيم [illegible]
[illegible] المذكور [illegible]
[illegible]

[illegible]

وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب

ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رض كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلم علما يتعلق به
الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم اليه لانهم خواصه او اهل الزلفى عنده
وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة وهي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة
والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة
ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين
الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم
الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة
لايمانكم وقيل من صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه
رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرءوف
رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك
في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله و
ختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة
ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك انا اعلم ازيد في الدار ام
عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان
يكون كان مزيدة كما في قوله شعر وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقوله
ان زيدا لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله شعر قد اترك القرن مصفرا اناملة تقلب وجهك تردد وجهك
وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم
ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل والوحي بالتحويل فلنولينك
فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك
تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضيها تحبها وتميل اليها لاغراض صحيحة التي اضمرت
ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال شعر واطعن بالقوم شطر
الملوك وقرأ ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة
فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال

لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

الشمس قيل قال بعد ستة عشر شهرًا ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون أنه الحق أن التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشائر أنبيائهم برسول الله أنه يصلي إلى القبلتين تعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق وما أنت بتابع قبلتهم حسم لأطماعهم إذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله لئن اتبعت أهواءهم بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلًا بعد وضوح البرهان والإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذًا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى وتهييج وإلهاب للثبات على الحق فإن قلت كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله عليه السلام معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علمًا معلومًا بغير إعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن وتحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فإن قلت لم اختص الأبناء قلت لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وإن فريقًا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ

قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان الأول أن تكون اللام للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله أو إلى الحق في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل فإن قلت إذا جعل الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك قلت يجوز أن يكون خبرًا بعد خبر وأن يكون حالًا وقرئ علي الحق من ربك على الإبدال من الأول أي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل من أهل الأديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أي الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على الإضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا الخيرات واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز أن يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعًا يجمعكم ويجعل صلواتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت أي ومن أي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام إذا صليت وإنه وإن هذا المأمور به وقرئ تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولأنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها إلا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لأحد من اليهود إلا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلًا إلى دين قومه وحبًا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء فإن قلت أي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول إلى قبلة أبيه إبراهيم كما هو مذكور في نعته في التوراة فإن قلت كيف أطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لأنهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسمعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وقرأ زيد بن علي ألا الذين ظلموا منهم على أن ألا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف

وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

مُقْبِهَا **فَلَا تَخْشَوْهُمْ** فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم **وَاخْشَوْنِي** فلا تخالفوا امري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعم عليكم وارادتي اهتدائكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم **وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ** وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلم تمام النعمة الموت على الاسلام **كَمَا أَرْسَلْنَا** اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده كما ذكرتكم بارسال الرسول **فَاذْكُرُونِي** بالطاعة **أَذْكُرْكُمْ** بالثواب **وَاشْكُرُوا لِي** ما انعمت عليكم **وَلَا تَكْفُرُونِ** ولا تجحدوا نعمائي **أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ** بل هم احياء **وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** كيف حالهم في حيوتهم عن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ** ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا **بِشَيْءٍ** بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وآله من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي ان طفي سراج فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل مصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم **وَنَقْصٍ** عطف على شيء او على **الْخَوْفِ** بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب وبشر لرسول الله او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد **وَالصَّلَوَاتُ** الحنو والعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله **الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ** علمان للجبلين كالصمان والمقطم **وَالشَّعَائِرُ** جمع شعيرة وهي العلامة

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

من اعلام مناسكه ومتعبداته **وَالْحَجُّ** القصد **وَالِاعْتِمَارُ** الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالبيت والنجم في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف **فَإِنْ قُلْتَ** كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف **قُلْتُ** كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائله هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله **وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا** كقوله من تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن تطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ** من احبار اليهود **مَا أَنْزَلْنَا** في التورية **مِنَ الْبَيِّنَاتِ** من الآيات الشاهدة على امر محمد عليه السلم **وَالْهُدَى** والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به **مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ** لخصناه **لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ** في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوه على الناس **أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ** الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين **وَأَصْلَحُوا** ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم **وَبَيَّنُوا** ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا فذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة **فَإِنْ قُلْتَ** ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر **قُلْتُ** اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا **خَالِدِينَ فِيهَا** في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا **وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ** هو من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون ولا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة **إِلَهٌ وَاحِدٌ** فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته **الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** المولي لجميع النعم اصولها وفروعها

فی خلق السموات والارض واختلاف اللیل والنهار والفلک التی تجری فی البحر بما ینفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحیی به الارض بعد
موتها وبث فیها من کل دابة وتصریف الریاح والسحاب المسخر بین السماء والارض لآیات لقوم یعقلون ومن الناس من یتخذ من دون الله اندادا
یحبونهم کحب الله
والذین آمنوا اشد حبا
لله ولو یری الذین ظلموا اذ یرون
العذاب ان القوة لله جمیعا وان الله شدید
العذاب اذ تبرأ الذین اتبعوا من الذین اتبعوا ورأوا
العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذین اتبعوا لو ان

ولا شیء سواه بهذه الصفة فان کل ما سواه اما نعمة واما منعم علیه وقیل کان للمشرکین حول الکعبة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآیة تعجبوا وقالوا ان کنت صادقا فأت بآیة نعرف صدقک
فنزلت ان فی خلق السموات والارض واختلاف اللیل والنهار واعتقابهما لان کل واحد منهما
یعقب الآخر کقوله جعل اللیل والنهار خلفة بما ینفع الناس بالذی ینفعهم مما یحمل فیها او ینفع الناس
فان قلت قوله وبث فیها عطف علی انزل ام احیا قلت الظاهر انه عطف علی انزل داخل تحت
حکم الصلة لان قوله فاحیا به الارض عطف علی انزل فاتصل به وصارا جمیعا کالشیء الواحد فکانه
قیل انزل فی الارض من ماء وبث فیها من کل دابة ویجوز عطفه علی احیا بالمطر الارض وبث فیها
من کل دابة لانهم کانوا ینمون بالخصب ویعیشون بالحیا وتصریف الریاح فی مهابها قبولا و
دبورا وجنوبا وشمالا وفی احوالها حارة وباردة وعاصفة ولینة وعقما ولواقح وقیل تارة
بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر سخر للریاح تقلبه فی الجو بمشیئة الله یمطر حیث شاء لآیات
لقوم یعقلون ینظرون بعیون عقولهم ویعتبرون لانها دلائل علی عظم القدرة وباهر الحکمة وعن النبی
صلی الله علیه وآله ویل لمن قرأ هذه الآیة فمج بها ای لم یتفکر فیها ولم یعتبر بها وقرئ والفلک بضمتین
وتصریف الریاح علی الافراد اندادا امثالا من الاصنام وقیل من الرؤساء الذین کانوا یتبعونهم ویطیعونهم
وینزلون علی اوامرهم ونواهیهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذین اتبعوا من الذین اتبعوا ومعنی یحبونهم
یعظمونهم ویخضعون لهم تعظیم المحبوب کحب الله کتعظیم الله والخضوع له ای کما یحب الله علی انه مصدر
من المبنی للمفعول وانما استغنی عن ذکر من یحبه لانه غیر ملبس وقیل کحبهم الله ای یسوون بینه وبینهم
فی محبتهم لانهم کانوا یقرون بالله ویتقربون الیه فاذا رکبوا فی الفلک دعوا الله مخلصین والذین
آمنوا اشد حبا لله لانهم لا یعدلون عنه الی غیره بخلاف المشرکین فانهم یعدلون عن اندادهم الی الله عند الشدائد
فیفزعون الیه ویخضعون له ویجعلونهم وسائط بینهم وبینه فیقولون شفعاؤنا عند الله ویعبدون
الصنم زمانا ثم یرفضونه الی غیره او یأکلونه کما اکلت باهلة الههم من حیس عام المجاعة ولو یری الذین ظلموا
اشارة الی متخذی الانداد ای ولو یعلم هؤلاء الذین ارتکبوا الظلم العظیم بشرکهم ان القدرة کلها لله علی کل
شیء من الثواب والعقاب دون اندادهم ویعلمون شدة عقابه للظالمین اذا عاینوا العذاب یوم القیمة لکان
منهم ما لا یدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب کما فی قوله
ولو تری اذ وقفوا علی النار وقولهم لو رأیت فلانا والسیاط تأخذه وقرئ ولو تری علی خطاب الرسول
او کل مخاطب ای ولو تری ذلک لرأیت امرا عظیما وقرئ اذ یرون علی البناء للمفعول واذ فی المستقبل
کقوله ونادی اصحاب الجنة اذ تبرأ بدل من اذ یرون العذاب ای تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء
من الاتباع وقرأ مجاهد الاول علی البناء للفاعل والثانی علی البناء للمفعول ای تبرأ الاتباع من الرؤساء
ورأوا العذاب الواو للحال ای تبرؤا فی حال رؤیتهم العذاب وتقطعت عطف علی تبرأ والاسباب
الوصل التی کانت بینهم من الاتفاق علی دین واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع کقوله

أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا
طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وإذا قيل لهم اتبعوا ما

لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ
منهم كذلك مثل ذلك الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات أي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل
أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين
هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا
على الاختصاص حلالا مفعول كلوا أو حال مما في الأرض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان فتدخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لأن كل ما في الأرض
ليس بمأكول وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت
الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من
الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع
خطواته ووطئ على عقبه أي اقتدى واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفاء به إنما يأمركم
بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم بالسوء بالقبيح و
وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وأن تقولوا
على الله ما لا تعلمون وهو قولك هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله
مما لا يجوز عليه فإن قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه
وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتني نفسي بكذا وتحته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له
وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
وقال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء لما كان الإنسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير
للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لأنه لا ضال أضل من المقلد
كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا منا
وأعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال
والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو ومثل الذين
كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس
النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا
دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء
ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء
والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم
التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا

يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك

يفقهون انهم على حق ام على باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل شعر فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب فبالغين المعجمة قوله صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا نعمة الله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون اي ان صح انكم تختصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري قرى وحرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بمعنى كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وآله احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال شعر اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال شعر يا كلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له ولا يكلمهم تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليه وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون قوله فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن تعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهم على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وبعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب الجنس وكفرهم ذلك

قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء

بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يتشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج عن البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقال ليس البر العظيم الذي يحسب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر من القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرى ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من امن على تاويل حذف المضاف اي بر من امن او يتاول البر بمعنى ذي البر او كما قالت شعر فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القرآن لقرات ولكن البر بفتح الباء وقرى ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله او القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من امن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء
اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم
تتقون

لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس
بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب
عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة
واصحابه انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى
ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافا دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل
ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية
وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد
فتحاكموا الى رسول الله عليه السلام حين جاء الاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا **فمن عفي له من
اخيه** اي فمن عفي له من جهة اخيه **شيء** من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة
من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة
واخوه هو ولي المقتول قيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول
للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام **فان قلت** ان عفي يتعدى بعن
لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له **قلت** يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان
وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وعفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان
عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له
عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية **فان قلت** هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى
المفعول به **قلت** لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا
اللحى **فان قلت** فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه
شيء **قلت** عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب
والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن
يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء
على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها **فان قلت** لم قيل شيء من العفو **قلت** للاشعار
بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم
العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية **فاتباع بالمعروف** فليكن اتباع او فالامر اتباع
وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به
ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله
ولا يبخسه **ذلك** المذكور من العفو والدية **تخفيف من ربكم ورحمة** لان اهل التورية كتب
عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد
ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه

والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا **فمن
اعتدى بعد ذلك** التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية
فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله **فله عذاب
اليم** نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا
يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية **ولكم في القصاص حيوة** كلام فصيح
لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة
ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من
الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل
مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم
التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي
الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل
فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود وكان القصاص سبب حيوة
نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص
وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن
بينة **لعلكم تتقون** تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب
له فضل اختصاص بالائمة **اذا حضر احدكم الموت** اذا دنا منه وظهرت اماراته **خيرا** مالا
كثيرا عن عائشة ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا و
اراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال
الله **ان ترك خيرا** وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي عليه السلام ان مولى له اراد ان
يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال
والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع
في قوله **فمن بدله بعد ما سمعه** والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث و
بقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول
حتى لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته
وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث
ومعناه كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم
الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم
وان لا ينقص من انصبائهم **بالمعروف** بالعدل وهو ان يوصي للغني ويدع الفقير ولا
يتجاوز الثلث **حقا** مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله** فمن غير الايصاء عن وجهه

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من توقع وعلم وهذا في كلامهم شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما وتعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم بدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي عليه السلام اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن رجل يصيبه الرمد الشديد والصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فاته متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا

فان قلت كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي عدة ايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدودة فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر فيه على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويتطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع خير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم والرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلنا الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي

أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

عليه السلام نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين. هدى للناس وبينات نصب على الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل. فإن قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر أولاً أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ذلك ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال. فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهداً أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولاً به كقولك شهدت الجمعة لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر. يريد الله أن ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وأمركم بالحنيفية السمحة التي لا إصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم في إباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم أن من صام منهما فعليه الإعادة. وقرئ اليسر والعسر بضمتين. والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره. ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي إلى تبينه إلا النقاب المحدث من علماء البيان وإنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى لعلكم تشكرون إرادة أن تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد. فإن قلت هل يصح أن يكون ولتكملوا معطوفاً على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كأنه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والأول أوجه. فإن قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الإهلال. فإني قريب تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين أعناق رواحلكم. وروي أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت. فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم. وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها. كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب إلى القابلة ثم إن عمر واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله

أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب
عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود

إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديراً بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث أي أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس أنه أنشد وهو محرم شعر وهن يمشين بنا هميسا ... إن تصدق الطير ننك لميسا فقيل له أرفثت فقال إنما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق وكني به عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فإن قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم إلى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل أن تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختياناً لأنفسهم. فإن قلت لم عدي الرفث بإلى قلت لتضمنه معنى الإفضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي شعر إذا ما الضجيع ثنى عطفها ... تثنت فكانت عليه لباسا. فإن قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن. تختانون أنفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة. فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور. وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لأنه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الأعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب إن أصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير. الخيط الأبيض أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود والخيط الأسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين أبيض وأسود قال أبو دؤاد شعر فلما أضاءت لنا سدفة ... ولاح من الصبح خيط أنارا. وقوله من الفجر بيان للخيط الأبيض واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني ويجوز أن تكون من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله. فإن قلت أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه قلت قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسداً مجاز فإذا زدت من فلان رجع تشبيهاً. فإن قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيهاً وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة قلت لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران فزيد

في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها
إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج و

من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة فإن قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله فأخبرته فضحك وقال إن كان وسادك لعريضا ويروى إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وآله قفاه لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدني بعض البدويين لبدوي شعر عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فإن قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعيد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنه إنما يعني بذلك الليل والنهار قلت أما من لا يجوز تأخير البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد به ثم أتموا الصيام إلى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فإن قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وأن يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا أن يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا كقوله ولا تباشروهن وهي حدود

ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله
الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة

لا تقربوها ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها أي وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أنكم على الباطل وإن كانت المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبها حق بالتوبيخ روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته وكان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله فإن قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من أبوابها أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسئل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقاتلوا في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا

أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا
فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص

بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والصبيان والشيوخ والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجأة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل وحرم والثقف وجوده على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقيف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر
فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان فيتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فجعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن الذي يتمنى عنده الموت ومنه قول القائل شعر لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل لهم الشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم من الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان و قال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين وقيل لا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هتك الشهر بذلك الشهر وهتكه

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله مع المحسنين واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي

هتك يعني تهتكون حرمته كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيه القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمته فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى لا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك وعن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله وعن الاستقتال والاخطار بالنفس وعن ترك الغزو والذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله ص فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة ان التهلكة مصدر نحو الهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوهما في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله فأتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال شعر تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة

وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ

واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روى عن ابن عباس انه قال العمرة لقرينة الحج وعن عمر ان رجلا قال له انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال له هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج فى الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان فى الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار لانها الحج الاصغر ولا دليل فى ذلك على كونها قرينته له فى الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذى ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقى الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال فى انك تامره بفرض وتطوع وقرأ على وابن مسعود والشعبى والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا فى سبيل الله وقال ابن ميادة شعر وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو وعن المضى او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير لانه محبوس هذا هو الاكثر فى كلامهم وهما بمعنى المنع فى كل شىء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيبانى وعليه قول ابى حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر فى اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعى منع العدو وحده وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدى جمع هدية كما فى جدية السرج جدى وقرئ من الهدى بالتشديد جمع هدية كمطية ومطى يعنى فان منعتم من المضى الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدى المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابى حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة وعندهما فى ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم فى كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين ولا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى الذى بعثتموه الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب ادائه وهو ظاهر على مذهب ابى حنيفة فان قلت ان النبى عليه السلام نحر هديه حيث احصر قلت محصره طرف الحديبية الذى الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى

عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا

الحلق او به اذى من رأسه وهى القمل والجراحة فعليه اذا احلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فى نزلت هذه الاية وروى انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرئ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعنى فاذا لم تحصروا وكنتم فى حال امن وسعة فمن تمتع اى استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى هو هدى المتعة وهو نسك عند ابى حنيفة ويأكل منه وعند الشافعى يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجه فمن لم يجد الهدى فعليه فصيام ثلثة ايام فى الحج اى فى وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابى حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعى لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بقوله فى الحج وسبعة ايام اذا رجعتم يعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابى حنيفة وعند الشافعى هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابى عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلنا الواو قد تجى للاباحة فى نحو قولك جالس الحسن او ابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا فائدة الفذلكة فى كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفى امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما يقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزلة الله لا تقصر وقيل كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى وفى قراءة ابى فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابى حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعى اشارة الى الحكم الذى هو وجوب الهدى والصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابى حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله فى المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه فى الحج وغيره واعلموا ان الله شديد

تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم من قبله
لمن الضالين

العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم فى التقوى اى وقت الحج اشهر كقولك
البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عند ابى حنيفة وعند
الشافعى ذو الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج
بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا
عند الشافعى فى غيرها وعند ابى حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت كيف كان الشهران و
بعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض
الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر و
انما رآه فى ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروى عن عروة بن زبير قلت
قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها اذ
اهللت المحرم خرجنا الى ان عرق واهللت بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز
تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه
ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه
بالتلبية او بتقليد الهدى وسوقه عند ابى حنيفة وعند الشافعى بالنية فلا رفث
فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة
وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين
وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب فى كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير
فى الصلوة والتطريب فى قراءة القرآن والمراد بالنفى وجوب انتفائها وانها حقيقة ان لا
تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر
بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهى كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل لا شك ولا خلاف فى الحج وذلك ان قريشا كانت
تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون
الحج سنة ويؤخرون سنة وهو النسئ فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة
فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف فى الحج واستدل على ان المنهى عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه السلم من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه
وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهى عن الشر وان يستعملوا
مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير

ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد
ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة

الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت
الله فلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابى يا اولى الالباب
يعنى ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلا من ربكم
عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون ان
يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج
بالتجارة الداج ولیسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية
يتجرون فيها فى ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح
فى ذلك وابيح لهم ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى فى هذا الوجه
وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما سألت
فلم يرد حتى نزل قوله ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون
التجارة فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة فى الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم فى مواسم
الحج ان تبتغوا فى ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة و
اصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك فى دفعوا من موضع كذا وصبوا وفى
حديث ابى بكر رضى الله عنه صب دفران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال افاضوا فى الحديث وهضبوا
فيه من عرفات علم للموقف سمى بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها
سببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء التى فى لفظها واما بتاء مقدرة
كما فى سعاد فالتى فى لفظها ليست للتانيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث
ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء
التانيث فى بنت لان التاء التى هى بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التانيث فأبت تقديرها
وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلم فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين
كان يدور به فى المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل
لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهى من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا
تعرف فى سائر الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة
لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبى صلى الله عليه وآله الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد
ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب
والعشاء عند المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام
ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة الى وادى محسر وليس المأزمان ولا وادى محسر من
المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبى صلى الله عليه وآله لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة

وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون

بغلس كب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى **عند المشعر الحرام** معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة جمعا لان ادم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها **كما هداكم** ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه **وان كنتم من قبله** من قبل الهدى **لمن الضالين** الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة **ثم افيضوا** ثم لتكن افاضتكم **من حيث افاض الناس** ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات **فان قلت** فكيف موقع ثم **قلت** نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو ادم عليه السلام من قوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه **واستغفروا الله** من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم **فاذكروا الله كذكركم اباءكم** فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم **او اشد ذكرا** في موضع جر عطفا على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطفا على اباءكم بمعنى او اشد ذكرا من ابائكم على ان ذكرا من فعل المذكور **فمن الناس من يقول** معناه اكثروا ذكر الله ودعائه فان الناس بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين **ربنا اتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة **وما له في الاخرة من خلاق** اي من طلب خلاق وهو النصيب وما لهذا الداعي في الاخرة من نصيب لان همته

ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس

مقصورة على الدنيا والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الاخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء **وعذاب النار** امراة السوء **اولئك** الداعون بالحسنتين **لهم نصيب مما كسبوا** اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا **والله سريع الحساب** يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه وروي انه يحاسب الخلائق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في لمحة **في ايام معدودات** ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف **فمن تعجل** فمن عجل في النفر واستعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله شعر قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل لاجل المتاني **في يومين** بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر **ومن تاخر** حتى رمى في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز **فان قلت** كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا **قلت** دلالة على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا **فان قلت** اليس التاخر افضل **قلت** بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد القران بنفي الماثم عنهما جميعا **لمن اتقى** اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه اثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال **واتقوا الله** ليعبا بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله **من يعجبك قوله** اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس

مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَاِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا اَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا اَنْ يَاْتِيَهُمُ اللهُ

وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقى رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله انى صادق وقيل هو عام فى المنافقين كانت تحلولى السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله فى الحيوة الدنيا قلت بالقول اى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما تراد بالايمان الحقيقى والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن فى الدنيا لا فى الاخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اى قوله حلو فصيح فى الدنيا وهو يعجبك فى الدنيا ولا يعجبك فى الاخرة لما يرهقه من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما فى قلبه اى يحلف ويقول الله شاهد على ما فى قلبى من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفى مصحف ابى ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى عنك وذهب بعدما الان القول واحلى المنطق سعى فى الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهى لغة نحو ابى يابى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اى حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلى عنه ضرارا والحاحا او على رد قول الواعظ يشرى نفسه يبيعها اى يبذلها فى الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت فى صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لا ينفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال شعر السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا فى الطاعات كلها وان لا يدخلوا فى طاعة دون طاعة او فى شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا

فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰئِكَةُ وَقُضِىَ الْاَمْرُ وَاِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ سَلْ بَنِى اِسْرَائِيلَ كَمْ اٰتَيْنَاهُمْ مِنْ اٰيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَاِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ

بشئ منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقيم على السبت وان يقرا من التورية فى صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا عن ان يخرج احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول فى السلم من بعد ما جاءتكم البينات اى الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه الحق واعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروى ان قاريا قرا والله غفور رحيم فسمعه اعرابى فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتى امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتى به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فاعلموا ان الله عزيز فى ظلل من الغمام جمع ظلة وهى ما اظلك وقرئ فى ظلال وهى جمع ظلة كقلال وقلة او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب فى الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضى الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل واحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيمة كم اتيناهم من اية بينة على ايدى انبيائهم وهى معجزاتهم او من اية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهى اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت كم استفهامية او خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها فى اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويسخرون من الذين امنوا كانوا الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم فى الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اى لا يريدون غيرها ويسخرون

كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب

ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلبها والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لأنهم في عليين من
السماء وهم في سجين من الأرض أو حالهم عالية لحالهم لأنهم في كرامة وهم في هوان أو لأنهم عالون
عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني أنه
يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة
عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان أولياؤه
المؤمنون أحق بها منكم فإن قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت
ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا
ذلك كان الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا
فبعث الله وإنما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله
كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه فإن
قلت متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس أنه كان بين آدم وبين نوح
عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وأنزل
معهم الكتاب يريد الجنس أو مع كل واحد كتابه ليحكم الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه فيما
اختلفوا فيه من الحق ودين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه
من الحق إلا الذين أوتوه إلا الذين أوتوا الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف أي ازدادوا
الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه
بغيا بينهم حسدا منهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة إنصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا
فيه أي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف أم منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التقرير وإنكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين
بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا
عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات
التي هي أبلغ أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الإثبات والمعنى أن
إتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان
للمثل وهو استئناف كأن قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا
وأزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع حتى يقول
الرسول إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله أي بلغ بهم الضجر ولم
يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي
هذه الغاية دليل على تناهي الأمر في الشدة وتماديه في العظم لأن الرسل لا يقادر قدر

يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم كتب
عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام
قتال فيه قل قتال فيه كبير

ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في
الشدة التي لا مطمح وراءها ألا إن نصر الله قريب على إرادة القول يعني فقيل لهم ذلك
إجابة لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على إضمار أن ومعنى الاستقبال
لأن أن علم له وبالرفع على أنه في معنى الحال كقولك شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه إلا
أنها حال ماضية فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما أنفقتم وهم قد
سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما أنفقتم من خير
بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا
يعتد بها إلا أن تقع موقعها قال إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق
المصنع وعن ابن عباس أنه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق
من أموالنا وأين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة
وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى أن تكرهوا شيئا ثم
إما أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فإنما
هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له وإما أن يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز
وهو مكروه وقرأ السلمي بالفتح على أن يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز
أن يكون بمعنى الإكراه على سبيل المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم
ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وعسى أن تكرهوا شيئا جميع
ما كلفوه فإن النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو
خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن
جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن
عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة
الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد
استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويتذعر فيه الناس إلى معايشهم فوقف
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والأسارى وعن ابن
عباس رضي الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون
عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال
فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل
فيه كبير أي إثم كبير وعن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس
أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل

وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير و
منافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما

على أنها منسوخة بقوله تعالى واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ وأكبر
خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج
أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته
السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الإخراج أو
الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز أن يعطف على الهاء في به ولا يزالون
يقاتلونكم إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوكم
عن دينكم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة أي يقاتلونكم كي
يردوكم إن استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه إن ظفرت بي
فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه إلى
دينهم ويمت وهو على ردته أو بيده فيمت على الردة فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة لما يفوتهم بإحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وباستدامتها
والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على أن الردة لا تحبط الأعمال
حتى يموت عليها وعند أبي حنيفة أنها تحبطها وإن رجع مسلما إن الذين آمنوا
والذين هاجروا روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن
قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت أولئك يرجون رحمت الله وعن
قتادة هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وإنه
من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن
ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال
ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة
للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما إثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها
آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ
قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى فقل
من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه
موضحة فشكى إلى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما
الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي عليه السلام
لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم
جفت ونبت فيها الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت إصبعي فيها لم تتبعني
وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف

ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح
لهم خير

بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد وذهب خبثه ونصيب الشيطان حل شربه ما
دون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن
أقول مرارا هو حلال أحب إلي من أن أقول مرة هو حرام ولأن أخر من السماء فأنقطع
قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر العلماء هو حرام كالخمر وكذلك كل
ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لأنها
تسكرهما أي تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة والميسر
القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره
وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال شعر أقول لهم بالشعب
إذ ييسرونني أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور فإن قلت كيف صفة
الميسر قلت كانت لهم عشرة أقداح وتسمى الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقيب
والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب
معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة
وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم شعر لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح وأساميهن
وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس
خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على
يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح
من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما
لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء
إلى الفقراء ولا يأكلون منها شيئا ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل ويسمونه
البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج ونحوهما وعن النبي عليه السلام إياكم و
هاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي عليه السلام أن النرد والشطرنج من
الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله فيهما إثم كبير وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو
الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما إلى مصادقة الفتيان و
معاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار والافتخار
على الأبرام وقرئ إثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب
الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو أن تنفق

وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار

ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال شعر خذى العفو منى تستديمى مودتى
وقرئ بالرفع والنصب وتقال للارض السهلة العفو وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان
رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها منى صدقة فاعرض رسول
الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه
فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفه بها خذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجئ احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة
اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون
بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون
ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا
في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من
العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما
يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق
ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم
ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهو اخوانكم في الدين
ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من
المصلح اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد او اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه
ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة ولم يجوز
لكم مداخلتهم وفرطاؤس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الاصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم
بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك خذوا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على
ان يعنت عباده وحكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع فيه طاقتهم ولكن حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا
وقرئ بضم التاء اى لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن المشركات الحربيات والآية ثابتة
وقيل المشركات الكتابيات والحربيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
وهى منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة
كلها ثابتة لم ينسخ منها شئ وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروى ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث مرثد بن مرثد الغنوى الى مكة ليخرج اناسا من المسلمين
وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال لها
ويحك ان الاسلام قد حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع

ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن
فأتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة اى ولامرأة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها
مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اى يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا
ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا
الى الجنة يعنى واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما
فهم الذين يجب مواصلتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل
الذى يستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة بتيسيره
المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اى الحيض
شئ مستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن
يعنى فاجتنبوا مجامعتهن روى ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها
ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما
نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول
الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا
بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود
كانوا يعتزلونهن في كل شئ فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال
فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب
الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل
امرأته وهى حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى
زيد بن اسلم ان رجلا سال النبى عليه السلام ما يحل لى من امرأتى وهى حائض قال لتشد عليها
ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابى حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا
عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد
اى يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف
والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة
الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل من الحيض لا يقربها
حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلوة وذهب الشافعى الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر
فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم
الله من المأتى الذى امركم به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر

لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم

منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش او ان الله
يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من
جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك
حرث لكم مواضع حرثكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف
التي منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم انى شئتم تمثيل اي فأتوهن كما تأتون اراضيكم
التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن
من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا
من حيث امركم الله فأتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه
واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا
مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي
مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله فقال كذبت اليهود
ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه
وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك
القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع
البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به
هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان
هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض
فان قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم
عن الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات
سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه
قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن
كذا العرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء
من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة
دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية
على الاول ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او
احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة
البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي
المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة

اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك اي
على شيء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم
اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح فان قلت بم تتعلق
اللام في قوله لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق
بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز
ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم
به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف
مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم
واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به
في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو
الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم و
اختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف
عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر
ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم
بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم
القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس
والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة
بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله
غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم وقرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن
عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا
القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم
تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة
اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة
اشهر الا ما يحكى عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه
او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت
الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة

فإن فاءو فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

أشهر ثم يوقف المولى فإما أن يفيء وإما أن يطلق وإن أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فإن فاءو فإن فاءو في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاءو فيهن فإن الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالإيلاء وهو الغالب وإن كان يجوز أن يكون على رضى منهن إشفاقا على الولد من الغيل أو لبعض الأسباب لأجل الفيئة التي هي مثل التوبة وإن عزموا الطلاق فتربصوا إلى مضي المدة فإن الله سميع عليم وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فإن فاءو وإن عزموا بعد مضي المدة فإن قلت كيف موقع الفاء إذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لأن قوله فإن فاءو وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول فإن قلت ما تقول في قوله فإن الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب أن العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه إلا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء فإن قلت كيف جازت إرادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في أحد ما يصلح له كالاسم المشترك فإن قلت فما معنى الإخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الأمر وأصل الكلام وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فإن قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تربص أربعة أشهر وما معنى ذكر الأنفس قلت في ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لأن فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على أن يتربصن وذلك أن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء أو قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلثة أشهر فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ولأن الغرض في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها أي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت

فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع إنما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فإن قلت فما تقول في قول الأعشى شعر لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد به أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن أهله كل عام لانقحامه في الحروب والغارات وأنه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها أو من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فإن قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقا فيها قلت المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحا لما بينهم وبينهن وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال

الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثانى التى يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله **فامساك بمعروف او تسريح باحسان** تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اى برجعة او تسريح باحسان اى بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث روى ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابى حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه لما روى فى حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له ان السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلانى الذى لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله فلم ينكر عليه وروى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شىء والله لا اعتب عليه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان فى الاسلام **فان قلت** لمن الخطاب فى قوله **ولا يحل لكم ان تاخذوا** ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن **قلت** يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون **مما آتيتموهن** مما اعطيتموهن من الصدقات **الا ان يخافا الا يقيما حدود الله** الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها **فلا جناح عليهما** فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت **فيما افتدت به** نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها فى بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعينى منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة

فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شىء عليم

يعنى بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفى قراءة ابى الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن **فان طلقها** الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار فى قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين **فلا تحل له من بعد** ذلك التطليق **حتى تنكح زوجا غيره** حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح فى بنى فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد فى التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذى عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة ان امراة رفاعة جاءت الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان رفاعة طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد مسنى فقال لها كذبت فى قولك الاول فلن اصدقك فى الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجى الاول فقال قد عهدت رسول الله عليه السلام حين قال لك ما قال فلا ترجعى اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتنى بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها **فان قلت** فما تقول فى النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفيان والاوزاعى وابو عبيدة ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وجائز عند ابى حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبى صلى الله عليه وآله انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمن لا الا نكاح رغبة غير مدالسة **فان طلقها** الزوج الثانى **ان يتراجعا** ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج **ان ظنا** ان كان فى ظنهما انهما يقيما حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما فى الغد وانما يظن ظنا **فبلغن اجلهن** اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذى ينتهى به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال **شعر** كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ويتسع فى البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله و
اليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار

ولا ترى قد علم أن الإمساك بعد تقضي الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فأمسكوهن بمعروف فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة أو سرحوهن بمعروف وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن إلى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا وإلا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وبنبوة محمد عليه السلام وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم بما أنزل عليكم فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن وإما أن يخاطب به الأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطابا للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة شعر وإن قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الأجل على الحقيقة وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين إذا تراضوا إذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبي حنيفة أنها إذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللأولياء أن يعترضوا فإن قلت لمن الخطاب في قوله يوعظ قلت يجوز أن يكون لرسول الله ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمون أو والله يعلم ما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه يرضعن مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لأنه مما

بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم

يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء وتتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في المصدرية فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه إليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن يكون أمرا على الندب وإما على الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في غير المغضوب عليهم فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات وأنشد للمأمون بن الرشيد شعر فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى أنه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا تضار وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر وتضارر وقرئ بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الأعرج بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه أبو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها

أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴿٢٣٣﴾
والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴿٢٣٤﴾

وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعدما ألفها الصبي اطلب له ظئرا وما أشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده وأن يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد إرضاعه ولا يكرهها على الإرضاع وكذلك إذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز أن يكون تضار بمعنى تضر وأن تكون الباء من صلته أي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه إلى الأب بعدما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فإن قلت** كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وأنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلك الوالد **وعلى الوارث** عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة أي إن مات المولود له لزم من يرثه أن يقوم مقامه في أن يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن أبي ليلى كل من ورثه وعند أبي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الأولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والأخ وابن الأخ والعم وقيل المراد وارث الأب وهو الصبي نفسه وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الأبوين من قوله اجعله الوارث منا **فإن أرادا فصالا** صادرا **عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** في ذلك زادا على الحولين أو نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وإنما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما أما الأب فلا كلام فيه وأما الأم فلأنها أحق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي وقرئ فإن أرادا استرضع منقول من أرضع يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه إلى مفعولين كما تقول أنجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى **أن تسترضعوا** المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن أحدهما عبارة عن الأول **إذا سلمتم** إلى المراضع **ما آتيتم** ما أردتم إيتاءه كقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة وقرئ ما أتيتم من أتى إليه إحسانا إذا فعله ومنه قوله تعالى إنه كان وعده مأتيا أي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم عليه من الأجرة ونحوه وأنفقوا مما جعلكم

مستخلفين

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم ﴿٢٣٥﴾ لا جناح عليكم

مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وإنما هو ندب إلى الأولى ويجوز أن يكون بعثا على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك إصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في أمره فأمرنا بإيتائه ناجزا يدا بيد كأنه قيل إذا أديتم إليهن يدا بيد ما أعطيتموهن **بالمعروف** متعلق بسلمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن **والذين يتوفون منكم** على تقدير حذف المضاف أراد وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وهو قراءة علي عليه السلام والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي عليه السلام على أن أمره بأن يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** يعتدون هذه المدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشرا ذهابا إلى الليالي والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشرا ولو ذكرت لخرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا إن لبثتم إلا يوما **فإذا بلغن أجلهن** فإذا انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** أيها الأئمة وجماعة المسلمين فيما فعلن **في أنفسهن** من التعرض للخطاب **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح **فيما عرضتم به** هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن مبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله عليه السلام على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فإن قلت** أي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك

عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير

الكريم ولذلك قالوا شعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما تريده أو أكننتم في أنفسكم أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله أنكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فإن قلت أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى شعر ولا تقربن جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لأنه سبب فيه كما فعل بالنكاح إلا أن تقولوا قولا معروفا وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا فإن قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة أو لا تواعدوهن إلا بأن تقولوا أي لا تواعدوهن إلا بالتعريض ولا يجوز أن يكون استثناء منقطعا من سرا لأدائه إلى قولك لا تواعدوهن إلا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو أن تقول لها إن نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف إلا أن تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وإفحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا أي في السر على أن المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لأن مسارتهن في الغالب مما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس إلا أن تقولوا قولا معروفا هو أن تتواعدا أن لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الأمر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهي عنه كان الفعل أنهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب أجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من إيجاب مهر إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن أو تفرضوا لهن فريضة إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير المدخول بها إن سمي لها مهر فلها نصف المسمى وإن لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند أبي حنيفة إلا أن يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الأقل من نصف

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون

مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لأن أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها على الموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال قدره مقداره الذي يطيقه لأن ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدْر لغتان وعن النبي عليه السلام أنه قال لرجل من الأنصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها أمتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند أصحابنا لا تجب المتعة إلا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا أي متاعا واجبا عليهم أو حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه إلا أن يعفون يريد المطلقات فإن قلت أي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا أثر للعامل في لفظه وهو في محل النصب أو يعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني إلا أن تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا أو يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه أن يسوق إليها وهو مذهب أبي حنيفة والأول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة عفوا على الحق فيها نظر إلا أن يقال كان الغالب عندهم أن يسوق إليها المهر عند التزوج فإذا طلقها استحق أن يطالبها بنصف ما ساق إليها فإذا ترك المطالبة فقد عفا عنها أو سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وعنه أنه دخل على سعد بن أبي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث إليها الصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين الفضل أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن أو يعفو الذي بسكون الواو وإسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالألف لأنهما أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلاة الوسطى أي الوسطى بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها

وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا أن الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون
ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم
القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله

قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين أحدهما الوسطى إما الظهر وإما الفجر وإما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لأنها في وسط النهار وكان رسول الله يصليها بالهاجرة ولم يكن صلوة أشد على أصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لأنها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لأنها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت أن تذكر الله قائماً وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الأيدي والبصر وروي أنهم كانوا إذا قام أحدهم إلى الصلوة هاب الرحمن أن يمد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا فإن خفتم فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره فرجالاً فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام أو رجل يقال رجل ورجل أي راجل وقرئ فرجالاً بضم الراء ورجالاً بالتشديد ورجلاً وعند أبي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه إلى القبلة فإذا أمنتم فإذا زال الخوف فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الأمن أو فإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الأمن تقديره فيمن قرأ وصيةٌ بالرفع ووصية الذين يتوفون أو وحكم الذين يتوفون وصية لأزواجهم أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم ومن قرأ بالنصب الذين يتوفون ويوصون وصية كقولك إنما أنت سير البريد بإضمار تسير أو ألزم الذين يتوفون وصية يدل عليه قراءة عبد الله وكتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعاً إلى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول وقرأ أبي متاع لأزواجهم متاعاً وروي عنه فمتاع لأزواجهم ومتاعاً نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب بالفعل وعلى قراءة أبي متاعاً نصب بمتاع لأنه في معنى التمتيع

كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وأعجبني ضربك ضرباً سديداً وغير إخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعاً أو حال من الأزواج أي غير مخرجات والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهم وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشراً وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند أبي حنيفة وأصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعاً فإن قلت كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمّ المطلقات بإيجاب المتعة لهن بعد ما أوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقاً على المتقين كما قال حقاً على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري أنها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعاً وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجباً مما رأى فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياماً يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا حذراً من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم وهم ألوف فيه دليل على الألوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فإن قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فأماتهم الله وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالاً من غير إباء ولا توقف كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم يكن منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث بصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى

وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ

الى يوم القيمة والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ** يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون **عَلِيمٌ** بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء **إِقْرَاضُ اللَّهِ** مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله **أَضْعَافًا كَثِيرَةً** قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثرة لا يعلم كنهها الا الله **وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ** يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة **وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** فيجازيكم على ما قدمتم **لِنَبِيٍّ لَهُمُ** هو يوشع او شمعون او اشموئيل **ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا** انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا اميرا عليهم **نُقَاتِلْ** قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة للملك وخبر **عَسَيْتُمْ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا** والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة **وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ** واي داع لنا الى ترك القتال وقد عرض لنا فيه **وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا** وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين **إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ** قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر عدد اهل بدر **وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد **طَالُوتَ** اسم عجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشما لاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا **أَنَّى** كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فان قلت** ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما في حكم واو الحال والمعنى وكيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به لانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي

نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ** يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه **يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ** اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك **وَاللَّهُ وَاسِعٌ** الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر **عَلِيمٌ** بمن يصطفيه للملك **التَّابُوتُ** صندوق التوراة وكان موسى عليه السلم اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلم كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة **وَبَقِيَّةٌ** هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم بلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار **فان قلت** ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء **فان قلت** من آل موسى وآل هرون **قلت** الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شانهما **فَصَلَ** عن موضع كذا اذا

إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَمَّا
بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

تفصل

انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كا
وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد
ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود وروي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء
لا يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا
الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا
مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا فقال إن الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر فمن شرب
منه فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم
فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي
ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال شعر وإن
شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت
غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا
بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي إن كان نبيا كما
يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فإن قلت مم استثني قوله إلا من اغترف
قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية
كما قدم والصابئون في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه أي فكرعوا فيه إلا
قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا وهو
باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل
فلم يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول فرزدق شعر لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف
كأنه قال لم يبق من المال إلا مسحت ومجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا
بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله
والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة
لنا اليوم للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال فيرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون
به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت
بيضته فيها ثلاثمائة رطل وثبت أقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب

الوغى

الخزل الشيء القطع

وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ

بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

فيه القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود في
عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحي الى
اشموئيل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة
احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى
بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب
وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على
ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير
والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس
ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على
الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي
اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهار الآية
التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا
يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير
تعرف بقراءة كتاب واستماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت
قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم على بعض لما
اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير
سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة و
يدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على
سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
انه اراد محمدا عليه السلام لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من
الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده
لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر
دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من
الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من
فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال
فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر
زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال و

مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

لو شئت لذكرت نفسي لم يتخم آخرهم ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولى العزم من الرسل صلوات الله عليهم وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل النبي فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها **فان قلت** فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر **قلت** لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا عليه السلام هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ** مشيئة الجاء وقسر **مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ** من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا **وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ** لالتزامه دين الانبياء **وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ** لاعراضه عنه **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا** كرره للتأكيد **وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** من الخذلان والعصمة **أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ** اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ** لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه **لَا بَيْعٌ فِيهِ** حتى تبتاعوا ما تنفقونه **وَلَا خُلَّةٌ** حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ **لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ** بالرفع **الْحَيُّ** الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر و **الْقَيُّومُ** الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم و **السِّنَةُ** ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي شعر وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا تأخذه نعاس **وَلَا نَوْمٌ** وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سأل الملئكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقي عليه النعاس فضرب احدهما على الاخرى

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ

فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ** بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء **مِنْ عِلْمِهِ** من معلوماته **إِلَّا بِمَا شَاءَ** الا بما علم **الْكُرْسِيُّ** ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ** اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش **وَلَا يَئُودُهُ** ولا يثقله ولا يشق عليه **حِفْظُهُمَا** حفظ السموات والارض **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** الملك والقدرة **فان قلت** كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف **قلت** ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره **فان قلت** لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن علي عليه السلم سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي **قلت** لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد

لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتيه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي وأميت قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية

كان ذكر الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكر الله افضل من سائر الاذكار وبهذا تعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه شعر فان العرانين تلقاها محسدة **لا اكراه في الدين** اي لم يجبر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار **قد تبين الرشد من الغي** قد تميز الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة **فمن يكفر بالطاغوت** فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله **فقد استمسك بالعروة الوثقى** من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها وقيل تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما **الله ولي الذين آمنوا** اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى **يخرجهم** بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان **والذين كفروا** اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من البينات التي تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة **الم تر** تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره به **ان آتاه الله الملك** متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك **فان قلت** كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر **قلت** فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا بالعبادة **واذ قال** نصب بحاج او بدل من آتاه اذا جعل بمعنى الوقت **انا احيي وأميت** يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك

الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ **فبهت الذي كفر** اي فغلب ابرهيم الكافر وقرأ ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه او رأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارأيت **كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية** والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله **انى يحيي** اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف **وهي خاوية على عروشها** نفيما بعد **يوما او بعض يوم** بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله **لم يتسنه** لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله **فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسن** وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في السين **وانظر الى حمارك** كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه **مائة عام** من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير **ولنجعلك آية للناس** فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكبا حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة **وانظر الى العظام** هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم **كيف ننشزها** كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ ننشزها بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما

وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن
إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم مثل الذين ينفقون أموالهم
في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة
الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى
وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الأمر وقرأ عبد الله
قيل اعلم فإن قلت فإن كان المأمور مخاطبا فكيف يسوغ أن يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث
ولم يكن إذ ذاك كافرا أرني بصرني فإن قلت كيف قال له أولم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس
إيمانا قلت ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى إيجاب لما بعد النفي
ومعناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم
الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولأن علم الاستدلال
يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال
فيه للتشكيك فإن قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك
إرادة طمأنينة القلب فخذ أربعة من الطير طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن بضم
الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن إليك قال
ولكن أطراف الرماح تصورها
وقال
وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره إذا جمعه نحو ضره يضره وصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ثم
اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من
الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن
وقل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن
على أرجلهن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد أن يأخذها قلت ليتأملها
ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك
ولذلك قال يأتينك سعيا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل
أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء
يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها وقرئ
جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه حذف الهمزة ثم شدد كما يشدد في
الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف أي مثل
نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند
إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب
منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر
فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون
أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون

وغيرها وربما فرخت ساق البرة في الأراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد
لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فإن قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة
كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع أمثلة
الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء
لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين ويضاعف سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن
يستوجب ذلك المن أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا
له وكانوا يقولون إذا اصطنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وإن امرأ أسدى إلي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم
وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء
أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزال إليه ومعنى
ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل
الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فإن قلت أي فرق بين قوله لهم
أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم قلت الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثم والفرق بينهما
من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة على أن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول
معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول أو ونيل مغفرة من
الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة السائل لأنه إذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها
أذى وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذي
حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما أتبعه كالذي ينفق ماله
أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بإنفاقه
رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان
أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فأصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الأصلع إذا برق لا يقدرون
على شيء مما كسبوا لا يجدون ثوابه هباء منثورا ويجوز أن يكون الكاف في محل النصب على الحال أي لا
تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فإن قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق
قلت أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن
ينفق وتثبيتا من أنفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء
على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها
وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباع شهواتها
وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين ويجوز أن يراد وتصديقا للإسلام
وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه

أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

بالثواب من أصل أنفسهم ومن إخلاص قلبه، ومن على التفسير الأول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه، وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدًا من عند أنفسهم، ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتًا من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه، وتعضده قراءة مجاهد وتبيينًا من أنفسهم. فإن قلت فما معنى التبعيض؟ قلت معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه معًا فهو الذي ثبتها كلها: وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع، وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرًا أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فإن لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده. وقرئ كمثل حبة. بربوة بالحركات الثلاث، وأكلها بضمتين. الهمزة في أيود للإنكار، وقرئ له جنات. وذرية ضعاف والإعصار الريح التي تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء، وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله، فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنعشهم فهلكت بالصاعقة. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس في نفسي شيء منها يا أمير المؤمنين، قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك، قال ضرب مثلًا لعمل، قال لأي عمل، قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها. وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان إلى جنته، وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا. فإن قلت كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات؟ قلت النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبًا لهما على غيرهما، ثم أردفهما ذكر كل الثمرات. ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل. فإن قلت علام عطف قوله وأصابه الكبر؟ قلت الواو للحال لا للعطف، ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر، وقيل يقال وددت لو كان كذا وودت أن يكون كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر. من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم، ومما أخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

وغيرها. فإن قلت فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفًا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الأرض؟ قلت معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات. ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالإنفاق، وهو في محل الحال. وقرأ عبد الله ولا تأمموا، وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء، ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده. ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه، من قولك أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره، ويقال للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر. وقال الطرماح شعر: لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالإغماض. وقرأ الزهري تغمضوا، وأغمض وغمض بمعنى، وتغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض. وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه، وقيل إلا أن توجدوا مغمضين. وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه. وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه. أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا. وقرئ الفقر بالضم، والفقر بفتحتين. والوعد يستعمل في الخير والشر، قال الله النار وعدها الله الذين كفروا. ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور، والفاحش عند العرب البخيل. والله يعدكم في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلًا وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، أو وثوابًا في الآخرة. يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به، والحكيم عند الله هو العالم العامل. وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة، وهكذا قرأ الأعمش. خيرًا كثيرًا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير. وما يذكر إلا أولوا الألباب يريد الحكماء العلماء العمال، والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق. وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه. وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي، أو لا يفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه. ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة، ومعنى فنعما هي فنعم شيئًا إبداؤها. وقرئ بكسر النون وفتحها. وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم، والمراد الصدقات المتطوع بها، فإن الأفضل في الفرائض أن يجاهر بها. وعن ابن عباس صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفًا، وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفًا. وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة، حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف بالمال كان إخفاؤه أفضل، والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل. ويكفر قرئ بالنون مرفوعًا عطفًا على

مِن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزومًا عطفًا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعًا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعًا ومجزومًا والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرًا لكم وأن يكفر عنكم **وليس عليك هداهم** لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب **ولكن الله يهدي من يشاء** يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه **وما تنفقوا من خير** من مال **فلأنفسكم** فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم **وما تنفقون** وليست نفقتكم **إلا ابتغاء وجه الله** ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله **وما تنفقوا من خير يوف إليكم** ثوابه أضعافًا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسًا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره **للفقراء** متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم للفقراء **الذين أحصروا في سبيل الله** الذين أحصرهم الجهاد **لا يستطيعون** لاشتغالهم به **ضربًا في الأرض** للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وآله يومًا على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيًا بما فيه فإنه من رفقائي **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة **تعرفهم بسيماهم** من صفرة الوجه ورثاثة الحال **والإلحاف** الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وآله إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال

سورة البقرة

تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ

والإلحاح جميعًا كقوله شعر: على لاحب لا يهتدى بمناره، يريد نفي المنار والاهتداء به **بالليل والنهار سرًا وعلانية** يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت في علي عليه السلام لم يملك إلا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلًا وبدرهم نهارًا وبدرهم سرًا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية **الربوا** كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيهًا بواو الجمع **لا يقومون** إذا بعثوا من قبورهم **إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضًا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات **فإن قلت** بم يتعلق قوله من المس **قلت** بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربوا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربوا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض **ذلك** العقاب بسبب أنهم **قالوا إنما الربوا مثل البيع** **فإن قلت** هلا قيل إنما الربوا مثل البيع لأن الكلام في الربوا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلا درهمًا بدرهمين جاز فكذلك إذا باع درهمًا بدرهمين **قلت** جيء به على طريق المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا أنهم جعلوه أصلًا وقانونًا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله **وأحل الله البيع وحرم الربوا** إنكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه **فمن جاءه موعظة** فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا **فانتهى** فتبع النهي وامتنع **فله ما سلف** فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم **وأمره إلى الله** يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به **ومن عاد** إلى الربوا **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لأن تأنيثها غير حقيقي

يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا

ولانها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته **ويمحق الله الربوا** يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل **ويربي الصدقات** ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط **كل كفار اثيم** تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرأ الحسن بقى بقلب الياء الفا على لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير **شعر** هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف **ان كنتم مؤمنين** ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك **فاذنوا بحرب** فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة **فان قلت** هلا قيل بحرب الله ورسوله **قلت** كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله **وان تبتم** من الارتباء **فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** بالنقصان منها **فان قلت** هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا **قلت** قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون **وان كان ذو عسرة** وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرأ عثمان ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة **فنظرة** فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب كقولهم مكان عاشب وباقل اي ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة او باشره بها **الى ميسرة** الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله **شعر** واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة **وان تصدقوا خير لكم** ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة **ان كنتم تعلمون** انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء **ترجعون** قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه
وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا
فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم

تردون وقرأ ابي تصيرون وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات **اذا تداينتم** اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة **شعر** داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه **فان قلت** هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين **قلت** ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله **فاكتبوه** اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال **فان قلت** ما فائدة قوله مسمى **قلت** ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وعنه واشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية **بالعدل** متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا **ولا يأب كاتب** ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب **ان يكتب كما علمه الله** مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله **فليكتب** **فان قلت** اي فرق بين الوجهين **قلت** ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتأكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة **وليملل الذي عليه الحق** ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه **ولا يبخس منه** من الحق **شيئا** والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد **سفيها** محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف **او ضعيفا** صبيا او شيخا مختلا **او لا يستطيع ان يمل هو** او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس **فليملل وليه** الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره

فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا
ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى ان لا ترتابوا الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا
شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم

هو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من
رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي عليه
السلم لا يجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند
ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان
رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي
حنيفة فيما عدا الحد والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احديهما
ان لا تهتدي احديهما للشهادة بان نسيتها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه
مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال
سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لتلابسهما
واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة ان
تذكر احديهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه و
اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان
وقد ذكر وقرئ حمزة ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد
فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانت بمنزلة الذكر اذا ما دعوا لتحمل
الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما تشارف منزلة الكائن وعن
قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا ولا تملوا منه
عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من
كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب والضمير في
تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير
للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان
على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من
القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب
من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب
سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب
بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما
معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها
بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد
والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم

وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله
ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الارض وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير

في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم
تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا
اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كاليا لانه احوط وابعد مما عسى
ان يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة
على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن
الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول
والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار
والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان والنهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من
الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان
تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر
مسافرين وقرأ ابن عباس ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارأيتم ان وجدتم الكاتب ولم
تجدوا الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهان فالذي
يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف
ورهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول
الله صلى الله عليه وآله درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة
لكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ
المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن
مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا
من اشتراطه وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان
امن بعضكم فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان
اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن
الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث المديون على ان يكون عند ظن
الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه
وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان ينطق
بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فيقول الذؤتمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام
الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة
فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على

آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من

الفاعلية ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر انّ فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله شعر متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه

قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين

في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو ولا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال لا تؤاخذنا بالنسيان والخطأ ان فرط منا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى

ذلك وقرئ اصار على الجمع وفى قراءة أبى **ولا تحمل علينا** بالتشديد **فان قلت** اى فرق بين هذه التشديد وبين التى فى ولا تحملنا **قلت** هذه للمبالغة فى حمل عليهم تلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين **ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذى لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا **مولانا** سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا **فانصرنا** فمن حق المولى ان ينصر عبده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من الامور التى عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما دعى بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وعنه عليه السلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعنه عليه السلم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزتاه عن قيام الليل **فان قلت** هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة **قلت** لا بأس بذلك وقد جاء فى حديث النبى صلى الله عليه وآله من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن على عليه السلم خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذى لا اله غيره رمى الذى انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهى مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهى قراءة عاصم واما فتحها فهى حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف **فان قلت** كيف جاز القاء حركتها عليها وهى همزة وصل لا تثبت فى درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها **قلت** هذا ليس بدرج لان ميم فى حكم الوقف والسكون والهمزة فى حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال **فان قلت** هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين **قلت** لان التقاء الساكنين لا يبالى به فى باب الوقف وذلك قولك

هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا

هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان لالتقاء الساكنين فى حال الوقف لوجب ان يحرك الميمان فى الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر **فان قلت** انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين فى ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا **قلت** الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هى حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين **فان قلت** فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر **قلت** هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هى بمقبولة **والتورية والانجيل** اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم فى اوزان العرب **فان قلت** لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل **قلت** لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش **نزل عليك الكتاب** بالتخفيف ورفع الكتاب **هدى للناس** اى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم **فان قلت** ما المراد بالفرقان **قلت** جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التى ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله **بآيات الله** من كتبه المنزلة وغيرها **ذو انتقام** له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم **لا يخفى عليه شئ فى** العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه **كيف يشاء** من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اى صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلث مالا اذا جعلته اثلة اى اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله **محكمات** احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه **متشابهات** مشتبهات محتملات **هن ام الكتاب** اى اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها **فان قلت** فهلا كان القرآن كله محكما **قلت** لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد

إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا

الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولأن المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوة في إيقانه **فأما الذين في قلوبهم زيغ** هم أهل البدع **فيتبعون ما تشابه منه** فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق **ابتغاء الفتنة** طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم يضلوهم **وابتغاء تأويله** وطلب أن يأولوه التأويل الذي يشتهونه **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم** أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي تثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلا الله ويبتدي والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل **يقولون آمنا به** أي بالمتشابه **كل من عند ربنا** أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه **وما يذكر إلا أولوا الألباب** مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز أن يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله إن تأويله إلا عند الله وقرأ أبي ويقول الراسخون **ربنا لا تزغ قلوبنا** لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا **بعد إذ هديتنا** وأرشدتنا لدينك ولا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا **وهب لنا من لدنك رحمة** من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب **إنك جامع الناس ليوم** أي لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الأصل **إن الله لا يخلف الميعاد** معناه أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد وقرأ علي عليه السلام لن يغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حرف اللين **من الله** مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله **شيئا** أي بدل رحمته وطاعته بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك أي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقودها بالضم بمعنى أهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير **والدأب** مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة **كدأب** من قبلهم من **آل**

وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار

فرعون وغيرهم ويجوز أن ينتصب محل الكاف بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار كما توقد بهم تقول إنك لتظلم الناس كدأب أبيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وإن فلانا لمحارف كدأب أبيه تريد كما حورف أبوه **كذبوا بآياتنا** تفسير لدأبهم ما فعلوا وفعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم **قل للذين كفروا** هم مشركو مكة **ستغلبون** يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي سيغلبون **فإن قلت** أي فرق بين القراءتين من حيث المعنى **قلت** معنى القراءة بالتاء الأمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم فهو إخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد إليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون **قد كان لكم آية** الخطاب لمشركي قريش **في فئتين التقتا** يوم بدر **يرونهم مثليهم** يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله تعالى كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة أو مثلي أنفسهم **فإن قلت** هذا مناقض لقوله في سورة الأنفال ويقللكم في أعينهم **قلت** قللوا أولا في أعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله وقفوهم إنهم مسئولون وتقليلهم وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لأنه قليل بالإضافة إلى العشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقراءة ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ **فئة تقاتل وأخرى كافرة** بالجر على البدل

زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين

من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا **رأي العين** يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات **والله يؤيد بنصره** كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو **زين للناس** المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها **حب الشهوات** جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم متبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حب الشهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله **والقنطار** المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية **ذلك** المذكور **متاع الحيوة الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات** كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وينصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير **والله بصير بالعباد** يثيب ويعاقب على الاستحقاق او وبصير بالذين اتقوا وباحوالهم ولذلك اعد لهم الجنات **الذين يقولون** نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحد منها وقيد الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده انه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم **شهد الله** شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه **قائما بالقسط** مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا **فان قلت** لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه

عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن

ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح **فان قلت** اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معاشر الانبياء لا نورث **شعر** انا بني نهشل لا ندعي لاب **قلت** قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي **شعر** ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالى **فان قلت** هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو **قلت** لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فان قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو **قلت** نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فان قلت** هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية **قلت** نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط **العزيز الحكيم** صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله **فان قلت** ما المراد باولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على او بانه وقوله **ان الدين عند الله الاسلام** جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى **فان قلت** ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدتها ان لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القرآن كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي **ان الدين**

حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم

الإسلام وهو مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله فإن قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولوا العلم قلت على الضمير في شهدا وجاز لوقوع الفاصل بينهما فإن قلت لم كرر لا إله إلا هو قلت ذكره أولا للدلالة على الوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين كأنه قال لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين أوتوا الكتاب أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم أنه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لأنهم أميون ونحن أهل الكتاب وهذا تجوير لله بغيا بينهم أي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون أعقابهم لا شبهة في الإسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وآله حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الإيمان بالأنبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم أن موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني إسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله فإن حاجوك فإن جادلوك في الدين فقل أسلمت وجهي أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده ولم أجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في أسلمت وحسن للفاصل ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه فقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أسلمتم يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا إلا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف لأن

أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك

المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف إذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الإذعان وكذلك هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا أنفسهم حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى ومن الظلمة إلى النور وإن تولوا لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى وقرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة يقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن أبي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لأن لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فإن قلت لم دخلت الفاء في خبر إن قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وإن لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع إدخال الفاء لتغير معنى الابتداء أوتوا نصيبا من الكتاب يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن إما للتبعيض وإما للبيان أو حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو اللوح التوراة وهو نصيب عظيم يدعون إلى كتاب الله وهو التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت فقال على ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم كان يهوديا قال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من أحبارهم وبين من لم يسلم وأنهم دعوا إلى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك أن قوله ليحكم بينهم يقتضي أن يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام

بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف إذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء
قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت
من الحي وترزق من تشاء
بغير حساب

قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية **وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** من أن آباءهم الأنبياء
يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم **فكيف إذا جمعناهم** فكيف
يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما أعدّ لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة
في دفعه والتخلص منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما
لا يكون وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله
على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار **وهم لا يظلمون** يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في
معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسي الميم في **اللهم** عوض من يا ولذلك لا يجتمعان
وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه
لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك **مالك الملك** أي تملك جنس الملك
فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون **تؤتي الملك من تشاء** تعطي من تشاء النصيب
الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك **وتنزع الملك ممن تشاء** النصيب الذي
أعطيته منه فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل
روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال
المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع
من ذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل
عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها
المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها
ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم
وكبّر وكبّر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت
لي قصور صنعاء وأخبرني جبرئيل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا
تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى
وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت **فإن
قلت** كيف قال **بيدك الخير** فذكر الخير دون الشر **قلت** لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي
يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من
أعدائك ولأن كل أفعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء
الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي
والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه **بغير حساب** دلالة على أن من قدر
على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه
وإلى الله المصير قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا

فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب
المنزلة أنا الله ملك الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة
وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا
إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا أن يوالوا
الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق
بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله باب
عظيم وأصل من أصول الإيمان **من دون المؤمنين** يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة
عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم **ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء** ومن
يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله
رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال **شعر** تود عدوي
ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب **إلا أن تتقوا منهم تقاة** إلا أن
تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الأمير
لمضروبه رخّص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة
ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول
عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا **ويحذركم الله نفسه** فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة
أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن و
ينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته **قل إن تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوه** من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله **يعلمه الله** ولم يخف عليه شيء وهو الذي
يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم **والله
على كل شيء قدير** فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وهي ذاته
المتميزة من سائر الذوات المتصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات
كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان
حقها أن تحذر وتتقى فلا يجترئ أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع
عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على
أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن
بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال
من علم أن العالم بالذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا
نعوذ بك من اغترارنا بسترك **يوم تجد** منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي

وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين إن الله اصطفى آدم ونوحا
وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ۝

القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله
أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما
عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه
ولا يصح أن يكون ما شرطية لارتفاع تود فإن قلت فهل يصح أن تكون ما شرطية على
قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه
حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف ما
عملت على ما عملت وتكون تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها و
بين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرءونه
ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني و
بينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون
عنه والله رءوف بالعباد يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من
الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه
واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أنه يريد أنه مع كونه محذورا
لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم محبة العباد
لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده
أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح
ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف
سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه
مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما
محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة
معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها
وربما رأيت المني قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه
قد ملئوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من
حبه يحبه قال شعر أحب أبا ثروان من حب تمره وأعلم أن الرفق بالجار أرفق
ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان أدنى من عبيد ومشرق فإن تولوا يحتمل
أن يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول
لهم آل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن
يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة

ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما
وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى ۝

وذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة
بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث
وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من إسحق وإسحق من إبراهيم وكذلك
عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشى بن يهوذا بن يعقوب
بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بعضها من بعض
في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح
للاصطفاء أو يعلم أن بعضهم من بعض في الدين وسميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها و
إذ منصوب به وقيل بإضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة
عيسى عليه السلم وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت امرأة عمران على إثر قوله وآل عمران ترجح
أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه أن موسى يقرن بإبراهيم كثيرا
في الذكر فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران
بن ماثان مريم التي هي أخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو
البتول لأن زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع
أخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينا
هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم
إن لك علي نذرا شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته
وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي
عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي
أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن يفعل وبين أن لا يفعل وعن
الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان وإنما بنت الأمر على التقدير
أو طلبت أن ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن
ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة فإن قلت كيف
جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الأنثى أنثى قلت
الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما
أنث الاسم في ما كانت أمك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما
على تأويل الحبلة أو النسمة فظاهر كأنه قيل وضعت الحبلة أو النسمة أنثى فإن قلت
فلم قالت إني وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما
رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر
أن تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن

وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ

قال الله تعالى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعتِ على خطاب الله لها اي انكِ لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعتُ بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعه طلب الاستعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي شعر لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا فرضي بها في النذر مكان الذكر بِقَبُولٍ حَسَنٍ فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى النهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن وهو الاختصاص

إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا

ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي شعر وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن وعملها وكفّلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمنها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبّلْها ربَّها وانبتْها وكفّلْها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها بمعنى فتقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلم محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل الْمِحْرَابَ اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أَنَّى لَكِ هَذَا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وآله انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلم رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها عليه السلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ من جملة كلام مريم عليها السلم او من كلام رب العزة عز من قائل بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هُنَالِكَ في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذُرِّيَّةً ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سَمِيعُ الدُّعَاءِ مجيبه وقرئ فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل

أَنَّ اللهَ بالفتح على بأن الله يبشرك وبالكسر على إرادة القول أو لأن النداء نوع من القول وقرئ يُبَشِّرك ويُبْشِرك من بشّره وأبشره ويَبْشُرك بفتح الياء من بشره ويحيى إن كان أعجميًّا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وإن كان عربيًّا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقًا بكلمة من الله مصدقًا بعيسى مؤمنًا به قيل هو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدًا الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقًا لقومه وفائقًا للناس كلهم في أنه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورًا الذي لا يقرب النساء حصرًا لنفسه أي منعًا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الأخطل شعر وشارب مربح بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوّار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي أنه مرّ وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئًا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنًا من جملة الصالحين كقوله وإنه في الآخرة لمن الصالحين أنى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم أدركته السن العالية والمعنى أثّر فيّ الكبر وأضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون كذلك أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له أي يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات آية أي علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة إذا جاءت بالشكر قال آيتك ألا تقدر على تكليم الناس ثلاثة أيام وإنما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار يعني في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة فإن قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرًا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية لأجله كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقًّا من السؤال ومنتزعًا منه إلا رمزًا إلا إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب إلا رُمُزًا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رَمَزًا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله شعر متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا بمعنى إلا مترامزين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ

الشمس إلى أن تغيب والإبكار من طلوع الشمس إلى وقت الضحى وقرئ والأبكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار يقال أتيته بكرًا بفتحتين فإن قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلامًا ويجوز أن يكون استثناء منقطعًا يا مريم روي أنهم كلموها شفاهًا معجزة لزكريا عليه السلام أو إرهاصًا لنبوة عيسى اصطفاك أولًا حين تقبلك من أمك وربّاك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الأفعال ومما قذفك به اليهود واصطفاك آخرًا على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة وأركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فأمرت بأن تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي فإن قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم قلت كان معلومًا عندهم علمًا يقينًا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم أقلامهم أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركًا بها إذ يختصمون في شأنها تنافسًا في التكفل بها فإن قلت أيهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون المسيح من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركًا أينما كنت وكذلك عيسى معرب من أيشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فإن قلت إذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من وإذ قالت الملائكة ويجوز أن يبدل من إذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فإن قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لأن الأنبياء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فإن قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لأن المسمى به مذكر فإن قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن

قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن

ولقب وصغر قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه إلى السماء وصحبته الملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء ومن بدع التفاسير أن قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ويعلمه عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق وهو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فإن قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله تعالى أني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضائق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على إرادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة أني قد جئتكم أصله بأني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل وأني أخلق نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أي أقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال النابغة الذبياني شعر كالهبرزي ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الأكمه الذي ولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده وكرر بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي أنه أحيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تدخرون بالدال والتخفيف ولأحل رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك و

سورة آل عمران

إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر

الطير ما لا صيصية له واختلفوا في إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى صلوات الله عليه لأن ذكر التوراة يدل عليه لأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي إن الله ربي وربكم لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض فإن قلت كيف جعل هذا القول آية من ربه قلت لأن الله تعالى جعله علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لجئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فيما أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما أحس فلما علم منهم الكفر علما لا اشتباه فيه كعلم ما يدرك بالحواس إلى الله من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال شعر فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي وهو كثير الحيلة وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة محمد صلى الله عليه وآله لأنهم شهداء على الناس ومكروا أي الكفار من بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر بأن وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب إذ قال الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله

ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من

والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت
في السماء امن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي
اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام
وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم
بينكم تفسير الحكم قوله فاما الذين فيوفيهم اجورهم وقرئ فنوفيهم ذلك اشارة الى ما سبق
من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب
ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو من سببه او كانه
ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله ان شان عيسى وحاله الغريبة كشان
ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى في حاله الغريبة بادم اي
خلق ادم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه
به وقد وجد هو بغير اب ووجد ادم بغير اب وام قلت هو مثله في احد الطرفين
فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة في بعض الاوصاف
ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران
ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه
الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب
مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فادم اولى منه لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان
عيسى احيا اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا يبرئ الاكمه والابرص
فقال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا
من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر فيكون حكاية حال
ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس
ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله عن ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات
والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد
ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء
بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع
كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل نتباهل بان
نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله
لعنه وابعده عن رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها

واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا و
روي انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا
للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر
النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف
دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله
وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على
وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان
نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما
للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة
ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي
اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران
واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا
وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه واله خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود
فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا لتبين
الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء و
النساء قلت ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا
على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه
له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال
ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب
وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع الظعائن
في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر
على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس
مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

على صحة نبوة النبي عليه السلام لانه لم يرو واحد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق وقرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيه القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعدما ظهر وزعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هؤلاء انتم على الاستفهام فقلبت الهمزة

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى

ها ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم برا ابرهيم مما نسبوه اليه فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم واراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بايات الله التورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها ايات الله او تكفرون بالقران ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين وتكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق وقرئ تلبسون بالتشديد وقرا تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله شعر اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وجه النهار اوله شعر من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في اخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل الكتاب الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعهم وقيل تواطا اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت فظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في اخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى لا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم

مَن إِن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ
عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ

القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فإن قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلتكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم بمعنى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانكم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع سواهم لأن إسلامهم كان أغيظ لهم وقوله أن يؤتى أحد معناه لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألأن يؤتى أحد فإن قلت فما معنى قوله أو يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز أن يكون هدى الله بدلا من الهدى وأن يؤتى أحد خبر إن على معنى قل إن هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى أحد على إن النافية وهو متصل بكلام أهل الكتاب أي ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجوكم ويجوز أن ينتصب أن يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لأن قولهم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم إنكار لأن يؤتى أحد مثل ما أوتوا عن ابن عباس من إن تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم إلا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف والرفع إلى الحاكم وإقامة البينة وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير صلة وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لم يؤده أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون

سورة آل عمران

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى
اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا

ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لنا في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل إنهم إذا أدوا الجزية لم يحل أكل أموالهم إلا بطيبة أنفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن ذلك في كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون بلى إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من أوفى بعهده جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع إلى من أوفى على أن كل من أوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه فإن قلت فهذا عام يخيل أنه لوفى أهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت أجل لأنهم إذا وفوا بالعهود وفوا أول كل شيء بالعهد الأعظم وهو ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز أن يرجع الضمير إلى الله تعالى على أن كل من وفى بعهد الله واتقى الله فإن الله يحبه ويدخل في ذلك الإيمان بالله وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء فإن قلت فأين الضمير الراجع من الجزاء إلى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيراء الراهب وبظرائهما من مسلمة أهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله وقيل جاءت جماعة من اليهود إلى كعب بن الأشرف في سنة أصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت أن أميركم وأكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا إليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح وما رهم وعن الأشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال شاهداك أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر

لنبي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب فقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير في بعهده الى الله **ولا ينظر اليهم** مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه **ولا يزكيهم** ولا يثني عليهم **فان قلت** اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه **قلت** اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيما لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر **لفريقا** هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم **يلوون ألسنتهم بالكتاب** يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون وجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففاها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **فان قلت** الام يرجع الضمير في لتحسبوه **قلت** الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمين من الكتاب **ويقولون هو من عند الله** تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يوَرّون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر** تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة **ولكن كونوا ربانيين** ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم **بما كنتم**

سبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجبا ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلّمون من التعليم وتعلَمون من التعلم **تدرسون** تقرؤن وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرسون على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل ويجوز تَدَرّسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ **ولا يأمركم** بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان يجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله **ما كان لبشر** والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له **وما يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا** كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم للانكار **بعد اذ انتم مسلمون** دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له **ميثاق النبيين** فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابيّ وابن مسعود **واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب** واللام في **لما آتيتكم** لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي **لتؤمنن** لام جواب القسم وما يحتمل ان يكون المتضمنة لمعنى

وَاِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيّٖنَ لَمَا اٰتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاۤءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهٖ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَاَقْرَرْتُمْ وَاَخَذْتُمْ عَلٰى ذٰلِكُمْ اِصْرٖى قَالُوا اَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَاَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدٖينَ فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ فَاُولٰۤئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ اَفَغَيْرَ دٖينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ وَلَهُ اَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَاِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب الشرط وان تكون موصولة بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول **مصدق لما معكم لتؤمنن به** على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقكم لتؤمنن بالرسول **ولتنصرنه** لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة **فان قلت** كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم **قلت** بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى **اصري** عهدي وقرئ اصري وسمي اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار **فاشهدوا** فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار **وانا على ذلكم** من اقراركم وتشاهدكم **من الشاهدين** وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى بعد ذلك** الميثاق والتوكيد **فاولئك هم الفاسقون** اي المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون **افغير دين الله يبغون** ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال عليه السلام كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء **وترجعون** بالتاء وهو قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا **طوعا** بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه **كرها** بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر

قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين

بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه **فان قلت** لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء **قلت** لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين والاخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا **ونحن له مسلمون** موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا ثم قال **ومن يبتغ غير الاسلام** يعني التوحيد واسلام الوجه لله **دينا فلن يقبل منه من الخاسرين** من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام **كيف يهدي الله قوما** كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم **كفروا بعد ايمانهم** وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت **فان قلت** علام عطف قوله وشهدوا **قلت** فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر **شعر** ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق **والله لا يهدي** لا يلطف **بالقوم الظالمين** المعاندين الذين علموا ان اللطف لا ينفعهم **الا الذين تابوا من بعد ذلك** الكفر العظيم والارتداد **واصلحوا** ما افسدوا او ودخلوا في الصلاح قيل ذلك في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توبته **ثم ازدادوا كفرا** هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل **بعد ايمانهم** بموسى والتوراة **ثم ازدادوا كفرا** بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة **فان قلت** قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم **قلت** جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل

وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني

توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل إن اليهود أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم **فإن قلت** فلم قيل في إحدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الأخرى فلن يقبل **قلت** قد أوذن بالفاء أن الكلام بني على الشرط والجزاء وأن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء أن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم **فإن قلت** فحين كان لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره إلى الموت على الكفر **قلت** كم من مرتد مزداد للكفر يرجع إلى الإسلام ولا يموت على الكفر **فإن قلت** فأي فائدة في هذه الكناية أعني أن كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة **قلت** الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وإبراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الأحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر إنما يخاف من أجل اليأس من الرحمة **ذهبا** نصب على التمييز وقرأ الأعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال **فإن قلت** كيف موقع قوله **ولو افتدى به** قلت هو كلام محمول على المعنى كأنه قيل فلن تقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ويجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله **شعر** ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك أن المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد **فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا** كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لن يقبل منه وقرئ فلن نقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الأرض بتخفيف الهمزتين **لن تنالوا البر** لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه **حتى تنفقوا مما تحبون** حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال عليه السلام بخ بخ ذاك مال رابح أو مال رايح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله أسامة بن زيد

على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ...

فكأن زيدا وجد في نفسه وقال إنما أردنا أن نتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما إن الله قد قبلها منك وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** فأعتقها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير إبلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على أن من في مما تحبون للتبعيض ونحوه أخذت من المال ومن في **من شيء** لتبيين ما تنفقوا أي من أي شيء كان طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه **فإن الله به عليم** بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه **كل الطعام** كل المطعومات أو كل أنواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة أحللته لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى والذي حل لهم والذي **حرم إسرائيل** وهو يعقوب عليه السلام **على نفسه** لحوم الإبل وألبانها وقيل العروق كان به عرق النساء فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه فحرمه وقيل أشارت إليه الأطباء باجتنابه ففعل وذلك بإذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني إسرائيل **من قبل إنزال التوراة** وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه أبوهم إسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم إلى قوله عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا بأول من حرمت عليه وما هو إلا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى إبراهيم ومن بعده من بني إسرائيل وهلم جرا إلى أن انتهى التحريم إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربوا وأخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها** أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي أنهم لم يجسروا على إخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وعلى جواز النسخ الذي

ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال
التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا
ينصفون انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقولك لذلك
جرى بيننا ثم بيعهم وانا الصادقون اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن معه حتى تتخلصوا
من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله
لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس
صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية
الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال اول
متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه سئل عن اول مسجد وضع
للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن
علي عليه السلم ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع
للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناها ابرهيم ثم بناه قوم
من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو
اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء
والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض
تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف
حول هذا البيت فلقد طفنا بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات للذي ببكة
للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه ونحوه قولهم النبيط و
النميط في اسم موضع بالدهنا ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مخطة
ومعبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه
لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي
بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال شعر
اذا الشريب اخذته الاكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها
لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف
عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف
لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات

بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده
بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلم من تاثير
قدمه في حجر صلد كقوله ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم
في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية
وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلم آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة
اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلثة والاربعة ويجوز ان
يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات منها
مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير شعر كانت حنيفة اثلاثا
فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلم حبب الي من دنياكم
ثلث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر
المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع
وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان
للآيات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت
اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه
آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان امنا
صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر
قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على
هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل
حتى تغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى
غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه و
معنى ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلم رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جر كل
جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه
وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض
له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار
وعن النبي عليه السلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلم الحجون و
البقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
رض وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت

ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا

من جهتهم ميسرة ماتي عام من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن
ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه
ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر
عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع
فقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا
فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل مأتى الى الشيء فهو سبيله وفي
هذا الكلام انواع من التأكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه
حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس
ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد احدهما ان الابدال تثنية
للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له
في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج و
لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك
مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه
من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء
لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة
عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي
انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم
فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل
قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وآله و
سلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا
قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت
قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر لو ترك الناس
الحج عاما ما نوظروا او قرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون
بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها
وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته وقرأ الحسن تصدون من اصده
من سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا
يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم و

وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم

اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم

وقيل ان اليهود والاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة
والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة
فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس
حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله عن
وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من
وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها
الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم
امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال وقيل مر شاس
بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار
من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي
كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما
اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا
وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فخرج اليهم فيمن معه من
المهاجرين والانصار فقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله فما
كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الانكار
والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم
على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم و
من يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع
شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا
فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه و
ما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا
في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا يأخذه في الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حتى يخزن لسانه و
التقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال

وَكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

الاسلام اذا ادركم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه وقت الاتيان قوله واعتصموا بحبل الله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او اجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه واله القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفاها الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال شعر كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو والا انما في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفير الجانب والجانبه فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فانه قد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ

الله عليه واله انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي عليه السلام افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ غضب لله وغضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد الآلة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت من يباشر قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير مكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم
امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم

وأشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكروا وقرئ تبيض و
تسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن
كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته و
اشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون
وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله
وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله أكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب
من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم
به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة
والنضير وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج و
لما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم
السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله
برأيك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شانك
دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيدي
فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما
اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمة
الله وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة
الله قلت موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق
والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرمه
او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى لا يريد
شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها كان
عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق
ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كأنه
قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة
موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كما تقول
زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب
به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او
عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه وكأنه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل

لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من
الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير
حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون

عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما
آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة و
الاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان
من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون
في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم
نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم
وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم
الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف
في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كأنه قيل ثم اخبركم انهم
لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم
كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي اخبركم
عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح
ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما
الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم
لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم
اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت
هما كلامان واردان على سبيل الاستطراد عند اجراء ذكر الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من
شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين
او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة
في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز
لهم قط الا في هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءو بغضب من الله استوجبوه
وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود
عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اي
ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك
كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق
سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا
واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل والضمير في ليسوا سواء لاهل
الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان

وما يفعلون من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم امولهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم

قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القران فى ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رض اخر رسول الله صلى الله عليه واله صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لامة اى امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به واثر الفور على التراخى اولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن يكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر فى قوله والله شكور حليم فى معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان كانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروا بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال شعر لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ترثى توبة شعر ولم يغلب الخصم الالد ويملا الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر فى صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثانى ان يكون الصر مصدرا فى الاصل بمعنى البرد فجىء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعنى فلان ففى الله كاف وكافل وقال شعر وفى الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذى حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا فى عداوة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكت عقوبة

سورة ال عمران

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة

لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت فلم قال ظلموا انفسهم ولم يقل اصابت الحرث واصابت حرث قوم قلت لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشىء يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شىء وحرث الكافرين الظالمين هو الذى يذهب على الكلية لا منفعة لهم فى الدنيا ولا فى الاخرة واما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا انه لا يذهب معنى لما فيه من حصول الاعواض لهم فى الاخرة والثواب على الصبر على الذهاب فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا فى قلة جدواه وضياعه بالحرث الذى ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو تشبيه المركب الذى مر فى تفسير قوله كمثل الذى استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم بظلمهم اياهم ولا يجوز ان يراد ولكن انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز فى الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذى يفضى اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وعن النبى صلى الله عليه واله وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال الا فى الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا الوك نصحا ولا الوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اى تمنوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفى قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير مانعيكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان يكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه انتم مبتدا واولاء خبره اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة منافقى اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم

وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم
أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة

بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء. وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته
والواو في وتؤمنون واو الحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون
بكتابهم كله وهو مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ
شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما
لا يرجون. ويوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام قال الحارث بن
ظالم المري **شعر** فأقتل أقواما لئاما أذلة ۞ يعضون من غيظ رؤس الأباهم **قل موتوا**
بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم
من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار **إن الله عليم بذات الصدور**
فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم
ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول وخارج منها **فإن قلت** فكيف معناه على الوجهين **قلت**
إذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل
لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا
من أسراركم يخفى عليه وإذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي إياك على
ما يسرون فإني أعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم ولم يظهروه بألسنتهم
ويجوز أن لا يكون ثم قول وأن يكون قوله قل موتوا بغيظكم أمرا لرسول الله صلى الله عليه وآله
بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم
كأنه قيل حدث نفسك بذلك **الحسنة** الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع
والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم ما نالهم من الخير
ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة **فإن قلت** كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالإصابة
قلت المس مستعار لمعنى الإصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله إن تصبك حسنة
تسؤهم وإن تصبك مصيبة ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن
نفسك إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا **وإن تصبروا** على عداوتهم **وتتقوا**
ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه
كنتم في كنف الله **لا يضركم كيدهم** وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ولا يضركم على أن ضمة الراء
لإتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا
تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء إذا
أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك **إن الله بما تعملون** من الصبر والتقوى
وغيرهما **محيط** ففاعل بكم ما أنتم أهله وقرئ بالياء بمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم
عليه **واذكر إذ غدوت من أهلك** بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة روي

أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه ودعا عبد الله
بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول
الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا
إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم
الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام
إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته
هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد
اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا
بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وآله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول
الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد
صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت النصف من شوال فمشى على رجليه
فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان
نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا **تبوئ المؤمنين** تنزلهم وقرأ عبد الله
للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ **مقاعد للقتال** مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد و
قام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد
صدق قبل أن تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك **والله سميع** لأقوالكم **عليم**
بنياتكم وضمائركم **إذ همت** بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم **والطائفتان** حيان
من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم
الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم
قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن
ابن عباس أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة
وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات
والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الإطنابة **شعر** أقول لها إذا جشأت
وجاشت ۞ مكانك تحمدي أو تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كنت

أضع رحلي في الركاب يوم صفين فما ثبت شيء إلا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز أن يراد والله ناصرهما و
متولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فإن قلت ما معنى ما روي من قول
بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه وليهما
قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة
بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها
والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم
بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر
لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والأذلة جمع قليل والذلان جمع الكثرة وجاء
بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح
والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان
معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة
زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقويكم
ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع
الإنعام لأنه سبب له إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ
غدوت على أن يقول لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيهم الملائكة
قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا
أمر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد
بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم إنكار
أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار
بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر بلى إيجاب لما بعد
لن بمعنى بلى يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر
من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك
قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول
أبي حنيفة الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعويج على شيء من صاحبها فقيل خرج من
فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة
في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم و

وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا
خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء و

اتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو
وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على
أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن
مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة
الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه
تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله الهاء لأن يمدكم أي وما جعل الله إمدادكم
بالملائكة إلا بشرى لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة
بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من
عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط
على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من
المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم
بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم
ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول
أبي الطيب لأكبت حاسدا وأرى عدوا هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد
نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله أو يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الأمر
شيء اعتراض والمعنى أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو
يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم
وقيل أو يتوب منصوب بإضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء أي
ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم
أو تعذيبهم وقيل أو بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي على معنى ليس لك من أمرهم
شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص
يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه
الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت و
قيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا
يشاء أن يغفر إلا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب
وعن عطاء يغفر لمن يتوب إليه ويعذب من لقيه ظالما وإتباعه قوله أو يتوب عليهم أو يعذبهم
فإنهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وأنهم المتوب عليهم أو الظالمون ولكن أهل الأهواء والبدع
يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون أنفسهم بما يفترون

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء

على ابن عباس من قولهم يهب الله الذنب الكبير ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا الربوا
أضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين
محله زاد في الأجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا النار التي أعدت
للكافرين كان أبو حنيفة يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة
للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه فقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته
بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تأمل هذه الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه
بالأطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وإن قال الناس ما
قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله وعزة
التوصل إلى رحمته وثوابه في مصاحف أهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون
بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على
ما تستحقان به عرضها السموات والأرض أي عرضها عرض السموات والأرض والمراد
وصفها بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص
العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس
كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال
الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتي الحالين ما قدروا عليه
من قليل وكثير كما يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة أنها تصدقت
بحبة عنب وفي جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال مسرة أو مضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور
ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان أحدهم في عرس أو حبس فإنه لا
يدع الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان
في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا وعن عائشة أن خادما لها غاظها
فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد
وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن
عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وآله أن هؤلاء
في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز
أن يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن يكون
للعهد فيكون إشارة إلى هؤلاء والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والتائبين

ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة

وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك فاحشة
فعلة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل
الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله ذكروا عقابه ووعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله
الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين
ومن يغفر الذنوب إلا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب من
الذنب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة
للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز
وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن
الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة
وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير
مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم
سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم يعلمون حال من
فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون
بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع
على أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين
منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال أجر العاملين بعد
قوله جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك
جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى
عليه السلام ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن
حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء
الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي
وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد ترجو
النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه
الله في الأمم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم
لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس إيضاح لسوء
عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار
بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه بيانا وتبيينا

إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله
لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا

للمكذبين وفيه زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هو بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرح قرئ بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبل يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وتلك الأيام تلك مبتدأ والأيام صفته ونداولها خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الأيام تبلي كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب شعر فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي أمثالهم الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذن وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال شعر يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو
قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا

فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالما بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمه موجودا منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلى به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله المخلصين من الذنوب التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله يعني ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله في الخروج إلى المشركين وكان رأيه الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا صعوبته ومقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى

عدو الله وتشفيا لصا عنه ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين مضى الى موته وقتله رد كبر الله شعر لكنني اسئل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا * او طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا * حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * ارشدك الله من غاز وقد رشدا * لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا فجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه **افان مات** الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه **فان قلت** لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزا عند المخاطبين **فان قلت** اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص العلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وآله واسلامه **فلن يضر الله شيئا** فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه

١١٠

وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب

المضار والمنافع **وسيجزي الشاكرين** الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا والمعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا **الا باذن** من **الله** وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل **كتابا** مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا **مؤجلا** موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر **ومن يرد ثواب الدنيا** تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد **نؤته منها** اي من ثوابها **وسنجزي** بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل **ربيون** او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه يعني قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ **فما وهنوا** بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي **وما ضعفوا** عن الجهاد بعده **وما استكانوا** للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حتى ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان **وما كان قولهم** الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة **فآتيهم الله ثواب الدنيا** من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص **ثواب الآخرة** بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة **ان تطيعوا الذين كفروا** قال علي عليه السلام نزلت في قول المنافقين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم **بل الله مولكم** اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولكم **سنلقي** قرئ بالنون والياء و**الرعب** بسكون العين وضمها قيل قذف الله

بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا
فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم

في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا
الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون
ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما
اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به
سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كأن هناك حجة حتى ينزلها الله
فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا
يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله شعر ولا ترى
الضب بها ينجحر لقد صدقكم الله وعده وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله
وان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله سنلقي
في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى
المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة
عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل
المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا و
المسلمون على آثارهم تحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن و
ضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال
بعضهم لا نخالف امر رسول الله فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون
العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين
ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت
الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط
منكم من عصيانكم امر رسول الله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل
عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة
فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون
المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار
اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال
اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ
تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في
السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء

والرسول

ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون
هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال الى مضاجعهم

يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في
ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في
اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فأثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله
غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا
بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر
المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال
الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون
الضمير في فأثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة
وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتم لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على
عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو وانزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم
الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا
فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته
وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل
الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كأنها المرة من
الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك
رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي
امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة
طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم
الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم
في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتباث غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون
بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك
ظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان
يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون
لرسول الله يسألونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل لنا معشر المسلمين من الله نصيب قط يعني
النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب
الله لاغلبن انا ورسلي انا جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه

وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا

يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وفيما يبطنون على النفاق **يقولون في انفسهم** او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله **لو كان لنا من الامر شيء** لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة **قل لو كنتم في بيوتكم** يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم **لبرز** من بينكم **الذين** علم الله انهم يقتلون الى **مضاجعهم** وبنى مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأى عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة **قل ان التدبير كله لله** يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ **كتب عليهم القتال** وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل وليبرز بالتشديد وضم الياء **وليبتلي الله** وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص **وليمحص ما في قلوبكم** من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص **فان قلت** كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة **قلت** قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون **فان قلت** كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن **قلت** كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه **ويخفون** حال من يقولون و**قل ان الامر كله لله** اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا **فاستزل** طلب منهم الزلل ودعاهم اليه **ببعض ما كسبوا** من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرتهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها لجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية **فان قلت** لم قيل ببعض ما كسبوا هو كقوله **ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم** لتوبتهم واعتذارهم **والله غفور** للذنوب

ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت

حليم لا يعاجل العقوبة **وقالوا لاخوانهم** اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب **اذا ضربوا في الارض** اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها **او كانوا غزى** جمع غاز كعاف وعفى في قوله شعر عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة **فان قلت** كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا **قلت** هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض **فان قلت** ما متعلق ليجعل **قلت** قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا **او لا تكونوا** بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده **ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم** خاصة ويصون منها قلوبكم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون **ذلك** اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم **والله يحيي ويميت** رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء **والله بما تعملون بصير** فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا **لمغفرة** جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك **لالى الله تحشرون** كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله **خير مما تجمعون** من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات **ما** مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعدما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه **ولو كنت فظا غليظ القلب** جافيا قاسيه **لانفضوا من حولك** لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم **فاعف عنهم** فيما يختص بك **واستغفر لهم** فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم **وشاورهم في الامر** يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم

ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأويه

انه قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رأيت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزته وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من التأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال النبي عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم واغل الجازر اذا اخذ من اللحم شيئا مع الجلد والحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وقوله ليس على المستعير غير المغل ضمان وقوله لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى ما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يسترب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي عليه السلام الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل

لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا

عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد به بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم درجات عند الله اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله شعر انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب اخذه عليهم وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وقراءة فاطمة عليها السلام من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وآله وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلوا عليهم آياته بعد ما كانوا

قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون
الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ولا تحسبن الذين

أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل يأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم وإن كانوا من قبل قبل بعثة الرسول لفي ضلال إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه أولما أصابتكم مصيبة يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم قد أصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين ولما نصب بقلتم وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لأنه مفعول والهمزة للتقرير والتقريع فإن قلت فعلام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز أن تكون معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ أنى هذا من أين هذا كقوله أنى لك هذا قل هو من عند أنفسكم وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز وعن علي عليه السلام لأخذكم الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤذن لكم إن الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى أن يصيب بكم تارة ويصيب منكم أخرى وما أصابكم يوم أحد يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فهو كائن بإذن الله أي بتخليته استعار الإذن لتخلية الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لأن الإذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم إلى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ فقسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن لهم غرض في الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له ذلك وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله أو ادفعوا أراد كثروا سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون المعنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم

قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لأفواههم والله أعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون جرا بدلا من الضمير في بأفواههم أو قلوبهم كقوله شعر على جوده لضن بالماء حاتم لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا إخواننا فيما أمرناهم من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فإن قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم صادقين قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لأن أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم أن سبب نجاتكم القعود وأنكم صادقون في مقالتكم وما أنكرتم أن يكون السبب غيره ووجه آخر إن كنتم صادقين في قولكم لو أطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دافعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله أو لكل أحد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله أو ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي ولا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فإن قلت كيف جاز حذف المفعول الأول قلت هو في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله أحياء أي هم أحياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء عند ربهم

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون

مقربون عند ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون فرحين مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانهم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى المؤمنين بالفوز في المآل وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وإن الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدأ خبره للذين أحسنوا أو صفة للمؤمنين أو نصب على المدح روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة إن أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم إني

واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريدا فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر بأبي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكان معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الأول هم المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه فإن قلت كيف قيل الناس إن كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد فرد ولأنه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فإن قلت إلام رجع المستكن في فزادهم قلت إلى المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كأنه قيل لهم هذا الكلام فزادهم إيمانا أو إلى مصدر قال كقولك من صدق كان خيرا له أو إلى الناس إذا أريد به نعيم وحده فإن قلت كيف زادهم نعيم أو مقوله إيمانا قلت لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد الإيقان بتناصر الحجج ولأن خروجهم على أثر تثبيطه إلى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الإيمان لأن الإيمان اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله إن الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر أنه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد إيمانا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله أي كافينا يقال أحسبه الشيء إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فازوا به وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم يعني إنما ذلكم المثبط هو

الشيطان يخوف أولياءه جملة مستأنفة بيان لشيطنته

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ
لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ

او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم وابو سفيان ويجوز
ان يكون على تقدير حذف المضاف يعني انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف
اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود
يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وقيل هم اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله
عليه وآله فان قلت فالام يرجع الضمير في تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان
الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي
وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف
الناس ولا تخشون احدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة
وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك
ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك
ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في
الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله
ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك
ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة
في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق
معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه
حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون
تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول
خاصا فيمن نافق من المتخلفين وارتد من الاسلام او على العكس شيئا نصب على المصدر
لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم
خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب
عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا
وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف
ويتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين
ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل
والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك
على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء
خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل
متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول

ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او
قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة
مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا
اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة
للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة
الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء
وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب
قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله
وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء
على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا
ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه
ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة
بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه
ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قال ليزدادوا اثما معدا لهم
عذاب مهين اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين حتى
يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميزه وفي رواية عن
ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل
الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من
اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا
فيميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب
اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص
الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله
الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص
فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم
مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص
الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك
عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلوب بعض من طريق الاستدلال
لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما
كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق
ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا

عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الأعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي عليه السلام في مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والأرض أي وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالياء والتاء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر قالت اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو إما أن يقولوا عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فإن قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي إن الله فقير حين سألنا القرض فلطمه أبو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحو قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بأن نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما أذاقوا المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه أحس وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب

كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ١١٧
لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن

بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والأعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك إشارة إلى ما تقدم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب فإن قلت فلم عطف قوله وأن الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد إلينا أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهي أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني إسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذا دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهي إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوزون تعيينه الله تعالى من بين الآيات وقد ألزمهم الله تعالى أن أنبياءهم جاؤوهم بالبينات الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاؤوهم أيضا بهذه الآية التي اقترحوها فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين أن الإيمان يلزمكم بإتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فإن قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتم من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا أي لمعنى ما قالوا في مصالحة أهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والإنجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرأ اليزيدي ذائقة الموت على الأصل وقرأ الأعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا فإن قلت كيف اتصل به قوله وإنما توفون أجوركم قلت اتصاله به على أن كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور فإن قلت فهذا يوهم نفي ما يروى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الأجور فمن زحزح التنحية والإبعاد وتكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمدي ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وآله من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه له قتادة وزاد أنه والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما
يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم

أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها
وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها
نفسه والبلاء في الأنفس القتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أنواع المخاوف و
المصائب وفي الأموال الإنفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من أهل
الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب
بن الأشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فإن
ذلك فإن الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه
من الأمور أو مما عزم الله أن يكون يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن تصبروا
وتتقوا وإذ أخذ الله اذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب أكد
عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ
وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه وألقاه بين عينيه
وكفى به دليلا على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس ما علموه وأن لا يكتموا منه شيئا
لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام
دنيا أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إليه غيرهم وعن
النبي صلى الله عليه وآله من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب إني
أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت
أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن
يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي عليه السلام ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ
على أهل العلم أن يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لأنهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم
كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله وأحد المفعولين
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين
وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء
وفتح الباء فيهما على أن الفعل للرسول وقرأ ابن عمرو بالياء وفتح الباء في الأول وضمها في الثاني
على أن الفعل للذين يفرحون والمفعول الأول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة
بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما أتوا بما
فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى إنه كان وعده مأتيا لقد جئت
شيئا فريا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي عليه
السلام بما أوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي أن رسول الله صلى الله

سورة آل عمران

ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار

عليه وآله سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم
قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل
من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن
يحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون
بما أوتوا بما أوتوا من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون أن
يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين إبراهيم حيث ادعوا أن إبراهيم كان على اليهودية وأنهم
على دينه وقيل إنهم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا إليه بأنهم رأوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا إليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان
للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه
على الحقيقة لإبطانهم الكفر ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب
ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والأرض
فهو يملك أمرهم وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لآيات لأدلة واضحة على
الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لأولي الألباب يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار
ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينك
من زينة هذه الكواكب وأجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا
حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت
لعائشة أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجيب أتاني في ليلتي
فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي
فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء
في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه
قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد
غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا
أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض ثم قال ويل لمن قرأها
ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها وعن علي عليه السلام أن النبي صلى الله
عليه وآله كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات و
الأرض وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما أذكر قالت
لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت إلا من ذاك يذكرون الله ذكرا

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا

دائبا على اى حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر فى اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبى صلى الله عليه وآله من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون فى هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء وهذه حجة للشافعى فى اضطجاع المريض على جنبه كما فى اللحد وعند ابى حنيفة انه يستلقى حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قال قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون فى خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثورى انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشى عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبى صلى الله عليه وآله بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فغفر له وقال النبى عليه السلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الحزن ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عن النبى صلى الله عليه وآله لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يقولون ذلك وهو فى محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض اى فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفى هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت فى اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه فى كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان وقوله فان قلت فاى فائدة فى الجمع بين المنادى وينادى قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادى لانه لا منادى اعظم من مناد ينادى للايمان ونحوه مررت بهاد يهدى للاسلام وذلك ان المنادى اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادى قد يطلق على من يهدى للطريق ويهدى لسداد الراى وغير ذلك فاذا قلت ينادى للايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شان المنادى والهادى وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادى هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اى آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد فى قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وهو باب من اللجأ الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلم يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجأ الذى هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب انى لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اى يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اى من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروى ان ام سلمة قالت يا رسول الله انى اسمع الله ذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا فى سبيلى من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثانى

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار وإن من

للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثواباً في موضع المصدر المؤكد بمعنى إثابة وتثويباً
من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم عنده مثل أي يختص به وبقدرته
وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه وتملكه وإن لم يكن بحضرته
وهذا تعليم من الله كيف يُدعى وكيف يبتهل إليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام
بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على التغرب وقطع
الأطماع الكاذبة إلى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولاً إليه بالعمل بالجهل والغباوة
وروي عن جعفر الصادق عليه السلام من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف
وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن رضي الله عنه أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم أخبر أنه
استجاب لهم إلا أنه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقدمه بين يدي الدعاء لا
يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل واحد أي لا تنظر إلى ما هم عليه من الرزق
والمضطرب ودرك العاجلة وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم
في الأرض وتصرفهم في البلاد يكتسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة
وقيل هم اليهود وروي أن ناساً من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء
ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فإن قلت
كيف جاز أن يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان أحدهما أن مدره
القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعاً فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه
كقوله فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله
في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو
في المعنى للمخاطب هذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب
ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك
متاع قليل وهو التقلب في البلاد أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما أعد الله
للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه
ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء
ما مهدوا لأنفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعراء الضبي وكنا إذا الجبار بالجيش
ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف
والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقاً أو عطاءً من عند الله وما عند الله
من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الكفار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب
نزْلاً بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وإن من أهل الكتاب عن

أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم
إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

سورة النساء بسم الله الرحمن الرحيم

مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران
واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل في أصحمة
النجاشي ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض
الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج
نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخل لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما
كقوله وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين
لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً كما يفعل
من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم أي ما يختص بهم من الأجر وهو ما وعدوه
في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه
في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الأجر ويجوز أن يراد أنه يوفي الأجر الموعود سريعاً
الموعود اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا أعداء الله على الجهاد أي غالبوهم في الصبر على شدائد
الحرب فلا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه
تخصيصاً لشدته وصعوبته ورابطوا وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين
مستعدين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي
بكل آية منها أماناً على جسر جهنم ومنه صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران
يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس سورة النساء وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا

أيها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم فإن قلت
علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه قيل
من نفس واحدة أنشأها وابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى
شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب فخلقه وخلق حواء من ضلع من
أضلاعه وبث منهما نوعي جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل
لكيفية خلقهم منها والثاني أن يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث
إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع
منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً غيركم من الأمم الفائتة للحصر فإن قلت الذي
تقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يوجبها أو يدعو إليها وتبعث

صدق لذا فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب

اسرعت في الجولان والتوريب نوع من العدو وتهجونا في موضع الحال فاذهب امر تشديد وتخلية وهو جواب شرط محذوف اي ان فعلت ذلك فاذهب فان ذلك ليس بعجيب منك ومن مثلك والايام او لا عجب فعلك الشنيع كما لا عجب اتيان الايام بالعجائب والايام عطف على الضمير المجرور في بك ومن في من عجب زايدة ... تاكيد العموم ... سيبويه ...

عليها فكيف كان خلقهم اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها **قلت** لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعم التي انعم بها عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل **اتقوا ربكم الذي** وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق **تساءلون به** تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تسالون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسالون به مهموزا او غير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلام وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر **شعر** فما بك والايام من عجب **ص** والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم **اتقوا الله الذي خلقكم** واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الذي يتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد اذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان تضع ولدك في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان تختار له الموضع الحلال فلا تقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر

سورة النساء

يختار الصحة ويجتنب الفجور ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **اليتامى** الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات **فان قلت** كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى ومرضى **قلت** فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم جمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتائم ثم يتامى على القلب حق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفون غيرهم ويقومون عليه زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشيا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار **فان قلت** فما معنى قوله **وآتوا اليتامى أموالهم** قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس ولقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله **من الحوب الكبير** فدفع ماله اليه فقال عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او ولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة **شعر** فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد وبالوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان تعطي رديا وتاخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وليس هذا بتبدل وانما هو تبديل الا ان يكارم صديقا فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم** ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال **فان قلت** قد حرم عليهم اكل مال اليتيم وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث وربع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن

عن كل واحد منهما قلت لأنهم إذا كانوا مستغنين عن أموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح أبلغ والذم أحق لأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه قيل إنه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بالفتح وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الأزواج والثماني والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم ألا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيايم ويتايم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم مثنى وثلث وربع معدولة عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فإن قلت الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى فإن قلت فلم جاء العطف بالواو دون أو قلت كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة علمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ

طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا

الناكحون من أرادوا إنكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهاير لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبي عبلة من ملكت ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم في حكمه إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول علي وقد روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ألا تعولوا ألا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي أنه فسر ألا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا وقد روي عن عمر بن الخطاب لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريق الكنايات فإن قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير قلت ليس كذلك لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به

وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا

المغالية هن مهورهن ديانة على انها مفعول له ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اى دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنالك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظم والضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شئ من ذلك كما قال تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روى عن رؤبة انه قيل له في قوله شعر كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت واتوا النساء صداقهن لم يخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين لانه في الاصل اصدق مجزوما فلما جاء بالفاء نصبه وعطف واكن على اصل اصدق فلان الفاء عارض كانه قيل اصدق و نفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيلهن لانهن يخدعن وحكى ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الاخرة وروى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شئ مما ساق الى امراته فقال الله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الاية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شئ منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا بالشئ اليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنئ والمرئ صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنئ ما يلذه الآكل والمرئ ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام

دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من

من الحلقوم الى فم المعدة المرئ لمرء الطعام فيه وهو انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اى كلوه وهو هنئ مرئ وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ ومرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشئ ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا قال لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اى هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح واستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجئ منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عنه

ابي حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله شعر فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال شعر احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وآله ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد

وادخل

وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة ومن وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به او انتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن الصامت الانصاري ترك امرأته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية عن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس وقولوا لهم قولا معروفا ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخش على اليتامى من الضياع وقيل هم

الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت

الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولاد أنفسهم لو كانوا ويجوز أن يتصل بما قبله وأن يكون أمراً للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء أقاربهم واليتامى والمساكين وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فإن قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافاً وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل شعر لقد زاد الحياة إليّ حباً بناتي إنهن من الضعاف أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رنقاً بعد صاف وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الأوصياء أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنيّ ويا ولدي ومن الجالسين إلى المريض أن يقولوا له إذا أراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد إنك أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم أن يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلماً ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون ناراً يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيراً ناراً من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد إليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا إجمال تفصيله للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت هلا قيل للأنثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولأن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قصد إلى بيان فضل الذكر وقولك للأنثيين مثل حظ الذكر قصد إلى بيان نقص الأنثى وما كان قصداً إلى بيان فضله كان أدل على فضله من القصد إلى بيان نقص غيره عنه ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع إدلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فإن قلت فإن حظ الأنثيين الثلثان فكأنه قيل للذكر الثلثان قلت أريد حال الاجتماع لا الانفراد

أي إذا اجتمع الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع أنه اتبعه حكم الانفراد فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فإن كن نساء فإن كانت البنات أو المولودات نساء خلصاً ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز أن يكون خبراً ثانياً لكان وأن يكون صفة لنساء أي نساء زائدات على اثنتين وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو المولودة منفردة فذة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله فإن كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لأن الآية لما كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت فإن قلت قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين فكيف صح أن يردف قوله فإن كن نساء وهو لبيان حظ الإناث قلت وإن كان مسوقاً لبيان حظ الذكر إلا أنه لما فقه منه وتبين حظ الأنثيين مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعاً فلذلك صح أن يقال فإن كن نساء فإن قلت هل يصح أن يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيراً لهما على أن كان تامة قلت لا أبعد ذلك فإن قلت لم قيل فإن كن نساء ولم يقل وإن كانت امرأة قلت لأن الغرض خلوصهن إناثاً لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهن وأريد ههنا أن يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فإن قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قد دل على أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الأنثيين قيل فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فإن كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمس رحماً من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحماً منهما وقيل إن البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى بأن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها أيضاً مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا

وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم

انه لو قيل ولابويه السدس كان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها **فان قلت** فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واى فائدة فى ذكر الابوين اولا ثم فى الابدال منهما **قلت** لان الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذى تراه فى الجمع بين المفسر والمفسر والسدس مبتدأ وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن **والولد** يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب فى ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس **فان قلت** قد بين حكم الابوين فى الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واى فائدة فى قوله وورثه ابواه **قلت** معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين **فان قلت** ما العلة فى ان كان لها ثلث ما بقى دون ثلث المال **قلت** فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم لهم بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية فى قسمة ما وراءه والثانى ان الاب اقوى فى الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين **فان كان له اخوة فلامه السدس** الاخوة يحجبون الام من الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوى فى الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام **فان قلت** فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية **قلت** الاخوة يفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية كالتثليث والتربيع فى افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا ترى انها لا تكسر فى قوله جعلنا ابن مريم وامه **من بعد وصية** متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية **يوصى بها** وقرئ يوصى بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا **فان قلت** ما معنى او **قلت** معناه الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين **فان قلت** لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها فى الشريعة **قلت** لما كانت الوصية مشبهة للميراث فى كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها

إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ

مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جئ بكلمة او للتسوية بينهما فى الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله **آباؤكم وابناؤكم** اى لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون أمن اوصى منهم ام من لم يوص يعنى ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا فى الصورة الا انه فان فهو فى الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو فى الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه فى الجنة سأل ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سأل ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون فى الدنيا ايكم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما فى النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب نفعا وليس شئ من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم **فريضة** نصبت نصب المصدر المؤكد اى فرض ذلك لكم فرضا **ان الله كان عليما** بمصالح خلقه **حكيما** فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها **فان كان لهن ولد** منكم او من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء فى الربع والثمن **وان كان رجل** يعنى الميت **يورث** من ورث اى يورث منه وهو صفة للرجل **وكلالة** خبر كان اى وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير فى يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به **فان قلت** ما الكلالة **قلت** يطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عى وما كف عن جبن والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثى لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذى كلالة كما تقول فلان من قرابتى تريد من ذوى قرابتى ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق **فان قلت** فان جعلتها اسما للقرابة فى الآية فعلام تنصبها **قلت** على انها مفعول له اى يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها **فان قلت** فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه **قلت**

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة فاستشهدوا عليهن أربعة منكم

الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فإن قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع قلت إلى
الرجل وإلى أخيه وأخته وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير إليهما أفاد استواءهما في
حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لأنك
إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى وعن أبي
بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني
ومن الشيطان والله منه بريء والكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة
هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم وتدل عليه قراءة
أبي وله أخ أو أخت من الأم وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل إنما استدل
على أن الكلالة ههنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن
للإخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا
أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف
والأعيان وأولاد العلات وغيرهم غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك
أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم
لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في
الدين أن يوصي بدين ليس عليه ومعناه الإقرار وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم بذلك
وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن يكون منصوبا بغير مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه
بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وهو أن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية وتنصر
هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته
حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت في يوصي ضمير الرجل إذا جعلته الموروث
فكيف تعمل إذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك
هو الميت فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب
عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثمة موصيا كما قال يسبح له فيها على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحا
فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك
إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لأن الشرائع
كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق
يدخله وقرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من
ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات
ونارا قلت لا لأنهما أجريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو
فيها يأتين الفاحشة يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى

حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما
إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست

سورة النساء

قرأ ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فأمسكوهن
في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله
تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما
بالكتاب والسنة ويوصي بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى
عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين
به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى يتوفاهن
الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز أن يريد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة إن الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو
حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن واللذان يأتيانها منكم يريد الزانية والزاني فآذوهما
فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال
فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل
أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع
إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى
في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد
النون والتوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على
الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو
إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع
عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا
حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك
في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل
الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وآله
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس
قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي
لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فإن قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض
أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي
جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك
يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على
العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران
كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيئات سوى

يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه

بين الذين سوّفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المايت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيئات ثم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجتري على ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعض الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين وكانوا يسيئون معاشرة النساء وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان الرجل اذا طمح طرفه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال شعر كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة او تقوى عند الله لكان اولاكم

لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين

بها رسول الله عليه السلام ما اصدق قط امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عنده اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون رواباتهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مرواتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بفتح الياء وكسرها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت واي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان يأتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان قلت من اين وجه صحة قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف من نكح آباؤكم قلت كما استثني غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد

نزّل الله الرضاع منزلة النسب حتى سمّى المرضعة امّاً للرضيع والمرضعة اختاً وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جدّاه واخته عمّته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وامّ المرضعة جدّته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامّه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامّه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب قالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احدهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امّها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج امّ اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء ابيها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلّق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرّمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلّق بقوله وامّهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلّق بهن وبالربائب فيكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعاً واما ان يتعلّق بهن دون الربائب فيكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلّقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا قلت وامّهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعلّق به ما لم يعرض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض شعر فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامّهات نسائكم متصلات بالنساء لانهن امّهاتهن كما ان الربائب متصلات بامّهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امّهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امّها وعن عمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرأوا وامّهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امّها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمّي ولد المرأة من غير زوجها ربيباً وربيبة لانه يربّهما كما يربّ ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسمّيا بذلك وان لم يربّهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن وكونهن بصدد احتضانكم

والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحلّ لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليماً حكيماً

سورة النساء

وفي حكم التقلّب في حجوركم اذا دخلتم بامّهاتهن وتمكّن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودّة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي عليه السلام انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر انه خلا بجارية فجرّدها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرّمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبّلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحمّاد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امّها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالامّ فعرّاها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنّيتم وقد تزوج رسول الله عليه السلام زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وعلا لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطف على المحرّمات اي وحرّم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمن وعلي عليه السلام انهما قالا احلّتهما آية وحرّمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجّح علي التحريم وعثمن التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفوراً رحيماً والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم المحصنات القرّاء بفتح الصاد يريد ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق شعر وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلّق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً وهو تحريم ما حرّم فان قلت علام عطف قوله واحلّ لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحلّ لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحلّ لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحلّ لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرّمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بيّن لكم ما يحلّ مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياماً في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيّعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام

ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم
بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن
بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن
فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم

الاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب وغير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال الشاعر لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس انه قال مما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والله عليم حكيم ان تميلوا
ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا

الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاح الامة الكتابية فصل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه والله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي وعلى ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف والاخدان الاخلاء [illegible] نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل الزنا الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وآله الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا

إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا
الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت

يحلون نكاح الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا إنكم
تحلون بنات الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت
يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم بإحلال نكاح الأمة وغيره من
الرخص وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد
بن المسيب ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى علي ثمانون سنة
وذهبت إحدى عيني وأنا أعشو بالأخرى وإن أخوف ما أخاف علي فتنة النساء وقرئ
أن يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الإنسان على البناء
للفاعل ونصب الإنسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الأمة
مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن
يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم
مثقال ذرة ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا أيها الذين آمنوا لا
تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب
والقمار وعقود الربا إلا أن تكون تجارة إلا أن يقع تجارة وقرئ تجارة على إلا أن تكون
التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة
عن تراض أو ولكن تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن
تراض وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين
بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة وعند الشافعي
تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا أنفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن
الحسن ولا تقتلوا إخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص أنه تأول
في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وقرأ علي عليه السلام ولا تقتلوا
بالتشديد إن الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم إلا رحمة عليكم وقيل معناه أنه أمر
بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم
يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك إشارة إلى القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا و
ظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر فسوف نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه
بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل أو لذلك
لكونه سببا للصلي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لأن الحكمة تدعو إليه
ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه أي ما كبر من المعاصي التي
نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائر
ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات

والصغيرة والكبيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب
فاعلهما والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة
الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن علي عليه السلام الكبائر سبع الشرك والقتل
والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر
السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي إلى سبعمائة أقرب
لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي إلى سبعين وقرئ يكفر بالياء
ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني
ما فضل الله به بعضكم على بعض من الجاه والمال لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة و
تدبير وعلم بأحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الأرض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه
لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا حظا مما قسم لكل من الرجال و
على حسب ما عرف الله من حاله الموجب للبسط والقبض كسبا له واسئلوا الله من فضله ولا تتمنوا أنصباء غيركم
من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا إن الله
فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد ونرجو أن يكون لنا أجران في
الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد
كما كتب على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل أي ولكل شيء
مما ترك الوالدان والأقربون من المال جعلنا موالي يعني وراثا يلونه ويحرزونه أو لكل
قوم جعلنا موالي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع
إلى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ
من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي
لأنهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والأقربون كأنه قيل
من هم فقيل الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع
خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه
ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت أيمانكم
موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك
وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل
عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه خطب يوم
الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفا
في الإسلام وعند أبي حنيفة لو أسلم رجل على يد مسلم وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح

فالصلحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا . فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا . واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب

وورثت بحق الموالاة خلافا للشافعى وقيل المعاقدة التبنى ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير فى بعضهم للنساء والرجال جميعا يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهو النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا فى فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة فى الغالب والفروسية والرمى وان منهم العلماء والانبياء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابى حنيفة والشهادة فى الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا فى نكاحهن من اموالهم فى امر المهور والنفقات وروى ان سعد بن الربيع كان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال افرشته كريمتى فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص واختلف فى ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا فى الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اى حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبى صلى الله عليه وآله خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج فى كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اى حافظات للغيب بالامر الذى يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن نشوزهن ونشوصها ان تعصى زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج فى المضاجع فى المراقد اى لا تداخلوهن تحت اللحف وهى كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره فى المضجع وقيل فى المضاجع فى بيوتهن التى يبتن فيها اى لا تبايتوهن وقرئ فى المضجع والمضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن فى النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن

فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبى صلى الله عليه وآله علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابى بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام واذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات شعر ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا التعرض عنهن بالاذى والتوبيخ والتجنى وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم وروى ان ابا مسعود الانصارى رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وآله فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجنى عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر فى الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب وما يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت هل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلمانى شهدت عليا عليه السلام وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال على للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال على كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لى وعلى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبى ما قضى الحكمان جاز وللالف فى ان يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفى يوفق الله بينهما اى ان قصدا اصلاح ذات البين كانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك فى وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى فى نفوسهما المودة والرحمة وقيل

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا الذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان
الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد

الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان
على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين
اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة
وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ﴿ان الله كان عليما خبيرا﴾ يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا﴾ واحسنوا بهما احسانا ﴿وبذى القربى﴾ وبكل
من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما ﴿والجار ذى القربى﴾ الذى قرب جواره ﴿والجار الجنب﴾ الذى
جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الاجنبى وانشد للبلعاء بن قيس شعر لا يجتوينا مجاور
ابدا ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى بالنصب على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقى الجوار والقربى ﴿والصاحب بالجنب﴾ هو الذى
صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا فى سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا فى تعلم علم او حرفة
واما قاعدا الى جنبك فى مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك
ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة ﴿وابن السبيل﴾
المسافر المنقطع به وقيل الضيف ﴿والمختال﴾ التياه الجهول الذى يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه
ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون ﴿الذين
يبخلون﴾ بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون
مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل
بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين اى يبخلون بذات ايديهم وبما فى ايدى غيرهم فيأمرونهم بان
يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفى امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال شعر وان امرأ
ضنت يداه على امرء بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلى بداء البخل اذا طرق سمعه ان احدا
جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه فى رأسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته
ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون
لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم
من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبى صلى الله عليه وآله اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى
نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا بحذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم
يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت فى شأن
اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿رئاء الناس﴾ للفخار وليقال ما اسخاهم وما
اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت فى مشركى مكة المنفقين اموالهم فى عداوة رسول
الله عليه السلام ﴿فساء قرينا﴾ حيث حملهم على البخل والرئاء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا

بان الشيطان يقرن بهم فى النار ﴿وماذا عليهم﴾ اى تبعة ووبال عليهم فى الايمان والانفاق فى
سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة فى ذلك وهذا كما يقال للمنتقم
ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة
ولا مرزئة فى العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة ﴿وكان الله بهم عليما﴾
وعيد ﴿الذرة﴾ النملة الصغيرة وفى قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده
فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء
فى الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شئ واصغره او زاده فى العقاب
لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته فى الحكمة لا لاستحالته فى القدرة ﴿وان تك حسنة﴾
وان تك حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة
﴿يضاعفها﴾ يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب فى كل وقت من الاوقات المستقبلة
غير المتناهية وعن عثمان النهدى انه قال لابى هريرة بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول ان الله يعطى عبده المؤمن الحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته
يقول ان الله تعالى يعطيه الفى الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ﴿ويؤت
من لدنه اجرا عظيما﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا
لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف
وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون ﴿فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد﴾ فكيف يصنع هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴿وجئنا بك على هؤلاء﴾ المكذبين ﴿شهيدا﴾ وعن ابن مسعود انه قرأ
سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فبكى رسول الله وقال حسبنا ﴿لو تسوى بهم الارض﴾ لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما
تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا
فيودون حالها ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل
الواو للحال اى يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون فى
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند
ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته
فتلوى وتسوى بادغام التاء فى السين كقوله لا يسمعون وما صيد تسوى كانكى

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا جاء وقت صلوة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء الآخرة شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله شعر ورانوا بسكر سناتهم كل الريون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه الا اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي عليه السلام لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم

يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان من عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه وتعالى ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على ساير الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتخرجوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وليا وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله

يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب
السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

فيها وازاله عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم ادم طوال مكانه
ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله **فان قلت** كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد
مواضعه **قلت** اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله
وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت
له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع
كلمة تخفيف كلمة قولهم **غير مسمع** حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول
ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم
عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة
او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع
مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح
اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا
نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي
راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزءا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل
ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام **ليا بالسنتهم** فتلا بها
وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا و
غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما
يظهرونه من التوقير نفاقا **فان قلت** كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا
وقالوا سمعنا وعصينا **قلت** جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه
بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم
يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي وانظرنا من الانظار **فان قلت** الام يرجع الضمير في
قوله لكان خيرا لهم **قلت** الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم
ذلك خيرا لهم **واقوم** واعدل واسد **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي خذلهم بسبب كفرهم و
ابعدهم عن الطافه **فلا يؤمنون الا قليلا** اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن
خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم
التشكي او الا قليلا منهم قد امنوا **يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها** ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم
فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء

وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها على ادبارها بعد
طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه اخر ان
يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم
اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم
او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير **فان قلت** لمن الراجع
في قوله او نلعنهم **قلت** للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس
وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات ونلعنهم ونخزيهم بالمسخ
كما مسخنا اصحاب السبت **فان قلت** فاين وقوع الوعيد **قلت** هو مشروط بالايمان وقد امن
منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله تعالى
اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم واجلاءهم
الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان
والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير **وكان امر الله مفعولا**
فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا **فان قلت** قد ثبت ان الله تعالى يغفر الشرك
لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء **قلت** الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين
الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على
ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار
ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله
فقد افترى اثما عظيما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه **الذين يزكون انفسهم**
اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله باطفالهم فقالوا
هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل
وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء
العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله **فان قلت** اما قال رسول الله صلى الله عليه
وآله اني لامين في السماء امين في الارض **قلت** انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل
في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية و
من شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم **بل الله يزكي من يشاء** اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها
لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا
لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من

آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ... سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها

الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون فتيلا اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على
تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء
وكفى به بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون
الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا
الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل الكتاب
وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا
فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال
ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله
وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف
ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما
شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم
نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم فاذا
لا يؤتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم
والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك
اهل الدنيا واما ملك الله تعالى كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
خشية الانفاق وهذا وصفهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون
معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين و
قصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود
فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل
فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله والمؤمنين
على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة و
ازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزامهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة
آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه
وعن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا
نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة
وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم
من صد عنه واعرض عنه مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته
او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون

سورة النساء

واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله و
اطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك خير واحسن تأويلا

بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص
قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج
عن رسول الله صلى الله عليه وآله تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة
يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك
للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما
يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظلا ظليلا صفة مشتقة من لفظ
الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا
لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل
الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التبوء تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله يسلك
بالياء ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ان تؤدوا الامانات الخطاب
عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة و
ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة
وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى
علي عليه السلم يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان و
يعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك
قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبرئيل
واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء
الامانات والحكم وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة
موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي
يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم ما يعظكم به ذاك وهو المأمور به من اداء الامانات
والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل
امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء
الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع
بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن
اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت
فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له السنتم امرتم
بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان
أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم
مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله

من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر **فإن تنازعتم في شيء** فإن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين **فردوه إلى الله والرسول** أي ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد جنح الله الأمر بطاعة أولي الأمر بما لا يبقى معه شك وهو أن أمرهم أولا بأداء الأمانات وبالعدل في الحكم وأمرهم آخرا بالرجوع إلى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا إلى الكتاب ولا إلى السنة إنما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم أولو الأمر عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة **ذلك** إشارة إلى الرد أي الرد إلى الكتاب والسنة **خير لكم وأصلح وأحسن تأويلا** وأحسن عاقبة وقيل أحسن تأويلا من تأويلكم أنتم **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت** روي أن بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله أنت الفاروق والطاغوت كعب بن الأشرف سماه الله تعالى طاغوتا لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله أو على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وآله على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله **وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم** وقرئ بما أنزل وما أنزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل أن يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت إلى الجمع كقوله أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية إن أصلها أيية فاعلة فخففت اللام فلما حذف اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني شعر تعالي أقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام **فكيف إذا أصابتهم مصيبة** فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون أمرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة **بما قدمت أيديهم** من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك في الحكم **ثم جاؤك** حين يصابون فيعتذرون إليك **ويحلفون** ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو أنا
كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا

إحسانا لا إساءة **وتوفيقا** بين الخصمين ولم ترد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلينا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به **فأعرض عنهم** لا تقبل منهم لمصلحة في استبقائهم ولا ترد عليهم **وعظهم** بالموعظة والنصيحة فيما هم عليه **وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا** بالغا في وعظهم بالتخويف والإنذار **فإن قلت** بم تعلق قوله في أنفسهم **قلت** بقوله بليغا أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق واطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا السيف أو يتعلق بقوله لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه ولا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مساررا لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم **وما أرسلنا من رسول** وما أرسلنا رسولا قط **إلا ليطاع بإذن الله** بسبب إذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم** بالتحاكم إلى الطاغوت **جاؤك** تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا **فاستغفروا الله** من ذلك بالإخلاص في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا **لوجدوا الله توابا رحيما** لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعته من اسم الرسول من الله بمكان **فلا وربك** معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم و**لا يؤمنون** جواب القسم **فإن قلت** هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون **قلت** يأبى ذلك استواء النفي والإثبات في ذلك لقوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم **فيما شجر بينهم** فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه **حرجا** ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين

وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا

وَيُسَلِّمُوا وينقادوا لها خالصة وَتَسْلِيمًا تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له وللخصم فلما أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه فقال اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد عليه السلام أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ أي لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا أناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ إلا قليلا بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ من متابعة رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ في عاجلهم وآجلهم وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا لإيمانهم وأبعد من الاضطراب فيه وَإِذًا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم أيضا بعد التثبيت فقيل وإذا لو تثبتوا لَآتَيْنَاهُمْ لأن إذن جواب وجزاء مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا كقوله ويؤت من لدنه أجرا عظيما فإن المراد به العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجرا لأنه تابع للأجر لا يثبت إلا بثباته وَلَهَدَيْنَاهُمْ ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات وَالصِّدِّيقِينَ أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة أقرب عباد الله إلى الله وأرفعهم درجات عنده وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ
لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ٥

يقول المتعجب حسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذَلِكَ مبتدأ وَالْفَضْلُ صفته وَمِنَ اللَّهِ الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا بجزاء من أطاعه أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله تعالى لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم خُذُوا حِذْرَكُمْ تيقظوا واستعدوا للأعداء والحذر والحذر بمعنى كالإثر والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى واحذروا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم فَانْفِرُوا إذا نفرتم إلى العدو إما ثُبَاتٍ جماعات متفرقة سرية بعد سرية وإما جَمِيعًا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء واللام في لَمَنْ للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي لَيُبَطِّئَنَّ جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وأبطأ علي وبطؤ مثل ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ من قتل وهزيمة فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ من فتح أو غنيمة لَيَقُولَنَّ وقرأ الحسن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك
وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا

عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم
وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونوا
متمنين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت
يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ شعر وشريت بردا ليتني من بعد
برد كنت هامه فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بان
يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله
حق الجهاد والذين يشرون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها
بها والمعنى ان صد الذين مرض قلوبهم وضعف نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون
المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده
في اعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال و
النساء والولدان والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في
سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص في سبيل
الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين
من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم
المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد
فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم
الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم احسن التولي و
نصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه الولاية و
النصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الصبيان
ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم
في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت
السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء
والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء
لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور
على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت
هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده
الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث
الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث فان قلت فهل يجوز من هذه القرية الظالمين

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى
الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد
خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون
فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة

اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا
النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون
في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم
الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه
كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا
بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في
الدين ولا رغبة عنه ولكن نكوصا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله
من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محلها النصب على
الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله
او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت
لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل
ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون
الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول
خشي فلان اشد خشية فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها
واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية
خاشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد
كخشية الله او كخشية اشد خشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف
واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون
ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء وقرئ يدرككم
بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل شعر من يفعل
الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل
ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو لستم مصلحين فرفع كما رفع زهير شعر
يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون
فتيلا اي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب وغيرها ثم ابتدأ
قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا والبروج
الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو
الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة
شاعرة وانما الشاعر فارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة

ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد
اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول
والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين

قال الله وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات
والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة
اضافوها اليك وقالوا هى من عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى
وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك
وروى عن اليهود لعنهم الله انهم تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت
ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الارزاق
ويقبضها على حسب المصالح فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو الباسط القابض
وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة
من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من
سيئة بلية ومصيبة فمن نفسك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا
نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك
للناس رسولا اى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم
كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله
شهيدا على ذلك فلا ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد
اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته فى امتثال ما
امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروى انه قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى
فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان
يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى فنزلت ومن تولى
عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم
تحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشىء طاعة بالرفع
اى امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا
وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت
فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امرى وشانى حمد الله وثناء عليه ولو نصب حمد الله وثناء
عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة
وسوت غير الذى تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت
من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون
ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر
بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون

يثبته فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه فى جملة ما يوحى اليك
فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغنى عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك
بالانتقام منهم وتوكل على الله فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى
الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة
غير حقيقى ولانها فى معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير
الله تدبر الامر تامله والنظر فى ادباره وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى
كل تامل فمعنى تدبر القران تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان
الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز
وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا
مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد
غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق
اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت
اليس نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين ثم ناس من ضعفة
المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول
الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك
الخبر الى رسول الله عليه السلام والى اولى الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء بالامور والذين كانوا
يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم
وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه
وآله واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه
فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه
اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون و
يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم
الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وقالوا
نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته
وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اى
يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به فى الناس
حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ
من اذاعوه وقرئ لعلمه بسكون اللام كقوله شعر فان اهجه يضجر كما ضجر بازل من الادم

عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما

دبرت صفحاته قاربه والنبط الماء يخرج من البئر اول ما يحفر وانباطه واستنباطه اخراجه
واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان
لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في آي قبلها تثبيطهم عن القتال
واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك و
تركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد
فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك
الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد
رسول الله صلى الله عليه وآله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا وما معه الا
سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على
النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا نفسك وحدها وحرض
المؤمنين وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان
يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا
عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله
اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم
ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت
في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك و
عن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما
في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم
لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وآله من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب
له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا
حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء اقتدر قال الزبير بن عبد المطلب شعر وذي ضغن كففت
النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل شعر الي الفضل ام علي اذا حوسبت
اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت فانه يحفظ النفس ويمسكها واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان
تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها

اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب
التسليم واجب والتخيير بينهما ونعني بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف من قال للغير اقرأ فلانا السلام
وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل
يمر على قوم من المسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم
والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري من غير عذر في الحمام وغيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على
الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وآله انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته
ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على الحمار و
الصغير على الكبير والقليل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير
وعن النبي عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون
السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان
تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني
سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء
بان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن
ابي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت
فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا اي
على كل شيء من التحية وغيرها لا اله الا هو اما خبر للمبتدأ او اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه
الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي
قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق
من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك لان الكذب مستقل بصارف
عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه
فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه
الا انه يجهل غناه او جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي
بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب
على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل للكذاب هل صدقت قط فقال لولا
اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم
منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان
قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في الخروج الى البدو معتلين باجتواء

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا
تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون

المدينة فلما خرجوا البدو لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم
فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا
وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق
الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد ثم رجعوا وقيل
هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام و
قعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه
فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا
بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في الكفر
بان خذلهم حتى ركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة
المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل
وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني
لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين
الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض
من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر
بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم
مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء
من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي
عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب
لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله من معه من هو من انسابهم
والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد وذلك انه
وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان
من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة
كلفوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين
يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين
كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة
لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي
استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين
له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين كالاتصال

فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما
كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله

بالمكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف
على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم
جريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي
بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون
او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد و
الدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم
وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو
بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله عليه السلام غير مقاتلين والحصر الضيق و
الانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان
يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في
قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين
وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم
السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة
اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى
الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا
شرا فيها من كل عدو وحيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور
عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث
اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام له ولا لاق بحاله كقوله وما كان
لنبي ان يغل وما كان لنا ان نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا
على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي ان يقتله لعلة من العلل الا
للخطأ وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطأ وان يكون صفة
للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة
الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا
هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطى بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة
وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله
صلى الله عليه وآله فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل
ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب
وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم فانصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب

الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى
اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل

معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت **فتحرير رقبة مؤمنة** فعليه تحرير رقبة مؤمنة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه ومنه قولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار **مسلمة الى اهله** مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا وارث من لا وارث له وعن عمر انه يقضي بدية المقتول فجاءت امرأة تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ منه وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من يجب الرقبة والدية **قلت** على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله **الا ان يصدقوا** الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا **فان قلت** بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقوا عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين **من قوم عدو لكم** من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا

منهم

منهم **وان كان من قوم** كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مثله من المسلمين **فمن لم يجد** رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها **فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله** قبولا من الله ورحمة من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما** هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التشديد والتغليظ والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيان الله وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطاء لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب عليه من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله **يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم** في الارض **فتبينوا** وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ **السلم والسلام** وهما الاستسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام **لست مؤمنا** وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي فقال اعتق رقبة

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا
رحيما إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة

تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى
ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل
يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل أول ما دخلتم
في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم
وإن صرتم أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر
الإسلام في المكافة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما
إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم إن الله
كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير أولي الضرر قرئ
بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين
والضرر المرض والعاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت إلى جنب رسول
الله عليه السلام فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال
اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم
وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك
ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير أولي الضرر قال زيد
أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف
وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها وعن مقاتل إلى تبوك
فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت
معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن
انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه قل هل يستوي الذين يعلمون و
الذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم ولينهض بنفسه
عن صفة الجهل إلى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين
كأنه قيل لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا
للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله
الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن
النبي صلى الله عليه وآله لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا
كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما
يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره فإن قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات
من هم قلت أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء و

أما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم
لأن الغزو فرض كفاية فإن قلت بم انتصب درجة وأجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة
لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى
ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة
بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات
كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال من النكرة التي هي درجات
مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة
ورحمة إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الأرض توفاهم يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم
كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها
أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم قالوا قال الملائكة
للمتوفين فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين
كانت الهجرة فريضة فإن قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن
قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا ولم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ
بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين
في الأرض اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى
يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أرادوا أنكم
كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة
إلى رسول الله كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد
لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر أو علم
أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى
الله عليه وآله من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة و
كان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني
فاجعلها في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري
لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد
المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك
روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن
ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله
لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم
فإن قلت كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم يستحقون الوعيد

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ

مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين سبيلا وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما عقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال **فان قلت** الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها **قلت** صفة للمستضعفين او للرجال والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله **شعر** ولقد امر على اللئيم يسبني **فان قلت** لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع **قلت** للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً** مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي **شعر** كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما وقرئ **ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ** بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله **شعر** من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله ويأوي الحجاز فاستريحا **فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها وجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله عليه السلام فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ** الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر

وعند الشافعي ادنى مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ** ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه اتم في السفر وعن عائشة اعتمرت مع رسول الله عليه السلام من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي اتممت وقصرت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة ان اول ما فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر **فان قلت** فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة **قلت** كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله **إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا** واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره **وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ** يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله عليه السلام حيث شرط كونه فيهم وقال من راها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وآله في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضرا الجماعة في حال الخوف فعليه ان يؤمهم كما امهم رسول الله الجماعات التي يحضرها والضمير في فيهم للخائفين **فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ** فاجعلهم طائفتين فلتقم احديهما معك فصل بهم **وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ** والضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه **فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا** يعني غير المصلين **مِنْ وَرَائِكُمْ** يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بازاء العدو وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة وتقف قائما حتى يتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة وتقف قائما حتى تتم صلوتها فيسلم بهم وبعضده قوله **وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ**

ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو
كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون
فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس

وأمتعتكم فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتحفظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والإيمان جعل الإيمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الأسلحة إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم العدو عليهم فإن قلت كيف طابق الأمر بالحذر قوله إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا قلت الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فإذا قضيتم الصلوة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في إيجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن وقيل معناه فإذا قضيتم صلوة الخوف فاذكروا الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فإذا أمنتم فأقيموا الصلوة فأتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض بهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون أي ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم ييلمون كما تيلمون وروي أن هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم إلا لما هو عالم بأنه ما يصلحكم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما روي أن طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة

واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من
الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ٥

ابن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا إلى رسول الله عليه السلام فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عليه السلام أن يفعل وأن يعاقب اليهودي وقيل هم أن يقطع يده فنزلت وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله بما أراك الله بما عرفك وأوحى به إليك وعن عمر لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله كان مصيبا لأن الله كان يريه إياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما أي ولا تكن لأجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لأجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون أنفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلما لها لأن الضرر راجع إليهم فإن قلت لم قيل للخائنين ويختانون أنفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين أحدهما أن بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الإثم والثاني أنه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فإن قلت لم قيل خوانا أثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالإفراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة أمره لم يشك في حاله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم إن كانوا مؤمنين أنهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون وأصله أن يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة أنه يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف أنه لم يسرقها فإن قلت كيف سمى التدبير قولا وإنما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز أن يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد أن بيته وتوريكه الذنب على اليهودي ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا ها للتنبيه في أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر

ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل

على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبو انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اى عن طعمة **وكيلا** حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه **ومن يعمل سوءا** قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي **او يظلم نفسه** بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه **فانما يكسبه على نفسه** فلا يتعداه ضرره الى غيره فليتق على نفسه من كسب السوء **خطيئة** صغيرة **او اثما** او كبيرة **ثم يرم به بريئا** كما رمى طعمة زيدا **فقد احتمل بهتانا واثما مبينا** لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب **ولولا فضل الله عليك ورحمته** اى عصمته والطافه وما اوحى عليك من الاطلاع على سرهم **لهمت طائفة منهم** من بني ظفر **ان يضلوك** عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم وقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة **وما يضلون الا انفسهم** لان وباله عليهم **وما يضرونك من شيء** لانك انما عملت بظاهر الحال وما خطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك **وعلمك ما لم تكن تعلم** من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين **لا خير في كثير من نجواهم** من تناجي الناس **الا من امر بصدقة** الا نجوى من امر بصدقة مجرور على البدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفين رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهذا هو بعينه او سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استحقاق الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات **فان قلت** كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك **قلت** قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال **ومن يفعل ذلك** فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر عن سائره بفعل وقرئ يؤتيه بالياء **ويتبع غير سبيل المؤمنين** وهو السبيل الذي

جهنم وساءت مصيرا ١٥

سورة النساء

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم

هم عليه من الدين الحنفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول **نوله ما تولى** نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره **ونصله جهنم** وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة **ان الله لا يغفر ان يشرك به** الآية تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه **الا اناثا** هي اللات والعزى ومناة وقال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث واناثا ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرئ الا اوثانا **ان يدعون** وان يعبدون بعبادتها لاصنام **الا شيطانا** لانه هو الذي امرهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة **ولعنه الله وقال لاتخذن** صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع **نصيبا مفروضا** مقطوعا واجبا فرضه لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه وقال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار **ولاضلنهم ولامنينهم** الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك **ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام** يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها **ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب وقيل الخصاء وفي حلها من العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة قال هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن عباس هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث **وعد الله حقا** مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره **ومن اصدق من الله قيلا** توكيد ثالث بليغ **فان قلت** ما فائدة هذه التوكيدات **قلت** معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو
محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله

لقرنائه بوعد الله الصادق ولأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما
يتجرعون في فواته من غصص إخلاف موعد الشيطان ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب
في ليس ضمير وعد الله أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب و
الخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به وكذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم
لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني و
لكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة
لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل
الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون نحن أولى
منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل أن يكون
الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا لأوتين
مالا وولدا إن لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا
النار إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد إن الخطاب
للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب
نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا أبطل الله الأماني وأثبت أن
الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر
ووضح ووجب قطع الأماني وحسم الأطماع والإقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان
ولا تلقي إليه الأذهان فإن قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية قلت الأولى للتبعيض أراد
من يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها
ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة في
بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في ومن يعمل فإن قلت كيف خص الصالحين بأنهم
لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال
السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند
الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه
وأرحم الراحمين معلوم أنه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب
وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب
فكان نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل أسلم وجهه لله أخلص نفسه
لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات
تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من

المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام واتخذ الله إبراهيم
خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل هو المخال
وهو الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق
في الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال منازلك وحجبك فإن قلت
ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من
قولهم شعر ألا ليت شعري والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من
بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة
على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة
أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت و
لكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر فلما أخبروا إبراهيم
ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت
واستنبه إبراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت امرأته من خليلك المصري
فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الأرض
متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه أن له ملك أهل السموات والأرض
فطاعتهم عنده واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما هو أصلح لها ويستفتونك في النساء قل
الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ما يتلى في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو
في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك
أعجبني زيد وكرمه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أنها جملة
معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة
في حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها
والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وإنه في أم
الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما
يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا لمعنى التعظيم وليس بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن لا
والمعنى فإن قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الأول هو صلة يتلى
أي يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في الوجهين الأخيرين
فبدل لا غير فإن قلت الإضافة في يتامى النساء ما هي قلت إضافة بمعنى من كقولك عندي
سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بياءين على قلب همزة أيامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
وقرئ ما كتب الله لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه

وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير
واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان

غفورا رحيما

وما لها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج
حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن
وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال
زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها
فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية
انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا
للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى
يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا
بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم
ولا يخلوا احدا يهتضمهم خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من
مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة
التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب او اعراضا بان يعرض عنها بان
يقلل مجالستها ومحادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب لطعن في سن او دمامة او شين في
خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما
وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح واصبر في اصطبر صلحا
في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا
عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله
صلى الله عليه وآله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة
اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني
اقوم على ولدي وتقسم لي كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها
او ان تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها
والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل
شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله
واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه لا تغيب عنها
ابدا ولا ينفك عنها يعني انها مطبوعة والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها
والرجل لا يكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا
بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة
وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون
من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم

سورة النساء

وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض

وكان الله غنيا حميدا

بني آدم وامرأته من اجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك
فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت
ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الصابرين والشاكرين ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية
حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل و
غايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف
ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة
وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك
فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة كانت احب اليه وقيل ان العدل
بينهن امر صعب بالغ في الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوى بينهن في
القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا
يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج عن حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن
فكيف اذا مال القلب الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا
تفرطوا فيها ان وقع منكم تفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة
وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال الشاعر هل هي الا حظة او تطليق او صلف
او بين ذلك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب بعث الى
ازواج رسول الله عليه السلام بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر بمثل هذا
قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول
الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان
لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في
قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم
وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا غيره او
زوجه وعيشا اهنأ من عيشه والسعة الغنى والمقدرة هو الواسع الغنى المقتدر ولله
ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم متعلق
بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكتاب اسم للجنس يتناول
الكتب السماوية ان اتقوا الله بان اتقوا ويجوز ان تكون المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله
وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم

وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِاٰخَرِينَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَدِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلٰى اَنْفُسِكُمْ اَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِينَ اِنْ يَكُنْ غَنِيًّا اَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ اَوْلٰى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا
الْهَوٰى اَنْ تَعْدِلُوا وَاِنْ تَلْوُوا اَوْ تُعْرِضُوا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

وقلنا لكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة واياكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملئكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم فتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت باخرين ويوجد انشاء اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان الله على ذلك على الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت باناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله عليه السلام بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراد حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول اشهد ان لفلان على والدي كذا وعلى اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة

يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا

ابيّ فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا وتعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله يا ايها الذين امنوا الخطاب للمسلمين ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل امنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتورية والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به انما هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما امنوا به لاجل المعجزة لامنوا به كله فحين امنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله وكذا ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي يعطيها اللام والمراد نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب انه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد عليه السلام **بشر المنافقين** وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم **الذين** نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود **فان العزة لله جميعا** يريد لاوليائه الذين كتب الله لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين **ان اذا سمعتم** هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان انما هو الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم **انكم اذا** مثل الاحبار في الكفر **ان الله جامع المنافقين والكافرين** يعني القاعدين والمقعود معهم **فان قلت** الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع **قلت** الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها **فان قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض **قلت** لانهم لم ينكروا عليهم في وقت الخوض كانوا راضين والراضي بالكفر كافر **فان قلت** فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين **قلت** لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم **الذين يتربصون** اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم **يتربصون بكم** اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق **الم نكن معكم** مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة **الم نستحوذ عليكم** الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم **ونمنعكم من المؤمنين** بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا مما اصبتم وفي ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة **شعر** الم اك جاركم ويكون

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

سورة النساء

بيني وبينكم المودة والاخاء **فان قلت** لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا **قلت** تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها **يخادعون الله** يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر **وهو خادعهم** وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم **كسالى** قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة **يراءون الناس** يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة **ولا يذكرون الله الا قليلا** ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة عن تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به ولا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم **فان قلت** ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية **قلت** فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فقال راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رات المراة الرجل اذا امسكت المراة لترى وجهه وتدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرءونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك **مذبذبين** اما نحو قوله ولا يذكرون عن يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي

أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا

مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دع دبته وبين ذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين أولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام أولياء سلطانا حجة مبينة يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم وللنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من أظهر الايمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فأصبح قد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا أو يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك فانما هو أمر أوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لأن العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان فكأنه أصل التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم

سورة النساء

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا

استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وهو ان بين ... قيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر أحد لأحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الأحب اليه والأفضل عنده والأدخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا أي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكر من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا أي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطؤوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال أولئك هم الكافرون حقا أي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على أحد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان أحدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت أحدا فتقصد العموم ألا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف يؤتيهم أجورهم معناها ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء روي ان كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان كنت نبيا صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بأنك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو

فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق

وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا

سألوك لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية **فقد سألوا موسى** جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوا منك فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت **جهرة** عيانا بمعنى أرنا نره جهرة **بظلمهم** بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا شيئا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم عليه السلام أن يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق **وقلنا لهم** والطور مطل عليهم **ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت** وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد ذلك وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التاء في الدال **فبما نقضهم** فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد **فإن قلت** بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد **قلت** إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله حرمنا عليهم على أن قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب وتحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك **فإن قلت** هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم **قلت** لم يصح هذا التقدير لأن قوله **بل طبع الله عليها بكفرهم** رد وانكار لقولهم **قلوبنا غلف** فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله تعالى خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكقول المجبرة أخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله **فإن قلت** علام عطف قوله وبكفرهم **قلت** الوجه أن يعطف على قوله فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله قالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم **فإن قلت** ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب أو على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم

سورة النساء

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه

وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا

وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فإن قلت** كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله **قلت** قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم إنه إله لا يصح قتله وقال بعضهم إنه قتل وصلب وقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع إلى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا **فإن قلت** شبه مسند إلى ماذا إن جعلته مسندا إلى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وإن أسندته إلى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند إلى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل إليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند إلى ضمير المقتول لأن قوله إنا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه **إلا اتباع الظن** استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن **فإن قلت** قد وصفوا بالشك والشك أن لا يترجح أحد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين **قلت** أريد أنهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن إن لاحت لهم أمارة فظنوا فذاك **وما قتلوه يقينا** وما قتلوه قتلا يقينا أو وما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم إنا قتلنا المسيح أو يجعل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا أي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه إذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن إلا تهكما بهم **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا** ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم وإن منكم إلا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس
بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما إنا

أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده

أحدا إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق
روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج
آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني لأوتى بالأسير من اليهود
والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت
ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت
بأنه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد
الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال
ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد
أخذتها من عين صافية أو من معدنها قال الكلبي فقلت له ما أردت إلى أن تقول حدثني محمد بن علي بن
الحنفية قال أردت أن أغيظه يعني بزيادة اسم علي لأنه مشهور بابن الحنفية وعن
ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في
الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة أبي إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم
النون على معنى وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم لأن أحدا يصلح للجمع فإن قلت
ما فائدة الإخبار بإيمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم
لا بد لهم من الإيمان به عن قريب عند المعاينة وأن ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على
معاجلة الإيمان به في أوان الانتفاع به وليكون إلزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله
وقيل الضميران لعيسى بمعنى وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل
الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى
أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله
في زمانه المسيح الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب
مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز أن يراد أنه لا يبقى أحد من جميع أهل الكتاب إلا ليؤمنن
به على أن الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما أنزل له ويؤمنون
به حين لا ينفعهم إيمانهم وقيل الضمير في به يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله
عليه وآله وسلم فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات
إلا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي
حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم

وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود
زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين و
منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه

والملئكة يشهدون وكفى بالله شهيدا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا

الألبان وكلما أذنبوا ذنبا صغيرا أو كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا
يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون
بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام
وأضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمؤمنون يعني
المؤمنين منهم أو المؤمنين من المهاجرين والأنصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون
خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه
على أمثلة وشواهد ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما
التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص
من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل
كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة
ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما أنزل إليك
أي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الأنبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو
وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي إنا أوحينا إليك جواب لأهل
الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن شأنه
في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو
الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى أوحينا إليك وهو أرسلنا ونبأنا وما
أشبه ذلك أو بما فسره قصصناهم وفي قراءة أبي ورسل قد قصصناهم عليك
من قبل ورسل لم نقصصهم وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرآ وكلم الله بالنصب
ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب
الفتن رسلا الأوجه أن ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فإن قلت كيف
يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الأدلة التي النظر
فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة إلا بالنظر في تلك الأدلة
ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون
على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين
وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام الحجة
لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب
الانتباه له قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فإن قلت الاستدراك لا بد له من
مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال الكتاب

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزلت انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما يثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملئكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا لم يعلم ان الملئكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملئكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملئكة والملئكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن الا من ارتضى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما ولا يهديهم طريقا الا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد وقرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القيها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صححنا الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر

بيان للمبتدا المحذوف

سورة النساء

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

واحد ثلثة فانهم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة والا فتقديره الالهة ثلثة والذي يدل عليه القران التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون للمسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وعلا من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الاولاد بالاباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملئكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملئكة الكروبيون الذين حول العرش كجبرئيل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملئكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملئكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملئكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل
شعر
وما مثله ممن يجاود حاتم ... ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره
لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الاية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله عليه السلام لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت اي لن يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق فان قلت

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت

علام عطف قوله ولا الملائكة قلت لا يخلو إما أن يعطف على المسيح أو على اسم يكون أو على المستتر في عبداً لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله هو ومن فوقه فإن قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبداً لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عباداً لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه إيجازاً وأما إذا عطفتهم على الضمير فقد طاح هذا الاستواء فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فإن قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لأنه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن يحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو أن الإحسان إليهم بما يغيظهم كان داخلاً في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم إليه إلى عبادته صراطاً مستقيماً وهو طريق الإسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة روي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وآله في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله فقال إن لي أختاً فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر والأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا تسقطها البنت إلا في مذهب ابن عباس وبالأخت التي هي لأب وأم أو لأب دون التي لأم لأن الله فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الأنثيين وأما الأخت لأم فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها وهو يرثها وأخوها يرثها إن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم يكن لها ولد أي ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت فإن قلت الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد

وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا

ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل حكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد ولأن الكلالة تتناول انتفاء الولد والوالد جميعاً فكان ذكر انتفاء أحدهما دالاً على انتفاء الآخر فإن قلت إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فإن كانتا اثنتين وإن كانوا إخوة قلت أصله فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بالأخوة ذكوراً وإناثاً وإنما قيل فإن كانتا وإن كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليباً لحكم الذكور أن تضلوا مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه الموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة شعر قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل وهو قوله أحلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه والأنعام الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله وأنتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم إن الله يحكم ما يريد من الأحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعاراً

يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم

علما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدى ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج **والقلائد** جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل وعروة مزادة او لحاء شجر وغيره وامين المسجد الحرام قاصديه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها **ولا امين** ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام **يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا** وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا من حج البيت بقوله ولا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وقرا عبد الله ولا امي البيت الحرام على الاضافة وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين **فاصطادوا** اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل فاذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله **ولا يجرمنكم** بضم الياء واول المفعولين على التقديرين ضمير المخاطب

والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على انه شرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم **وتعاونوا على البر والتقوى** على العفو والاغضاء **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول العفو والانتصار **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** وكان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له **وما اهل لغير الله به** اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه **والمنخنقة** التي اختنقوها حتى ماتت او اختنقت بسبب **والموقوذة** التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت **والمتردية** التي تردت من جبل او في بئر فماتت **والنطيحة** التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح **وما اكل السبع** بعضه **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس واكيل السبع **وما ذبح على النصب** كان لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون ويشرحون اللحم عليها ويعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى
شعر وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد **وان تستقسموا بالازلام** وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم مما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة **ذلكم فسق** اشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا **فان قلت** لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا **قلت** لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب

أراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالأمس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحو الآن في قوله شعر الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه أن يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعدما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد إظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين واخشوني وأخلصوا لي الخشية أكملت لكم دينكم كفيتكم أمر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد إذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا إلى أغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وأن لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت عليكم نعمتي بإكمال الدين كأنه قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي بذلك لأنه لا نعمة أتم من نعمة الإسلام ورضيت لكم الإسلام دينا يعني اخترته لكم من بين سائر الأديان وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الإسلام دينا وإن هذه أمتكم أمة واحدة فإن قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المنعوت بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر إلى الميتة أو إلى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لإثم غير منحرف إليه كقوله غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وإنما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لأن يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لأفعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات المآكل سألوا عما أحل لهم منها فقيل أحل لكم الطيبات أي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب أو سنة أو قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات أي أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين

المائدة

اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين

والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لأن التأديب أكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد ومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا إذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فإن قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن حال ثانية أو استئناف وفيه فائدة جليلة وهي أن على كل آخذ علما أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله علما وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير أنامله مما علمكم الله من علم التكليف لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وأفعل وفعل يشتركان كثيرا والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وعن علي عليه السلام إذا أكل البازي فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلا ولم يفرق بين إمساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعام الذين أوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي عليه السلام أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي وعن ابن عباس أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب عند أبي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم فقد روي عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضا فأمر المجوسي أن يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس وقد أساء

يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون

وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم والمحصنات الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء قد أكثر الله المسلمات وإنما رخص لهم يومئذ محصنين أعفاء ولا متخذي أخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والأنثى ومن يكفر بالإيمان بشرائع الإسلام وما أحل الله وحرم يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم إذا قمتم إلى الصلوة كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك إذا ضربت غلامك فهون عليه في أن المراد إرادة الفعل فإن قلت لم جاز أن يعبر عن إرادة الفعل بالفعل قلت لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وإرادته له وهي قصده إليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الإنسان لا يطير والأعمى لا يبصر أي لا يقدر على الطيران والإبصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين يعني إنا كنا قادرين على الإعادة كذلك عبر عن إرادة الفعل بالفعل وذلك لأن الفعل مسبب عن القدرة والإرادة فأقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم إلى الصلوة قصدتموها لأن من توجه إلى الشيء وقام إليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام إليه فإن قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين وأن يكون للندب وعن رسول الله عليه السلام والخلفاء بعده أنهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وآله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام أنه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فإن قلت هل يجوز أن يكون الأمر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لأن تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الإلغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا أول ما فرض ثم نسخ إلى تفيد معنى الغاية مطلقا فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة إلى ميسرة لأن الإعسار علة الإنظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم أتموا الصيام إلى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال

واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون

ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله إلى آخره لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لوقوع العلم بأنه لا يسرى به إلى البيت المقدس من غير أن يدخله وقوله إلى المرافق وإلى الكعبين لا دليل فيه على أحد الأمرين فأخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل وأخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي عليه السلام أنه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برءوسكم المراد إلصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب أو أكثره على اختلاف الرواية وأخذ الشافعي باليقين فأوجب أقل ما يقع عليه اسم المسح وأخذ أبو حنيفة ببيان رسول الله عليه السلام وهو ما روي أنه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس وقرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه فعطف على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي عليه السلام أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للأعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله عليه السلام مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن الحسن أنه جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي نزل الكتاب بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة إلى الكعبين وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا طيبا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عليه السلام على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا وأطعنا وقالوا هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعدلوا بمعنى على أن تعدلوا فحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام من أتبع على ملي فليتبع لأنه بمعنى أحيل

وعد الله الذين امنوا وعملوا الصلحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا

وقرئ شنان ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم ان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف وقتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك **اعدلوا هو اقرب للتقوى** نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه **وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم** بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول يعني وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقونه عند الموت ويوم القيامة فيسرون ويستبشرون به ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم** روي ان المشركين راوا رسول الله عليه السلام واصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابنائهم واباءهم يعنون صلاة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا لها فنزل جبرئيل بصلاة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالقتل به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف الله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه **يقال** بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به **ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء** ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى **فكف ايديهم**

المائدة

وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم

عنكم يمنعها ان تمد اليكم **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها **وعزرتموهم** نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتازير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا موزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في **لئن اقمتم** موطئة مؤكدة للقسم وفي **لاكفرن** جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم **فان قلت** من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل **قلت** اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة فقد زاد قبح الكفر وتمادى **لعناهم** طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية **وجعلنا قلوبهم قاسية** خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع **يحرفون الكلم** بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه **ونسوا حظا** وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا **مما ذكروا به** من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد عليه السلام وبيان نعته **ولا تزال تطلع** اي هذه عادتهم وهجيراهم

ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم
الله بما كانوا يصنعون يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى
صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير

وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون
المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك **على خائنة** على خيانة او على فعلة
ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة
قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة
منهم **الا قليلا منهم** وهم الذين آمنوا منهم **فاعف عنهم** بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ
باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تواخذهم بما سلف منهم **ومن الذين قالوا انا نصارى**
اخذنا ميثاقهم ونسوا حظا مما ذكروا به اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر
قبلهم من قوم موسى اى مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى
ميثاق انفسهم بذلك **فان قلت** هلا قيل من النصارى **قلت** لانهم انما سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية
وملكانية انصارا للشيطان **فاغرينا** فالصقنا والزمنا من غرى بالشيء اذا لزمه
ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذى يلصق به **بينهم** بين فرق النصارى المختلفين وقيل
بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
بأس بعض **يا اهل الكتاب** خطاب لليهود والنصارى **مما كنتم تخفون** من نحو صفة رسول
الله ومن نحو الرجم **ويعفوا عن كثير** مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه
فائدة الا افتضاحكم وصفتكم مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة وامانة
بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** يريد
القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه
ظاهر الاعجاز **من اتبع رضوانه** من آمن منهم **سبل السلام** طرق السلامة والنجاة
من عذاب الله او سبل الله **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم** قولهم ان الله
هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم
يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيى
ويميت ويدبر امر العالم **فمن يملك من الله شيئا** فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا
ان اراد ان يهلك من دعوه الها من **المسيح وامه** دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر
العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما و
بينهم في البشرية **يخلق ما يشاء** اى يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق
عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة
له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر
المجرى على يده **وابناء الله** اشياع ابنى الله عزير والمسيح كما يقال لاشياع خبيب ...

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من
الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير

عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول اقرباء
الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون
وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين
للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم **بل انتم بشر ممن**
من جملة من **خلق** من البشر **يغفر لمن يشاء** وهم اهل الطاعة **ويعذب من يشاء** وهم العصاة
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل يبين لكم اما ان يقدر المبين
وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر مما كنتم تخفون وحذفه
لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اى مبينا لكم
على فترة متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى **ان**
تقولوا كراهة ان تقولوا **فقد جاءكم** متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم
قيل كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة
ونيف وستون وعن الكلبى كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبى و
بين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى والمعنى
الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى احوج ما يكونون اليه ليهشوا
اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه
لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله**
عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث
في بنى اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملككم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة
ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدى القبط فانقذهم
الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت
وخدم وقيل من له مال لا يحتاج فيه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **ما لم يؤت احدا من**
العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير
ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمى زمانهم **الارض المقدسة** يعنى ارض بيت
المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن
وقيل سماها الله تعالى لابرهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما
ادركه بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين **كتب الله لكم**
قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم **ولا ترتدوا على ادباركم** ولا تنكصوا
على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدث النقباء بحال الجبابرة

قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم فى دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فامنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من اخافه ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان انتظم مع قوله من الذين يخافون فى حكم الوصف لرجلان فرفع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيّنا من عادة الله فى نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى فى قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها لن ندخلها نفى لدخولهم فى المستقبل على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفى المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبنى يريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصد ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التى عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم فى قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا قال رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه السلام قال رب انى لا املك لنصرة دينك الا نفسى واخى وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثى وحزنى الى الله وعن على عليه السلام انه كان يدعو الناس

قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تاس على القوم الفاسقين

على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر فى اعراب اخى وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسى او على الضمير فى انى بمعنى لا املك الا نفسى وان اخى لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسى وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير فى لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير فى نفسى وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبى المعصوم الذى لا شبهة فى امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخينى على الدين فافرق فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو فى معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجنى من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التى كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثانى ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روى ان موسى سار بمن بقى من بنى اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبى الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبنى اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا فى التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل فى الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون فى الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التى يتاه فيها وروى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضئ لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ

ويؤذ بر ليتأدب ويتثقف ولا ينقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه هرون وموسى عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما كما لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب ويروى ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتل نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه اوانك عليه وانت محق صادق او اذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين ما انا بباسط يدي اليك قيل كان اقوى من القابيل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ
يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ
النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا

فلان وكتبت كتابه تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحو قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج عن حد المكافأة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله تعالى جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من استحقاق العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له نفسه ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان احدهما ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع واللام للزيادة والربط كقولك حفظت لزيد ماله قيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه ليري الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال يا لقومي للسوءة السوءاه اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط

ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا
من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان

ابيه ولم يندم ندم التائبين **من اجل ذلك** بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا
جناه يأجله اجلا ومنه قول خوات بن جبير **شعر** واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا
في عاجل انا آجله كأنك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته
ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته **وذلك** اشارة الى القتل
المذكور اي من جنى ذلك القتل الكتب وجره **كتبنا على بني اسرائيل** ومن لابتداء
الغاية اي ابتدا الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل
كذا بحذف الجار وايصال الفعل **شعر** اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك
بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء الحركة عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي
لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها **بغير نفس** بغير قتل نفس لا على وجه
الاقتصاص **او فساد** عطف على نفس بمعنى وبغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل
قطع الطريق **ومن احياها** ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتلا وهدما
او غرقا وحرقا وغير ذلك **فان قلت** كيف شبه الواحد بالجمع وجعل حكمه كحكمهم **قلت**
لان كل انسان يدلي بما يدلي من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم
على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن بين الواحد والجمع في ذلك **فان قلت** فما
الفائدة في ذلك **قلت** تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة
عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة
قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد فاتل
النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك
وعن الحسن يا ابن آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك
فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا **بعد ذلك**
بعدما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات **لمسرفون** يعني في القتل لا يبالون بعظمته **يحاربون
الله ورسوله** يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته **ويسعون في الارض
فسادا** مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلته ويفسدون
في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم
هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عليه السلام عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول
الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى الله اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال
قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة
السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما
ومعناه **ان يقتلوا** من غير صلب ان افردوا القتل **او يصلبوا** مع القتل ان جمعوا

يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه

واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ٥

بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن حتى يموت **او تقطع ايديهم و
ارجلهم من خلاف** ان اخذوا المال **او ينفوا من الارض** اذا لم يزيدوا على الاخافة
وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من
غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب
وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى
تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة **خزي** ذل وفضيحة **الا الذين تابوا** استثناء من
المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء
ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن علي عليه السلام ان الحارث بن بدر جاءه تائبا
بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة** الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك
فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد **شعر** ارى
الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل **ان الذين كفروا لو ان
لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به** ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا
تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وآله
يقال للكافر يوم القيمة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول
نعم فيقال له قد سئلت ما هو ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان **فان قلت** لم وحد
الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان **قلت** هو نحو قوله **شعر** فاني وقيار بها لغريب او
على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فكانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله
بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه **فان قلت** فبم نصب المفعول معه **قلت** بما يستند اليه لو من الفعل
لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض قرأ ابو واقد **ان يخرجوا** بضم الياء من اخرج ويشهد
لقراءة العامة قوله **وما هم بخارجين منها** وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال
لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى
وما هم بخارجين منها قال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول
تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله وهو بين اظهر
اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها ومفسرها بالخطاب
الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث
فرية ما فيها مرية **والسارق والسارقة** رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه
كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء
والخبر **فاقطعوا ايديهما** ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي

ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم
يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له
من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا

سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها
سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما
ونحو فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان
بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشرع من سرق
من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم
عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر
من قطع يدك بدرهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته
وأصلح أمره بالتفصي عن التبعات فإن الله يتوب عليه فيسقط عنه عقاب الآخرة وأما
القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه ألم تعلم
أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة
له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى الى الاسلام
وابعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم في
القصاص حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلنا لانه قوبل بذلك تقدم السرقة
على التوبة يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم
ولم تؤمن قلوبهم قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة
المنافقين في الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين
فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى
وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا
فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين
هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف
على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا
ومعنى سماعون للكذب قابلون لما تفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف
كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله وتجافوا عنه لما افرط فيهم
من شدة البغضاء وتبالغ في العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين
في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل
ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون
من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل
السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن

مواضعه

مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع إن أوتيتم هذا
المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وافتاكم محمد
صلى الله عليه وآله وسلم بخلافه فاحذروا اياكم واياه فهو الباطل والضلال روي ان شريفا
من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد
والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا
ان يأخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا
امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه
الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق
البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه
وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن اشياء كان
يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي
الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله
فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله
وتوفيقه شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا
من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله
كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم سماعون للكذب أكالون للسحت السحت كل ما
لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة كما قال الله تعالى يمحق الله
الربوا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ
المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على
الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها
في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب
وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه وقدم اليهم الغرائر وجعل يحدثهم بما جرى
له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وعن
النبي صلى الله عليه وآله كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله مخيرا اذا تحاكم
اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى
حكام المسلمين فان شاؤوا حكموا وان شاؤوا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما
انزل الله وعند ابي حنيفة ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

أو سرق من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية **فلن يضروك شيئا** لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلقاء بأن يعادوه ويضاروه فأمنه الله ضررهم **بالقسط** بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله** تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به **ثم يتولون من بعد ذلك** ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به **وما أولئك بالمؤمنين** بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم **فإن قلت** فيها حكم الله ما محله من الإعراب **قلت** إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره **فإن قلت** لم أنثت التوراة **قلت** لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما من كلام العرب **فإن قلت** علام عطف ثم يتولون **قلت** على يحكمونك **فيها هدى** يهدي للحق والعدل **ونور** يبين ما استبهم من الأحكام **الذين أسلموا** صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل عنها وقوله **الذين أسلموا للذين هادوا** مناد على ذلك **والربانيون والأحبار** والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود **بما استحفظوا من كتاب الله** بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين **وكانوا عليه شهداء** رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون من موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي للذين هادوا يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يعدلوا عنها كما فعل رسول الله من حملهم على حكم الرجم وإرغام أنوفهم وإبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والأحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم أنبياؤهم من كتاب الله والقضاء بأحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز أن يكون الضمير في استحفظوا للأنبياء والربانيين والأحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله أي كلفهم الله حفظه وأن يكونوا عليه شهداء **فلا تخشوا الناس** نهي للحكام عن خشيتهم

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ

غير الله في حكوماتهم وإمضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من الأقرباء والأصدقاء **ولا تشتروا** ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا **بآياتي** وأحكامي **ثمنا قليلا** وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضى الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا أحكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا **ومن لم يحكم بما أنزل الله** مستهينا به **فأولئك هم الكافرون** والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بأن حكموا بغيرها وعن ابن عباس أن الكافرين والظالمين والفاسقين أهل الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لأهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الإسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة أنتم أشبه الأمم سمتا ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا وفي مصحف أبي وأنزل الله على بني إسرائيل فيها وفيه وأن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل أن النفس لأن المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس إما لإجراء كتبنا مجرى قلنا وإما لأن معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتابة كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة أنزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ إن النفس بالكسر لكان صحيحا أو للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها أن النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها إذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والأنف مجدوع بالأنف والأذن مصلومة بالأذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف فيه المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت **فمن تصدق** من أصحاب الحق **به** أي بالقصاص وعفا عنه **فهو كفارة** فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله عن سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني إذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارته له أي الكفارة التي يستحقها لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله وترغيب في العفو **وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم** قفيته مثل عقبته إذا أتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه إلى الثاني بزيادة الباء **فإن قلت** فأين المفعول الأول في الآية **قلت** هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لأنه إذا قفى به على أثره فقد قفى به إياه والضمير

مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة
للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك

في آثارهم النبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرئ الانجيل بفتح الهمزة فان
صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا
عطف على محل فيه هدى لانه في محل النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز ان
ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كانه قيل
وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وليحكم بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت فان
نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت
بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله
آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة أبي وان ليحكم
بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم كانه قيل وآتيناه
الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى كان متعبدا بما في التورية من الاحكام
لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ
لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية فان قلت
اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب
قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب
المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق
وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا
على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا بفتح الميم اي هومن
عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي
هيمن عليه الله عز وعلا او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه
كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى لا تنحرف فلذلك عدي
بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها
الناس شرعة شريعة وقرئ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا
في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرايع من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد
لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة هل تعملون بها
مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين
بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون
في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استيناف

وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم

في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل
بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم معطوف على
ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم
على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كساير الافعال ويجوز ان يكون عطفا على الحق اي انزلنا
بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستنزلوك
وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشماس بن قيس من احبار اليهود قالوا
اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي
لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان
تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك واراد واغيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك
واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد
منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما
في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام
كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية
فكذلك اذا صرح بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي
من حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان
احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل
بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا
نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم
الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي من الله وعن
الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حق والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم
الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ
يبغون بالياء والتاء وقرأ السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع
يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن
الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرأ
قتادة افحكم الجاهلية يبغون على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره
من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين عليهم السلام حكما كاولئك الحكام
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ٥

هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** لا تتخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله **بعضهم أولياء بعض** أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر ولمن دينه خلاف دينهم ولكونوا لأنهم **ومن يتولهم منكم** فإنه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تتراءى ناراهما ومنه قول عمر لأبي موسى الأشعري في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله روي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم **يسارعون فيهم** ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا إليهم وإلى معونتهم وعن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع **فعسى الله أن يأتي بالفتح** لرسول الله عليه السلام على أعدائه وإظهار المسلمين **أو أمر من عنده** يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في أمر رسول الله ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحري أن تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي عليه السلام بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب **ويقول الذين آمنوا** قرئ بالنصب عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا **أهؤلاء الذين أقسموا** فإن قلت لمن يقولون هذا القول **قلت** إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الإخلاص **أهؤلاء الذين أقسموا** لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة

يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ٥

والنصرة كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم **حبطت أعمالهم** من جملة قول المؤمنين أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجبا من حالهم وقرئ **من يرتد** ومن يرتدد وهو في الإمام بدالين وهو من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الأسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله عليه السلام إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله عليه السلام من الغد وأتى خبره في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله عليه السلام **أما بعد** فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب **أما بعد** فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام أراد في جاهليتي وإسلامي وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري **شعر** أمت سجاح ووالاها مسيلمة ٭ كذابة في بني الدنيا وكذاب ٭ وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه **فسوف يأتي الله بقوم** قيل لما نزلت أشار رسول الله إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الأنصار وقيل سئل رسول الله عليه السلام عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس **يحبهم ويحبونه** محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده أن يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم أما ما تعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم

إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ۞ ومن يتول الله ورسوله والذين
آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ۞

للشرع واسوءهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة
المفتعلة والمتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم
خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء
وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن
كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت
والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة
فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف
يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل
ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان
قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل
معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم
مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وجل
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة
لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين
فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون
شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله
لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله و
انهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه
كالمسامير المحماة لا يرعهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في
انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل
لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك اشارة الى ما وصف به القوم من
المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم
ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة
من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا
ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت
اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها
لرسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين
آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم الله فان قلت الذين يقيمون
ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ۞ واذا ناديتم
١٦٥ الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون ۞ قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل وان اكثركم فاسقون ۞

تمييز للمخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل
وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع
لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة يعني يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة
وانها نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان
مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي
واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس
في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من
الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم
يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون
ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل
ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد
بمن لا يغالب يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن
الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان
اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء
والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار
اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار
بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان
كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلوة او
للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال
حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق
البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا
يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل
تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت
علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما
تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا
الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف
المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا

اي اعتقادنا

قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة

الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله عليه السلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وبما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي لا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا **قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله** ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثالهما مشورة ومثوبة **فان قلت** المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة **قلت** وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله شعر تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم **فان قلت** المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة **قلت** كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد الطاغوت وعبد وعبد ومعناه الغاية في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال شعر ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله **فان قلت** كيف جاز ان يجعل الله منهم عبادة الطاغوت **قلت** فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو

غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة

الطاغوت وعن ابن عباس الطاغوت الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وفي الحشر الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم **اولئك** الملعونون الممسوخون **شر مكانا** جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز **واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون** نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال وليفيد معنى اخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله عليه السلم متوقعا لاظهار ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا امنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم **الاثم** الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم **والعدوان** الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم **السحت** الحرام خاصة كالرشى **لبئس ما كانوا يصنعون** كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الاية مما يقد السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان متعقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وقبضها وبسطها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله شعر جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله شعر اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وقالوا بسط الياس كفيه في صدري فجعلت للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومنهم

والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو ان
اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما
انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ٥

ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الاية لم يتخلص من يد الطاعن اذا عبث به **فان قلت** قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر الكلام وزل عن سننه **قلت** يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلى ... ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع **فان قلت** كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت** المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم **فان قلت** لم ثنيت اليد في قوله بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت** ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح **ينفق كيف يشاء** تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ورضي بقوله الاخرون فاشركوا فيه **وليزيدن كثيرا** اي يزدادون عند نزول القران لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله **والقينا بينهم العداوة** فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد **كلما اوقدوا نارا** كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس **ويسعون** ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله عليه السلم من كتبهم **ولو ان اهل الكتاب** مع ما عددنا من سياتهم **امنوا** برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان **لكفرنا عنهم** تلك السيات ولم نواخذهم بها **ولادخلناهم** مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سياتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالتك والله يعصمك من الناس ان الله لا
يهدي القوم الكافرين ٥

يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب **ولو انهم اقاموا التورية والانجيل** اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله **وما انزل اليهم** من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** عبارة عن التوسعة وفيه ثلثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم **منهم امة مقتصدة** طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى **ساء ما يعملون** فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه **وان لم تفعل** وان لم تبلغ جميعه كما امرتك **فما بلغت رسالته** وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا غير مؤمن به وعن ابن عباس ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت **فان قلت** وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته **قلت** فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لاخفاء بشناعته فقيل انه لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلم فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك **والله يعصمك من الناس** عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم **فان قلت** اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته **قلت** المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلم وقيل نزلت بعد يوم احد **والناس** الكفار بدليل قوله **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان

قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم
الكافرين ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ﴿٦٩﴾

رسول الله عليه السلام يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس لقد
عصمني الله من الناس **لستم على شيء** اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول
هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء **فلا تاس** فلا تتاسف عليهم
لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم وفي المؤمنين غنى عنهم **ان الذين امنوا
والذين هادوا والصابئون والنصارى** والصابئون رفع بالابتداء وخبره محذوف و
النية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له **شعر** والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما
بقينا في شقاق، اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك **فان قلت** هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل
ان واسمها **قلت** لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان **فان قلت**
لم لا يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو **قلت** لاني اذا رفعته رفعته
عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان
الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما تنتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي
به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين **فان قلت**
فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو **قلت** هو مع خبره المحذوف
جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها
فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم **قلت** فائدته التنبيه على
ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك
ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين
الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم على بغاة
تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي
هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما **فان قلت** فلو
قيل والصابئين واياكم لكان التقديم حاصلا **قلت** لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه
لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه وتجري هذه الجملة مجرى
الاعتراض في الكلام **فان قلت** كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن **قلت** فيه وجهان ان يراد
بالذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن امن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه
ريبة فيه **فان قلت** فما محل من امن **قلت** اما الرفع على الابتداء وخبره **فلا خوف عليهم** والفاء
لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف
عليه او من المعطوف عليه **فان قلت** فاين الراجع الى اسم ان **قلت** محذوف تقديره من امن

لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ﴿٧٠﴾ وحسبوا الا تكون
فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون ﴿٧١﴾ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال
المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماويه النار وما للظالمين من انصار ﴿٧٢﴾ لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ﴿٧٣﴾

منهم كما جاء في موضع اخر وقرئ والصابيون بياء وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون
والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا
ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا
ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون **لقد اخذنا ميثاقهم** بالتوحيد **وارسلنا
اليهم رسلا** ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم **كلما جاءهم رسول** جملة شرطية وقعت
صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم **بما لا تهوى انفسهم** بما يخالف هواهم ويضاد
شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع **فان قلت** اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول
ان اكرمت اخي اخاك اكرمت **قلت** هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه
قيل كلما جاءهم رسول ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقول قائل يقول كيف فعلوا
برسلهم **فان قلت** لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا **قلت** جيء يقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها وقرئ ان لا تكون بالنصب
على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف
ضمير الشان **فان قلت** فاين مفعولا حسب **قلت** سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه
مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله **فتنة** اي بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة
فعموا عن الدين **وصموا** حين عبدوا العجل ثم تابوا **فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا** كرة ثانية بطلبهم المحال
غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم و
ضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك **كثير منهم** بدل
من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم **لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** لم يفرق عيسى
بينه وبينهم في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى **انه من يشرك بالله** في عبادته
او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله **فقد حرم الله عليه الجنة** التي هي دار الموحدين اي حرمه
دخولها ومنعه كما يمنع المحرم من المحرم عليه **وما للظالمين من انصار** من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا
عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان
كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم فيما تقولون
ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول ولا ينصركم ناصر في الاخرة من عذاب الله **لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد** من في قوله وما من اله الا اله واحد
للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله وما من اله قط في الوجود الا
اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله **ليمسن الذين كفروا**

أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان
الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو
السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت
في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهو تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي
البيان فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين
كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين
من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض
على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون الا
يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من
اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول
اى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات الله كما اتوا بامثالها ان ابرأ
الله الابرص واحيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على
يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اى وما
امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين
احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لا يوصف
به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح
ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام
وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة
وشهوة وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم
الآيات اى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع
الحق وتأمله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعني انه بين
الآيات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا ما لا يملك هو عيسى اى شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله
من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم من صحة الابدان و
السعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكأنه
لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا
ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو
السميع العليم متعلق باتعبدون اى تشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون
ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل
مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم غير الحق صفة للمصدر اى لا تغلوا في دينكم غلوا

لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس
ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود

غير الحق اى غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش
عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد وغلو
باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل
الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وآله واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله
صلى الله عليه وآله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي
الانجيل على لسان عيسى ابن مريم وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام
اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم
عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت
اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا
اى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببا لمسخهم الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر
ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر
فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة
على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير تغييرا للمعصية والاعتداء قلت من قبل ان
الله تعالى امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد
فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه
لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما
ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون
عن منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن
الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون
المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل لبئس زادهم
الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق
ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دلالة على نفاقهم وان ايمانهم
ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا
يؤمنون بالله وبموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله
شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم
الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة عداوتهم للمسلمين بل نبه على تقدم قدمهم
فيها بتقدمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۝

اشركوا ولعمري انهم كذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم بان **منهم قسيسين ورهبانا** اى علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شىء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصرانى ووصفهم الله برقة القلب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشى انه قال لجعفر بن ابى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشى وكذلك فعل قوم الذين وفدوا على رسول الله عليه السلام وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله سورة يس فبكوا **فان قلت** بم تعلقت اللام فى قوله للذين آمنوا **قلت** بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التى اختصت بالمؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التى اختصت بالمؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة بالاشد والمودة بالاقرب **فان قلت** ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اى تسيل من الدمع لاجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا **فان قلت** اى فرق بين من ومن فى قوله مما عرفوا من الحق **قلت** الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول **ربنا آمنا** المراد به انشاء الدخول فيه **فاكتبنا مع الشاهدين** مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله** انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو فى ونطمع واو الحال **فان قلت** ما العامل فى الحال الاولى والثانية **قلت**

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝

العامل فى الاولى ما فى اللام من معنى الفعل كانه قيل اى شىء حصل لنا غير مؤمنين وفى الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع فى صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول فى الاسلام لان الكافر ما ينبغى له ان يطمع فى صحبة الصالحين **فأثابهم الله بما قالوا** بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده وما يذهب اليه **طيبات ما أحل الله لكم** ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموها لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام فى الانذار فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت وروى ان رسول الله عليه السلام كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال انى حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن دعى الى طعام ومعه فرقد السبخى واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا اؤدى شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد اكثر من نعمته عليه فى الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم فتنعموا واطاعوه ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه **ولا تعتدوا** ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا فى تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك **وكلوا مما رزقكم الله** اى من الوجوه الطيبة التى تسمى رزقا **حلالا** حال مما رزقكم الله **واتقوا الله** تأكيد للتوصية بما امر به وزاده تأكيدا بقوله **الذى أنتم به مؤمنون** لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء عما نهى عنه **لا يؤاخذكم الله**

فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير
رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا
ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل

باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة
انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي وعن مجاهد هو الرجل
يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة بما عقدتم الايمان بتعقيد
الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق
فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال شعر ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات
العزائم وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف
وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة
نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من
اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهي عند ابي حنيفة نصف صاع
برا وصاع من غيره لكل مسكين ويغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرا جعفر
بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض
وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الواو واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا معدي
كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحو قدوة في
قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العبادة تجزي يومئذ وعن
ابن عمر ازار وقميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرا
سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا
تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره
او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان قياسا
على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل
فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد
اصاب فمن لم يجد احداها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود
فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة
اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او
لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب
بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند
الشافعي بالمال اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث
فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها
وكيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم آياته اعلام شريعته واحكامه
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب

انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واطيعوا
الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين

والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد
منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد
الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان
والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من
الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ما ينتج منهما من الوبال وهو
وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن
مراعاة اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما
من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم
توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه
قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت
لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما
نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر
واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة
بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر
ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله عن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه
قيل وعن الصلوة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر
الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر وفي ترك
طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف
الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات
المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل
الصالح وازدادوا منه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا
ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات
وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
وياكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا
اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء
عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما
فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح فتقول ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم
وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل نزلت عام الحديبية

يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ليعلم الله من يخاف بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ۵

يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ابتلاهم الله بصيد البر وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظيمة التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ما هو اشد منه وقرأ ابرهيم يناله بالياء يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم محرمون جمع حرام كردح جمع رداح النعمان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت صيدا وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعن محمد والشافعي مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله في الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم

يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل من النعم وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل ذلك اشارة الى الطعام صياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت

الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٥

القفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني يتيقن منه في ذلك ونحوه واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطا وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة **صيد البحر** مصيدات البحر مما يوكل ومما لا يوكل **وطعامه** وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسيره عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه **متاعا لكم** مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ياكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شئ يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله **فان قلت** ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر **قلت** قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام **البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجئ الصفة كذلك **قياما للناس** انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطا بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا **والشهر الحرام** والشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة لان اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الاشهر الحرم **والهدي والقلائد** والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر **ذلك** اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره **لتعلموا ان الله يعلم** كل شئ وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم **شديد العقاب** لمن انتهك محارمه **غفور رحيم** لمن حافظ عليها **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا كثرة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ٥

الخبيث حتى تؤثره لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم **فاتقوا الله** واثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة **شعر** كما تر بسعدا ان سعدا كثيرة لا ترج من سعد وفاء ولا نصرا لا تدهشنك من عدوك عدته فان حاليهم بل كلهم بقرا وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين لان ذلك كان في الشهر الحرام **لا تسئلوا عن اشياء** الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله **ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله حين تسالونه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك مثل ما روى ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه واله حتى اعاد مسئلته ثلث مرات فقال صلى الله عليه واله ويحك وما يومنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشئ فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه **وان تسئلوا عنها حين ينزل القران** اي وان تسئلوا عن هذه التكاليف الشاقة الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه **تبد لكم** تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها **عفا الله عنها** عفا الله عنكم عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها **والله غفور حليم** لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته **فان قلت** كيف قال لا تسئلوا عن اشياء ثم قال قد سالها ولم يقل قد سال عنها **قلت** الضمير في سالها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسئلة التي دل عليها لا تسئلوا يعني قد سال هذه المسئلة قوم من الاولين **ثم اصبحوا** بها اي بمرجوعها او بسببها **كافرين** وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى

يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض
فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو
كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فاخران

ومعنى ما جعل الله ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير ولا التسييب ونحو ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا
يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم
يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في قوله او لو كان اباؤهم واو الحال دخلت عليها همزة الانكار
وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح
بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو
والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي
بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال الله تعالى لنبيه فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وكذلك من رأى يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم
ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة
عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها
قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون
فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه
ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة
الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه
عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان
من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر وللعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم وعليكم
من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع
وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان
يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ارتفع اثنان
على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل
شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ
الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية
بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي لا ينبغي
ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل
منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر

يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا
لمن الظالمين

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد ... بن ... الصدور ...
وكفى عبده ١٢٧٥

ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم
باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو
منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في
حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى
عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام
فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما بان يدفعا متاعه
الى اهله ومات ففتشاه فاخذا اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه
فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه فنزلت
تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وعن الحسن او بعد العصر او بعد الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي
حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وآله صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فا
ستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه منهم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة
وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما اي اتهمتموهما
فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ
تحليفهما وعن علي انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني
لا نستبدل بصحة القسم بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على ان هذه عادتهم في
صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو
على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي
انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض همزة الاستفهام منه وروي
عنه بغير مد كما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه حرف الاستفهام فيقول الله
لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عاد لولى فان قلت
ما موقع تحبسونهما قلت هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا فيهما
فقال تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف
بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز
ان تكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق
وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي
فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الاثمين فاخران فشاهدان اخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
في قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما

ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله و اسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب

احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرورا او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي ابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للمفعول وهو علي وابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان يأتوا الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع اجابة وقبول يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكروا ويوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجاء الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان يقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم السلطان واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك

الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات المعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد دليل على حد من الطفولية وقيل روح الامين جبرئيل صلوات الرحمن عليه ايد به لتثبيت الحجة فان قلت ما معنى في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير تفاوت كلامك في حين الطفولية وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير في فيكون تخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه ولم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله شعر يا حار بن عمرو كاني خمر لان الترخيم لا يكون الا في المضموم فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين

قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَ
ارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا
مِنَ الْعَالَمِينَ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ
مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ

لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال كانت دعوتهم لارادة ما
ذكروا كدعوتهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب لتلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم
العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب
قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء اللهم اصله يا الله فحذف حرف
النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو
يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم
عيد فكان معناه يكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيره يرثني و
يرث في لاولنا واخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا
وقيل يأكل منها اخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمتقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا
والتانيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب
ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم
انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها حتى
سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة
وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون
رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح
وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكن شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما
سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية
اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية
ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشرط
وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو
نزلت لكانت عيدا الى يوم القيمة لقوله واخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك من ان يكون لك
شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم
معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وقيل
في نفسك في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت
عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما
امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ان في قوله

فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ
يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

المائدة

ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر و
كلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسطه حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان
اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله تعالى فلو
فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها
موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم
لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى
ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو
اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول
بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى
ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي
وربكم ويجوز ان يكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا
على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم
من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب
ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما
قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان يقال عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت
لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في العقول بل متى كان المجرم
اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه
ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع
يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع
بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله يوم ينفع الصادقين صدقهم ان
اريد صدقهم في الاخرة فليست الاخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق
لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت
معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم واخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم
القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق تصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه
صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه لله ملك السموات
والارض وما فيهن فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء و
قيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رأيت شبحا

من بعيد ما هو قبل ان تعرف العاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني تنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلث آيات من قوله تعالى قل تعالوا اتل الآيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها ولان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف بالالهية فيهما او المتوحد بالالهية فيهما او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما فان قلت ما موقع قوله يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون

السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبرا ثالثا ويعلم ما تكسبون من الخير والشر فيثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق ومن آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونظيره ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم واما مكنه في الارض فاثبته فيها ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في رق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا فتبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الان فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

بالتشديد **ولقد استهزئ** تسلية لرسول الله عما كان يلقى من قومه **فحاق بهم** فاحاط بهم الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به **فان قلت** اى فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا **قلت** جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله **قل سيروا في الارض ثم انظروا** فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح **لمن ما في السموات والارض** سؤال تبكيت **قل لله** تقرير لهم اى هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره **كتب على نفسه الرحمة** اى اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله **ليجمعنكم الى يوم القيمة** فيجازيكم على اشراككم وقوله **الذين خسروا انفسهم** نصب على الذم او رفع اى اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم **فان قلت** كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس **قلت** معناه والذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون **وله** عطف على لله **ما سكن في الليل والنهار** من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم **وهو السميع العليم** يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان **قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض** اولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها **وهو يطعم ولا يطعم** ويرزق ولا يرزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وقرى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر **اول من اسلم** لان النبي صلى الله عليه وآله سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المسلمين **ولا تكونن** وقيل لي لا تكونن **من المشركين** ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك **من يصرف عنه** العذاب **يومئذ فقد رحمه** الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَيَوْمَ

فقد انعمت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اى من يصرف الله عنه ذلك اليوم اى هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة ابي من يصرف الله عنه **وان يمسسك الله بضر** من مرض وفقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو **وان يمسسك بخير** من غنى او صحة **فهو على كل شيء قدير** فكان قادرا على ادامته وازالته **فوق عباده** تصوير للقهر والعلو والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال لله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اى شيء **اكبر شهادة** فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم **قل الله شهيد بيني وبينكم** يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اى لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وآله **أئنكم لتشهدون** تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد** شهادتكم **الذين آتيناهم الكتاب** يعني اليهود والنصارى **يعرفونه** يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة **كما يعرفون ابناءهم** بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال **الذين خسروا انفسهم** من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين **فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون** جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجة به عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول **ويوم نحشرهم** ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف **اين شركاؤكم** اى آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله **الذين كنتم تزعمون** معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا منهم من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم **فتنتهم** كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف

انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا
وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون
عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون

على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمى فتنة لانه كذب وقرئ
تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم ما كانت امك
وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء
وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون اى يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف
يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت
الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا ليقض علينا ربك
وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على
خطا فى معتقدنا وحمل قوله كيف كذبوا على انفسهم فى الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام
الى ما هو عى واقحام لان المعنى الذى ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو
ناب عنه اشد النبو وما ادرى ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الله الكذب
وهم يعلمون فشبه كذبهم فى الاخرة بكذبهم فى الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو
القران روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى جعلها بيته يعنى
الكعبة ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون
الماضية فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة على القلوب والوقر
فى الاذان مثل فى نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته
وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هى حكاية
لما كانوا ينطقون به من قولهم وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة وقرا بكسر
الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هى حتى التى تقع بعدها الجمل والجملة اذا جاؤك يقول
الذين كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك فى محل
الجر يعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم
بالايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير
الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهى الغاية فى التكذيب
وهم ينهون الناس عن القران او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى
غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروى انهم اجتمعوا الى ابى طالب وارادوا برسول الله سوءا

ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا

فقال نعم والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد فى التراب دفينا ... فاصدع بامرك ما عليك
غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا ... ودعوتنى وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت
وكنت ثم امينا ... وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا ... لولا الملامة او
حذار مسبة ... لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ... فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو
ترى لرايت امرا شنيعا اذ وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هى
تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ
وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيهم ثم ابتدؤا ولا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه
الاثبات وشبهه سيبويه نرد غير مكذبين او كائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمنى فان قلت
يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمنى لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة
فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقنى مالا فاحسن اليك واكافئك على
صنيعك فهذا متمن فى معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئ كذب
كانه قال ان رزقنى الله مالا كافاتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنون واضمار
ان على جواب التمنى ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون
من الناس من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا
لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لامنوا وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا
يسرونه وقيل هو فى اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله عليه السلام
ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اى ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان
هى الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون
على معنى وانهم لقوم كاذبون فى كل شىء وهم الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا
على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاتبه
وقيل وقفوا على جزائه وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم
اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون
من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله
الاخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه فى موضع اخر حتى غاية لكذبوا لا لخسر لان
خسرانهم لا غاية له اى ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجىء الساعة فان قلنا ما يتحسرون عند
موتهم قلت لما كان الموت وقوعا فى احوال الاخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمى باسمها
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه واله من مات فقد قامت قيامته او جعل مجىء الساعة بعد الموت

على ما فرّطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا
تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى فلا تكونن من الجاهلين

ليس عنده كالواقع بغير فترة **بغتة** فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل
بغتتهم الساعة **على ما فرطنا فيها** الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها
معلومة او للساعة على ما قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه
فرطت في جنب الله **يحملون اوزارهم على ظهورهم** كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل
الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي **ساء ما يزرون** بئس شيئا يزرون وزرهم
كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب
منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله **للذين يتقون** دليل على ان ما سوى
اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ تعقلون بالتاء والياء
في قوله **قد نعلم** بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله شعر اخي ثقة لا تهلك
الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في **انه** ضمير الشأن **ليحزنك** قرئ بفتح الياء
وضمها **الذي يقولون** هو قولهم ساحر كذاب **لا يكذبونك** قرئ بالتشديد والتخفيف
من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى
الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود
آياته والاستهانة بكتابه فاله عن حزنك لنفسك وليشغلك عنه ذلك ما هو اهم وهو
استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس
انهم لم يهينوك وانما اهانوني وفي هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك
عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن رسول الله عليه السلام
يسمى الأمين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول له لا نكذبك
فانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي
جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد أصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال والله
ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والندوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت **ولكن الظالمين** من اقامة الظاهر مقام المضمر
للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم **ولقد كذبت رسل من قبلك** تسلية لرسول
الله عليه السلام وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك
ما اهانوك ولكنهم اهانوني **فصبروا على ما كذبوا واوذوا** على تكذيبهم وايذائهم **ولا مبدل لكلمات**
الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون **ولقد جاءك من**
نبإ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي عليه السلام
كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت لعلك باخع نفسك الآية لانه لا يهدى من اختلف **وان كان**

انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم
لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون

كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى
تطلع لهم آية يؤمنون بها **او سلما في السماء فتأتيهم** منها **بآية** فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك
والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض
او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات وكان يود ان يجابوا
اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه
لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في
الارض والسلم في السماء هو الاتيان بالآيات كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او
الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول
ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** بان يأتيهم بآية ملجئة
ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة **فلا تكونن من الجاهلين** الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو
خلافه **انما يستجيب الذين يسمعون** يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين
لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى **والموتى يبعثهم الله** مثل لقدرته
على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة **ثم اليه يرجعون** للجزاء
فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه
وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل
الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء **وقالوا لولا نزل عليه آية** نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل
بالتخفيف والتشديد وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن
للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله
لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم **قل ان الله قادر**
على ان ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها
جاءهم العذاب **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان الصارف
من الحكمة تصرف عن انزالها **امم امثالكم** مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم و
آجالكم واعمالكم **ما فرطنا في الكتاب** في اللوح المحفوظ **من شيء** من ذلك
لم نكتبه ولم نثبت ما تختص به **ثم الى ربهم يحشرون** يعني الامم كلها من الدواب والطير
فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء **فان قلت** كيف قيل الا امم
مع افراد الدابة والطائر **قلت** لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق
ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى **فان قلت** هلا قيل وما من دابة
ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه **قلت** معنى ذلك
زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط

في جوّ السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت
فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك
الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على
احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من
سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ
علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبع قوله والذين كذبوا بآياتنا قلت لما ذكر من
خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام
المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم
قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشأ الله يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لا يلطف به لانه
ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل
أرأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت
للكاف محلا لكنت كانك تقول أرأيت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار
محذوف تقديره أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله أغير الله
تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة كما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه
تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء
ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك
الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان
يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كانه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان
قلت ان علقت الاستخبارية فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة
وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا
بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه البأساء والضراء
والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا
اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم
فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا
ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم
باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا
الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف
النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه
تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على

وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب

الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون
واجمون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت
شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وانه من اجل
النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم و
يعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي يأتيكم
بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات
بعد ظهورها لما كان البغتة ان يقع الامر من غير ان تشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة و
عن الحسن ليلا ونهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون
وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به واطاعهم
ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم وتقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم
بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل
بهم ما يريد من الآلام ومنه قوله لقيت منهم الامرين والاقورين حيث جمعوا اجمع العقلاء
وقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي لا ادعي ما يستبعد في العقل
ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب اي من الملائكة
الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه
ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها
وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة
والمحال وهو الالهية والملائكة افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا
اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان قلت
اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة
المقول كانه قيل لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون
في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحى اليه لعلهم يتقون اي
داخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما
ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن
يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات

من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادته بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر عنه عن ذات الشيء وحقيقته روى ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله لو طردت هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فأقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروى ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي عليه السلم ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب وصهيب فينا نزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيى ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما تقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا يؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اى ابتليناهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اى انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤسا وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكونوا امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان

قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين

خيرا ما سبقونا اليه ومعناه فتناهم ليقولوا ذلك خذلانا لهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون أليس الله بأعلم بالشاكرين اى الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اى عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر شعر على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ وليستبين بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده وليستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اى لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغاضبوا في العذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق اى القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اى القاضين وقرئ

وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وهو الذى
يتوفىكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه
مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون

يقص الحق اى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره لو ان عندى اى فى قدرتى و
امكانى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى
وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب فى الحكمة من
كنه عقابهم وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهى القران وكذبتم به اى بالبينة وذكر
الضمير على تاويل البيان او القران فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضى اى يقضى
القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اى يصنع الحق ويدبره
وفى قراءة عبد الله يقضى بالحق فان قلت لم اسقطت الياء فى الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها
فى اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى
ما فى المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد
انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم
فتحها فهو المتوصل الى ما فى المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل
جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى
حكمها كانه قيل وما يسقط من شئ من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا فى كتاب مبين كالتكرير
لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى فى كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح
المحفوظ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة
وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة فى الدار
وهو الذى يتوفىكم بالليل الخطاب للكفرة اى انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما
جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى
قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتنى فيقول فى
اجل كذا ليقضى اجل مسمى وهو الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه
مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم حفظة
ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابى حاتم السجستانى انه كان يكتب عن الاصمعى
كل لفظ يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه شبيه الحفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما
يكتب فان قلت الله تعالى غنى بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها فيها قلت لطف للعباد لانهم
اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم
ويكتبونها فى صحائف تعرض على رؤس الاشهاد فى مواقف القيامة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح
وابعد من السوء توفته رسلنا استوفته وحده وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد
جعلت الارض له مثل الطست يتناول منها وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم فى كل يوم مرتين
وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف

ثم ردوا الى الله مولىهم الحق الا له الحكم وهو اسرع
الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا و
خفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله
ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت
ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر
كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل
نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت
الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا فى حديث

والتفريط التوانى والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اى لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون
فيه ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذى يلى عليهم امورهم الحق العدل الذى لا يحكم
الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب
وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما و
اهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان
يراد ما يشفون عليه من الخسف فى البر والغرق فى البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله
عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة القول من هذه الظلمة والشدة وقرئ
ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر هو القادر هو الذى عرفتموه قادرا
وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم
نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل
اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات
او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى
خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها
بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت الله
ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطانى ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم
فمنعنى واخبرنى جبريل ان فناء امتى بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول
الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد
باحد اصناف العذاب المعدودة والضمير فى قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اى لا بد
ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل
نبإ لكل شئ ينبأ به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير فى به للقران يخوضون
فى آياتنا فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم ولا
تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فلا بأس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان
وان شغلك بوسوسة حتى تنسى النهى عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر
النهى وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهى قبح
مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه
معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه
من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم
وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير
للذين يتقون اى يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروى ان المسلمين قالوا

لئن كنا نقوم كلما استهزئ بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا دينهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا دينهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل اي وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا وقيل نزلت في ابي بكر حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله الذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي ننكص مشبهين من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى

استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم كأنه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب يوم ينفخ ظرف لقوله الحق اي لقضاء الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح واذ قال ابرهيم لابيه آزر آزر اسم ابي ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات وفي شعر بعض المحدثين شعر ادعى باسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ءأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد آزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه

وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف
ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا
من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا
ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن اباءهم

بانه مبطل فحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم كر عليه
بعد حكايته فنطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال
المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام بازغا مبتدئا فى
الطلوع لئن لم يهدنى ربى تنبيه لقومه على من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب فى الافول
فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا
مع خصومه انى برئ مما تشركون من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض اى للذى دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتد
ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدنى
ربى وقوله يا قوم انى برئ مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ و
كلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب
فان قلت ما وجه التذكير فى قوله هذا ربى والاشارة للشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما
عبارة عن شىء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا
وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا فى صفة
الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ ترى
ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية وحاجه
قومه قال اتحاجونى فى الله وكانوا حاجوه فى توحيد الله ونفى الشركاء عنه منكرين لذلك وقد
هدانى يعنى الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به وقد خوفوه بان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان
يشاء ربى شيئا الا وقت مشية ربى شيئا يخاف فحذف الوقت يعنى لا اخاف معبوداتكم فى
قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى ان يصيبنى بمخوف من جهتها ان اصبت
ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمنى بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على
مضرة وسع ربى كل شىء علما اى ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون فى علمه انزال المخوف بى من جهتها
افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف [illegible]
مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله
ما لم ينزل باشراكه سلطانا اى حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما
لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ولم يقل فاينا
احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فاى الفريقين يعنى فريقى
المشركين والموحدين استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
اى لم يخلطوا ايمانهم بظلم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك
اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم

المائدة

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم
عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا و
هدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم
ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك
مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها و
الذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون

مهتدون ومعنى **آتيناها** أرشدناه إليها ووفقناه لها **نرفع درجات من نشاء** يعني في العلم والحكمة
وقرئ بالتنوين الضمير لنوح أو لإبرهيم **وداود** عطف على نوحا أي هدينا داود **ومن آبائهم** في
موضع النصب عطفا على **كلا** بمعنى وفضلنا بعض آبائهم **ولو أشركوا** مع فضلهم وتقدمهم وما
رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك **آتيناهم الكتاب**
يريد الجنس **فإن يكفر بها** بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة **هؤلاء** يعني أهل مكة **قوما** هم الأنبياء المذكورون
ومن تابعهم بدليل قوله **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** وبدليل صلة قوله فإن يكفر بها
هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل
الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام
بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في **بها** صلة كافرين وفي
بكافرين تأكيد النفي **فبهداهم اقتده** فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم
المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وحده وتوحيده وأصول الدين دون شرائع
فإنها مختلفة فهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى
أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف **وما**
قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة
الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو وما
عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة
العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذا تبدونها
وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله فألزموا ما لا بد لهم من
الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم
وتحريفهم وإبداء البعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه و
نقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء
روي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله أنشدك بالذي أنزل التوراة
على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت مما يطعمك اليهود فضحك
القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا
عنك فقال إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال
التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنزل علينا
الكتاب لكنا أهدى منهم **وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم** الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد
صلى الله عليه وآله وسلم مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا
أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ
عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ

لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اى انزله الله فانهم لا يقدرون على ان يناكروك ثم ذرهم فى خوضهم
فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة وبقال المركان فى عمل لا يجدى عليه انما
انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وان
يكون صلة او للذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب
كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ لينذر بالياء والتاء
سميت ام القرى لانها اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى
شانا ولبعض المجاورين شعر فمن يلق فى بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالى ومنتابى
والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالآخرة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك ان
اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلوة لانها عماد
الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا فى المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا فزعم ان
الله بعثه نبيا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء وهو مسيلمة الحنفى الكذاب او كذاب صنعاء
الاسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رايت فيما يرى النائم كان فى يدى سوارين
من ذهب فكبرا على واهمانى فاوحى الله الى ان انفخهما فنفختهما فطارا عنى فاولتهما
الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن سعد بن ابى سرح القرشى كان يكتب لرسول الله عليه السلم
فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين الى آخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال
صلى الله عليه وآله وسلم اكتبه كذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى
كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة
وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزؤن ولو ترى جوابه محذوف اى لرايت امرا فظيعا اذ الظالمون
يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء
لاشتماله غمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للغالبة
باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف فى السياق والالحاح والتشديد فى الازهاق من غير تنفيس وامهال
وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا
يمهله ويقول اخرج الى ما لى عليك الساعة ولا اريم مكانى حتى انزعه من احداقك وقيل
معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اى لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع
وان يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيمة والهون

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ
وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا

الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه
عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه
وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التى زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم اول
مرة على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى
الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحملوا منه نقيرا ولا قدمتموه
لانفسكم فيكم شركاء فى استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله
شركاء فيهم وفى استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى مثل سكرى
فان قلت كما خلقناكم فى اى محل هو قلت فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اى مجيئا
مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد
اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند
الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفى قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم
فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين
فى النواة والحنطة يخرج الحى من الميت اى الحيوان والنامى من النطف والبيض والحب
والنوى ومخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامى فان قلت كيف قال ومخرج الميت
من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى
لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان
فلق الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان
الا ترى الى قوله يحيى الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى يحق له
الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه ومن توليه الى غيره الاصباح مصدر سمى به
الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله شعر افنى رباحا وبنى رباح تناسخ الامساء
والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسى وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة
هى التى تنفلق عن الصبح كما قال شعر تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان ان يراد فالق
ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل ومنقضاه الذى يلى الصبح والثانى ان يراد فالق الاصباح
الذى هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الصبح وانصدع الفجر وسموا
الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائى شعر وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح و
جاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعى فلق الاصباح وجعل الليل سكنا السكن ما يسكن
اليه الرجل ويطمئن اليه استيناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه
يستانس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته
فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر

اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم
الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو
اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ

قرئ بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل اي جعل الشمس والقمر حسبانا او يعطف
على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه
معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل
مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا
تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما
على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان
الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب
المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر و
البحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق
بالظلمات من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان اسم
فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض
ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون
مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف
وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا
به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد والمسببات
صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من
النبات خضرا شيئا خضرا غضا يقال اخضر وخضر كما يقال اعور وعور وهو ما تشعب
من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل قنوان بالرفع
بالابتداء ومن النخل خبرها ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز
ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجه من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه
حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان
وقرئ بضم القاف وفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة
المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها
القاعد فانها تاتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل
ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل
تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل
والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصله او ومخرجه من النخل قنوان وجنات من اعناب
اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات

من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين
الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك
استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره
والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله شعر كنت منه ووالدي بريا والمعنى
بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال
انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا
الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار و
استدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال
ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره ان جعلت لله شركاء مفعولي
جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما
على الاول فان قلت فما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او
جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم
فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله و
قيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين
لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق
وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى
الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين
في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل
الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له
بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات و
قرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله تعالى بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرفوا له
بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة
ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات
والارض اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع
في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل
فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له
ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح و
ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان
يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ۝ اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو و

والداو الثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنسين وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله شعر لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال عن ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا يلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف والنشر قد جاءكم بصائر من ربكم وهو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله تعالى وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به يبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وعلى ما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن أبصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعليها ونفسه عمي واياها ضر بالعمى وما أنا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت وعفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الكتاب وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب وقرئ درس ودرس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات وذات درس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في وليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات تصرف للتبيين ولا تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن والى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر لا إله إلا هو اعتراض اكد به ايجاب

ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم

اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر وهو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بتشديد الواو وبضم العين بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل أمة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيئكم بها او آتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم ان الآية التي تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون على ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس شعر عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما سيكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان يكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب أفئدتهم وندعهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون

ولو اننا نزلنا
اليهم الملئكة وكلمهم الموتى و
حشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم
يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم
وما يفترون ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه
وليقترفوا ما هم مقترفون افغير
الله ابتغي حكما وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين

بها لكونها مطبوعا في قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرا الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البنا للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة كما قالوا لولا انزل علينا الملئكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا باباءنا وحشرنا عليهم كل شئ قبلا كما قالوا او تاتي بالله والملئكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات جمع قبيل فقبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا الا ان يشاء الله مشيته اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الايات ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الاية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب لظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض والانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي وموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك وما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما يرجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم ومطابقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وتجويزه ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الدلايل على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله عليه السلام خطابا لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق

ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في
الناس كمن

واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القران وان تطع اكثر الناس اي من الناس لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يكذبون ان هم على شئ او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب من انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى بسم الله وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم فانه احل لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر عليه اسم الله نسيانا او عمدا قلت قد اول هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلوا مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من اول بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الاية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال من كان ميتا فاحييناه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار وكذلك زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله قوله على قولهم زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني كما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون

وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما
كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم دار السلم عند ربهم

بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم **وما يمكرون**
الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقدم موعد
بالنصرة عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني
اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله ما نرضى به ولا نتبعه ابدا
الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة **الله اعلم** كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح
لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم **سيصيب الذين اجرموا** من اكابرها **صغار** و
قماءة بعد كبرهم وعظمهم **وعذاب شديد** في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار **فمن يرد الله**
ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف **يشرح صدره للاسلام** يلطف
به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه **ومن يرد ان يضله**
ان يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له **يجعل صدره ضيقا حرجا** يمنعه الطافه حتى
يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد
وحرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر **كانما يصعد في السماء** كانما يزاول امرا غير ممكن
لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عليه المقدرة وقرئ يصعد
واصله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد **يجعل**
الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب واراد
الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب **وهذا صراط ربك**
وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان **مستقيما** عادلا مطردا
وانتصابه على الحال المؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا **لقوم يذكرون لهم دار السلم** دار الله يعني
الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر **عند ربهم** في ضمانه كما تقول لك
عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **وهو**
وليهم مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم **بما كانوا يعملون** بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا
يعملون **ويوم يحشرهم** منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او يوم نحشرهم قلنا **يا معشر**
الجن او يوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من
الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين **قد استكثرتم من الانس** اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم
اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع
وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم **ربنا استمتع بعضنا**
ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل

وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها
غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما
يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون

اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل
استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان
كان الرجل كان اذا انزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن
بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع واجارتهم لهم **وبلغنا اجلنا الذي اجلت**
لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف منهم بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى
والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم **خالدين فيها الا ما شاء الله** اي يخلدون
فيها من عذاب النار الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير
فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون
الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب ان
ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي
منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيقول قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع
التهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع **ان ربك حكيم** لا يفعل شيئا الا بموجب
الحكمة **عليم** بان الكفار يستوجبون عذاب الابد **نولي بعض الظالمين بعضا** نخليهم حتى يتولى
بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او يجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناء
كما كانوا في الدنيا **بما كانوا يكسبون** بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي فيقال لهم يوم القيمة على جهة
التوبيخ **الم يأتكم رسل منكم** واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر
الاية ولم يفرق بين مكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به انس وله آلف وقال آخرون الرسل
من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما
كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم
منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله عليه السلم الى الجن
والانس **قالوا شهدنا على انفسنا** حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة
على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا وقولهم شهدنا على انفسنا اقرار منهم لان حجة الله لازمة
لهم وانهم محجوجون بها **فان قلت** ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
قلت يتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض
فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم
واريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم **فان قلت** لم كرر ذكر شهادتهم على
انفسهم **قلت** الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف
لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين
من مثل حالهم **ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى** ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم

وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون ۝ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ۝ وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ۝

انذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ﴿ان لم يكن ربك مهلك القرى﴾ تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ﴿بظلم﴾ بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ﴿ولكل﴾ من المكلفين ﴿درجات﴾ منازل ﴿مما عملوا﴾ من جزاء اعمالهم ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بساه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر ﴿وربك الغني﴾ عن عباده وعن عبادتهم ﴿ذو الرحمة﴾ يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ ايها العصاة ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ من الخلق المطيع ﴿كما انشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه ﴿اني عامل﴾ على مكانتي التي هي عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقضى عنه ويعمل بخلافه ﴿من تكون له عاقبة﴾ ما موضع من ﴿قلت﴾ الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي ﴿الدار﴾ العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق والمنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكى ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله ﴿مما ذرأ﴾ فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرئه ولا تزكيته ﴿بزعمهم﴾ وقد قرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة ﴿فلا يصل الى الله﴾ اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين ﴿فهو يصل الى شركائهم﴾ من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ﴿ساء ما يحكمون﴾ في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما شرع لهم ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل﴾

وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ۝

﴿اولادهم﴾ وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين ومن سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاء باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وقرأ ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف وهو شيء لو كان في مكان الضرورات لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في الاموال لوجد في ذلك مندوحة عنه ﴿ليردوهم﴾ ليهلكوهم بالاغواء ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وليخلطوا عليهم وليشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه ليوقعوهم في دين ملبس ﴿فان قلت﴾ ما معنى اللام ﴿قلت﴾ ان كان التزيين من الشيطان فهي على الحقيقة للتعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ﴿ولو شاء الله﴾ مشيئة قسر ﴿ما فعلوه﴾ لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين والسدنة التزيين والارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة ﴿فذرهم وما يفترون﴾ وما يفترونه من الافك او وافتراءهم ﴿حجر﴾ فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا ﴿لا يطعمها الا من نشاء﴾ يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء ﴿وانعام حرمت ظهورها﴾ هي البحائر والسوائب والحوامي ﴿وانعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم ﴿فقالوا هذه انعام حجر﴾ وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكرون اسم الله عليها فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله ﴿افتراء عليه﴾ اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص

قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي أنشأ
جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا
من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم
الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين
حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم

كالعافية أي ذو خالصة وتدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على أن قوله لذكورنا
هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالا متقدمة لأن المجرور لا يتقدم عليه
حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الإضافة وفي مصحف عبد الله خالص **وإن يكن**
ميتة وإن يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وإن تكن بالتأنيث على وإن تكن الأجنة
وقرأ أهل مكة وإن تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله
فهم فيه شركاء لأن الميتة لكل ميت ذكرا وأنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه شركاء
سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على التحليل والتحريم من قوله وتصف ألسنتهم
الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم
مخافة السبي والفقر **سفها بغير علم** لخفة أحلامهم وجهلهم أن الله هو رازق أولادهم لا هم
وقرئ قتّلوا بالتشديد **ما رزقهم الله** من البحائر والسوائب وغيرها **أنشأ جنات** من الكروم
معروشات مسموكات **وغير معروشات** متروكات على وجه الأرض لم تعرش وقيل المعروشات
ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبته الله
وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا
تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه **مختلفا أكله** في اللون والطعم والحجم والرائحة
وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا
عليه ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره
بضمتين **فإن قلت** ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه **قلت** لما أبيح لهم الأكل من
ثمره قيل إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح
إلا إذا أدرك وأينع **وآتوا حقه يوم حصاده** الآية مكية والزكوة إنما فرضت بالمدينة فأريد بالحق
ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر
وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به
يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء **ولا تسرفوا** في الصدقة كما روي عن ثابت بن
قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا إلى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا **حمولة وفرشا** عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال و
ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش
الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش
المفروش عليها **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل
الجاهلية **ثمانية أزواج** بدل من حمولة وفرشا **اثنين** زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل
والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا

ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه
إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور
رحيم

إن كنتم صادقين

كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى
والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله **من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل**
اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم
الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ
بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في **آلذكرين** للإنكار
والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن و
الأنثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها
شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الإبل
والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة
وإناثها تارة وأولادها كيف كانت ذكورا وإناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله
فأنكر ذلك عليهم **نبئوني بعلم** أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم **أم كنتم**
شهداء ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على
مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء
على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**
فنسب إليه تحريم ما لم يحرم **ليضل الناس** وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب
فإن قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه **قلت** قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا
غير أجنبي من المعدود وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها
لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات
في الكلام لا تساق إلا للتوكيد **فيما أوحي إلي** تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس
محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها **إلا أن يكون ميتة** إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة
أو دما مسفوحا أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق
بعد الذبح **أو فسقا** عطف على المنصوب قبله سمي ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وأهل صفة له منصوبة
المحل ويجوز أن يكون مفعولا له من أهل أي أهل لغير الله به فسقا **فإن قلت** فعلام تعطف
أهل وإلام يرجع الضمير في به على هذا القول **قلت** يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما رجع
إليه المستكن في يكون **فمن اضطر** فمن دعته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات **غير باغ** على
مضطر مثله تارك لمواساته **ولا عاد** متجاوز قدر حاجته من تناوله **فإن ربك غفور رحيم**
لا يؤاخذه **ذو الظفر** كل ما له أصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما
ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات

فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون
قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم
ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به

شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق

أحلت لهم وقوله من البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد أخذت ماله
تريد بالإضافة زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر
والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله إلا ما حملت
ظهورهما يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة أو الحوايا أو ما اشتمل على
الأمعاء أو ما اختلط بعظم وهو شحم الألية وقيل الحوايا عطف على شحومهما وأو بمنزلتها
في قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين ذلك جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم
وإنا لصادقون فيما أوعدنا به العصاة كما لا نخلف ما وعدنا أهل الطاعة فلما عصوا وبغوا
ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب فإن كذبوك في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة وأنه
لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لأهل طاعته
ولا يرد بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول
الذين أشركوا إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله
وإرادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم
أي جاؤوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على
غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من
الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ
أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن
مثل قولهم محال أن تكون له حجة إن تتبعون إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون
تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف
قل فلله الحجة البالغة يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة
البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فإن
تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالونهم ولا تعادونهم
وتوافقونهم ولا تخالفونهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم
وقربوهم فإن قلت كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه
محرما ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت أمرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة
ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وأوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا
ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون

والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما
شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا
تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب
بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات
موحدا لله فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم هذا وأي فرق بينه و
بين المنزل قلت المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم
وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به
فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء
معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن شهدوا فلا
تشهد معهم فلو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك
فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فإن شهدوا
فلا تشهد معهم قل تعالوا أتل عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا تعال
من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع
فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم أو بحرم بمعنى أتل أي شيء
حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في أن لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فإن قلت هلا قلت هي التي
تنصب الفعل وجعلت ألا تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا
السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين
إحسانا وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا فإن قلت فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى
يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
فيمن قرأ بالفتح قلت جعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل
عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم فإن قلت
إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا
عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت
هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن
التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك
العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق
ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة

ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون إن الذين فرقوا دينهم وكانوا

والرحم **إلا بالتي هي أحسن** إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه **بالقسط** بالتسوية والعدل **لا نكلف نفساً إلا وسعها** إلا ما يسعها ولا يعجز عنه وإنما اتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك ليدل على أن إيفاء الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه **ولو كان ذا قربى** ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فإنما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش هذا صراطي وفي مصحف عبد الله هذا صراط ربكم وفي مصحف أبي هذا صراط ربك **ولا تتبعوا السبل** الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات **فتفرق بكم** فتفرقكم أيادي سبا **عن سبيله** عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء روى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام أنه خط خطاً ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه وعن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة **فإن قلت** علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب **قلت** على وصاكم به **فإن قلت** كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل **قلت** هذه التوصية قديمة لم تزل يوصي بها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب **تماماً على الذي أحسن** تماماً للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسناً صالحاً يريد جنس المحسنين يدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا وأراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به أو تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلاً ما بعوضة بالرفع أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً كاملاً على أحسن ما يكون عليه الكتب أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه **أن تقولوا** كراهة أن تقولوا **على طائفتين** يريد أهل التوراة وأهل الإنجيل **وإن كنا** إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا

عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن **عن دراستهم** عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم **لكنا أهدى منهم** لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون وقرئ أن يقولوا أو يقولوا بالياء **فقد جاءكم بينة من ربكم** تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات والمعنى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف **فمن أظلم ممن كذب بآيات الله** بعد ما عرف صحتها أو تمكن من معرفة ذلك **وصدف عنها** الناس فضل وأضل **سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب** كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب **الملائكة** ملائكة الموت أو العذاب **أو يأتي ربك** أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله **أو يأتي بعض آيات ربك** يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرب وخسفاً بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن **لم تكن آمنت من قبل** صفة لقوله نفساً وقوله **أو كسبت في إيمانها خيراً** عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيراً في إيمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيراً ليعلم أن قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك **قل انتظروا إنا منتظرون** وعيد وقرئ أن تأتيهم الملائكة بالتاء والياء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الإيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض أصابعه **فرقوا دينهم** اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وقيل **فرقوا دينهم** فآمنوا ببعض وكفروا ببعض

وَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ

وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفريقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف عشر امثالها على اقامة صفة جنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون بنقص من ثوابهم ولا بزياد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديك صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي وما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكرا ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تأمروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وهي مائتا آية وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر

اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا

منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله ولا حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر به قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل وذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل لتنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس وجاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع

إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا
غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم
بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم

قوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة **فما كان دعواهم** ما كانوا
يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده. وقولهم **إنا كنا
ظالمين** فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا يستغاث من الله
بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن
الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على
ما كان منهم ودعواهم نصب خبر كان وأن قالوا رفع اسم له ويجوز العكس **فلنسألن
الذين أرسل إليهم** أرسل مسند إلى الجار والمجرور وهو إليهم ومعناه فلنسألن المرسل
إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين
ونسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم **فلنقصن عليهم**
على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم **بعلم** عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم
وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم **فإن قلت** فإذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم
فما معنى سؤالهم **قلت** معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم
أنبياؤهم **والوزن يومئذ الحق** يعني وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها
ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته أي والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم
الوزن الحق أي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الأعمال
بميزان له لسان وكفتان نظرا إلى الخلائق تأكيدا للحجة وإظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة
كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم و
جلودهم ويشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها
في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل **فمن ثقلت موازينه**
جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات
أو ما يوزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان أن توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق
لميزان توضع فيه السيئات أن يخف **بآياتنا يظلمون** يكذبون بها ظلما كقوله وظلموا بها
ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها مكانا وقرارا أو مكناكم فيها وأقدرناكم على
التصرف فيها وجعلنا لكم فيها **معايش** جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب
وغيرها أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر أنه همز على التشبيه بصحائف
ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك ألا
ترى إلى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم **من الساجدين** ممن سجد لآدم **لا** في **أن لا تسجد** صلة بدليل
قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم **فإن قلت**
ما فائدة زيادتها **قلت** توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب

فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين

وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك لأن أمري لك بالسجود أوجبه
عليك إيجابا وحتمه حتما لا بد لك منه **فإن قلت** لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه
قلت للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه أصل آدم وأنه خالف
أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب
فإن قلت كيف يكون قوله **أنا خير منه** جوابا لما منعك وإنما الجواب أن يقول منعني كذا **قلت** قد
استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار
وأصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهو إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله
مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به **فاهبط
منها** من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين
المتكبرين من الثقلين **فما يكون لك** فما يصح لك **أن تتكبر فيها** وتعصي **فاخرج إنك من
الصاغرين** من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل
قم صاغرا إذا أهنته وفي ضده قم راشدا وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار
وعن عمر رضي من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا
طوره وهصه الله إلى الأرض **فإن قلت** لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم **قلت**
لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا
من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن
بها عباده **فبما أغويتني** فبسبب إغوائك إياي **لأقعدن لهم** وهو تكليفه إياه ما وقع
به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفسا ومناصب
وعن الأصم أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن
في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم **فإن قلت** بم تعلقت الباء فإن تعلقها بلأقعدن
يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لأمرن **قلت** تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتني
أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب إغوائك أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أي فأقسم بإغوائك لأقعدن
وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفا والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد
فكان جديرا أن يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار
الفقهاء يرمى بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا
لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم
بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى الله سبحانه أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة
والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ لأقعدن وإثبات الألف إذا
دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل إذا

قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا

بهم والنسم فساد **لاقعدن لهم صراطك المستقيم** لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله **شعر** كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل **ثم لآتينهم** من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك **فان قلت** كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة **قلت** المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدأ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون **ولا تجد اكثرهم شاكرين** قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم **مذؤما** من ذامه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في **لمن تبعك** موطئة للقسم و لاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط **منكم** منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله **لاملأن جهنم منكم اجمعين** على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره **ويا آدم** وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها

ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما

اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه **ليبدي** جعل ذلك غرضا ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول **فان قلت** ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل **قلت** لان الثانية مدة كالالف في وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب **الا ان تكونا ملكين** الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى **من الخالدين** من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة **وقاسمهما** واقسم لهما **انى لكما لمن الناصحين** فان قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك يقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه **قلت** كأنه قال لهما اقسم لكما انى لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له **فلما ذاقا الشجرة** وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم **بدت لهما سوآتهما** اى تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر يقال **طفق** يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ ابو السمال فطفقا بالفتح **يخصفان** ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اى يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصّف بالتشديد **من ورق الجنة** قيل كان ورق التين **الم انهكما** عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد

قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون

وداس وذري وعجز وحجز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما هضما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له لحدا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما تنشأ من الارض منزلا من السماء لانه قضى ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وريشا لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف اي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وقرأ عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده انزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان لا تدخلوا الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما انه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وقبيله جنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما

واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون

سولوا لهم من الكفر والمعاصي هذا وتحذير ابلغ من الاول فان قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطف على اسم ان وان يكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل اذا فعلوا فاحشة قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلاة وادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب فريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشيطان دون الله خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات
لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم الطب في
الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته
فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به والطيبات من
الرزق والمستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا
اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا غير
خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل
هي للذين امنوا ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين امنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع
لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع
على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام
لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على
الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب
النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء اجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات
في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما ياتينكم هي ان الشرطية
ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فان قلت فما جزاء
هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ
تاتينكم بالتاء فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية
لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا
الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت
واعوانه وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة
الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء مما كانوا
عليه وانهم لم يحمدوه في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين
قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي
كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم
وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا
بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة
والرؤوس ومعنى لاولاهم لاجلهم ولاجل لان خطابهم مع الله عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف
لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون وقرئ بالتاء والياء

كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم

وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح
لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك
نجزي الظالمين والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم
من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا

فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت
ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة
او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فلا يؤذن لهم في صعود السماء ولا
يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين و
قيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون من لغث ففتحنا ابواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد
ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والتاء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات و
بالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمّل بوزن القمّل وسعيد بن جبير الجمل بوزن
النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس
الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت حبلا واحدا وعن ابن عباس ان الله تعالى احسن
تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير
لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق
من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء في المضايق المشبهة باخرات
الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال شعر جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسو
بجزر يراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا
الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال
زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وقرئ في سم بالحركات
الثلث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل
ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان
كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد
فراش غواش اغطية وقرئ غواشٌ بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا
نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه
وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق
من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس من غل من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت
قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادّ والتعاطف وعن علي عليه السلام اني لارجو ان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان
والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين
لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها موضحة
للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا
تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم

تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا

يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق
خيرا في الدنيا يتكلم بحمد لله ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة
ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان
والحديث ويكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلك الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ان في ان قد وجدنا يحتمل
ان تكون مخففة من المثقلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان
لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة
الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل
النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على
اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا
لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والعقاب
وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل
الجنة الا عذاب لهم واطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور
المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة
والنار وهي اعاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس وعرف الديك رجال مسلمين من اخرهم
دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن
الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم
بها يلهمهم الله ذلك او يعرفهم الملئكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا
الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم
بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر
على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف
ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته
ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله اذا

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتخوفوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة **فان قلت** كيف لاءم ما بين القراءتين في قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون **قلت** تأويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون **فان قلت** ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون **قلت** لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال **ما اغنى عنكم جمعكم** المال او كثرتكم واجتماعكم **وما كنتم تستكبرون** واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة **افيضوا علينا** فيه دليل على ان الجنة فوق النار **او مما رزقكم الله** من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله **شعر** علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن **حرمهما على الكافرين** منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله **شعر** حرام على عيني ان تطعم الكرى **فاليوم ننساهم** نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به **كما نسوا لقاء يومهم هذا** كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا له **فصلناه على علم** عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين بانه اهل للتفضيل عليها **وهدى ورحمة** حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه **الا تأويله** الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اي تبين وصح انهم جاءوا بالحق **او نرد** جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورفعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على **فيشفعوا** او يكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل **يغشي الليل النهار** وقرئ يغشّي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل **يطلبه حثيثا** حسن الملاءمة لقراءة حميد **بامره** متعلق **بمسخرات** اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال **الا له الخلق والامر** اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب ارادته **تضرعا وخفية** نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية

ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة
الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه
لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته

وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين لقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا بالتخفيف كرسل ورسل وقرا مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كالنقض والحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بالتخفيف وبشرى بفتح الباء مصدرا من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض العذبة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبت وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف

لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه
انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون

المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل ويقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله شعر حلفت بالله فاجر لنا موا قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان والملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان معناه كما قال شعر انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة

أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم

وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسله وأعلم من الله ما لا تعلمون اى من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحي إلي بها أوعجبتم الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أن جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم والذين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك وصحبوه في الفلك ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء اى أنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي أن العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه ضيق وضائق أخاهم واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وأخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في أشراف قوم هود من آمن منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن ونحو قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة يجوز أن يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم ناصح أمين أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم أو

قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين

أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اى خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من أجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان قصيرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع واذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى ونحوه إنى وآناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب فإن قلت إذ في قوله إذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اى اذكروا وقت استخلافكم أجئتنا لنعبد الله وحده أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشؤوا عليه وإلفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فإن قلت ما معنى المجيء في قوله أجئتنا قلت فيه أوجه أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يريد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم العذاب قد وقع عليكم اى حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم ومحال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطعنا دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة

والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها
تاكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب اليم

ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءت منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب باياتنا قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين وقرئ الى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة اية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتي كانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية وانتصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي اية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حيوته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا الهك وندعوا الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملا الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون

البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهم وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه واله وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة وبواكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى [illegible] جسرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبال لا تكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم لمن امن منهم

فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين

بدل الذين استضعفوا فإن قلت الضمير في منهم راجع إلى ماذا قلت إلى قومه أو إلى الذين استضعفوا فإن قلت هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش فإن قلت كيف صح قولهم إنا بما أرسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة إنا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما فعقروا الناقة أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم وعتوا عن أمر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن أمري ائتنا بما تعدنا أرادوا من العذاب وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة ولم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي أن صالحا كان بعثه إلى قوم فخالف أمره وروي أنه مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر أنه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في الإبلاغ والنصيحة لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب

أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين

يوم السبت وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فإن قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وأرسلنا لوطا وإذ ظرف لأرسلنا أو واذكر لوطا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به أئنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أي للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن كان معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصيحتهم وقولهم إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارات كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فإن قلت

وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين

اى فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير مطور
حرى ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم
ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة
من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم
نوعا من المطر عجيبا يعنى الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب
خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم
بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم
به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع
العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعى النبوة من معجزة
تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في
القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روى من محاربة
عصى موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان
يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من
الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف
قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل
وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل
اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون
شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروى انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا
دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او
اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اى لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح
فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافته في قوله
بل مكر الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء
بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرتم به ونهيتم عنه ومعنى
خير لكم يعنى في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس
ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مؤمنين
مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اى بكل منهاج من مناهج الدين و

ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا
وهو خير الحاكمين قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن
في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود

والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما
عطف عليه النصب على الحال اى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا فان قلت
صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف
قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة
فكانوا اذا رأوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في آمن به
قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على
الطرق والمراصد فيقولون لمن يمر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل
قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن
سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج
واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا
عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله
في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين
او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم
كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا
وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين
بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال
ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين
اى ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم
الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اى
ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود
في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن
الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين
دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا
اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه
على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى

على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء

متعال ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم فى الكفر **قلت** الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله **وسع ربنا كل شئ علما** اى هو عالم بكل شئ مما كان وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان **على الله توكلنا** فى ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم فى العود لان مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال خارج عن الحكمة **اولو كنا كارهين** الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين **وما يكون لنا** وما ينبغى لنا وما يصح **ربنا افتح بيننا** احكم بيننا والفتاحة الحكومة واظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل **وانت خير الفاتحين** كقوله وهو خير الحاكمين **فان قلت** كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم **قلت** هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما متضمنا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل والثانى ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا **وقال الملأ الذين كفروا من قومه** اى اشرافهم الذين دونهم يثبطونهم عن الايمان **لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون** لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية **فان قلت** ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم وجواب الشرط **قلت** قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين **الذين كذبوا شعيبا** مبتدأ خبره **كأن لم يغنوا فيها** وكذلك **كانوا هم الخاسرين** وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله **الذين كذبوا شعيبا** هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم **الاسى** شدة الحزن قال العجاج شعر

وانحلبت عيناه من فرط الاسى

اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة **الا اخذنا اهلها بالبأساء** بالبؤس والفقر **والضراء** بالضر والمرض لاستكبارهم

ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون
أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون
أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء

عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه **لعلهم يضرعون** ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة **ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة** اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات **حتى عفوا** كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة **شعر** بمستأسد القريان عاف نباته وقال **شعر** ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم **وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء** يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان نأخذهم بالعذاب **فاخذناهم** اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم **اللام** في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا **آمنوا** بدل كفرهم **واتقوا** المعاصي مكان ارتكابها **لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض** لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات **ولكن كذبوا فاخذناهم** بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس **فان قلت** ما معنى فتح البركات عليهم **قلت** تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين **البيات** بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا و**ضحى** نصب على الظرف يقال اتيته ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا اشرق وارتفع والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار **فان قلت** ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو **قلت** المعطوف عليه قوله **فاخذناهم بغتة** وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا او امنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ او أمن على العطف باو **وهم يلعبون** يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون **فان قلت** فلم رجع فعطف بالفاء في قوله أفأمنوا مكر الله **قلت** هو تكرير لقوله أفأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا قرئ ولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم

تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ۝

هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل او لم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى اولم يبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم عطف قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض ويكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى ونقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا يلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرار المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي ما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها ولانه اذا

وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ۝

وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراآت المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه تشقى الضياطرة بالرماح والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب شعر اذا تغنى الحمام الورق هيجني ولو تغربت عنها ام عمار والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت كيف قال فأت بها ان كنت جئت باية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحييه الاسفل في الارض ولحييه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام الى

ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا
تأمرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون
قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا
موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا

فرعون في سورة الشعراء وانه قال للملأ وحكى ههنا انهم قالوه فلعله قاله هو وقالوه هم فحكي
قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقته منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس
على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه
الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين
يأتوك بكل ساحر عليم وقرئ بكل سحار اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه
وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من آمرته فامرني بكذا اذا شاورته
فاشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر
عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما
واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز
وارجه من ارجاه وارجاه فان قلت هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير
سائل سأل لما قالوا اذ جاؤوه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان
لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت وانكم لمن المقربين
ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا
لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده
وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ ويغتبط به اذا نال مع الكرامة الرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر
من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة ومعلمهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا
يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين
الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل
كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه
يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين
قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون
نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف
الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة
مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا
اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت
الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا

سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل
ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك

رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل
جعلوا فيها الزئبق ما يأفكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى
الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي
من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك
الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع في قلوبهم اي فأثر فيها من قولهم قاس
وقيع وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا
سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه
بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل
الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ آمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان
هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا
منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني
اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي
ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني
لأؤمنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله
لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل
ان اول من قطع من خلاف وصلب فرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان نريد انا لا
نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله
يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى
الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه
وما تنقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل
المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا
هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف
ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا
ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا
كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لانه
اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم
لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة شعر الم اك جاركم

قال سنقتل ابناءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون

يكون بيني وبينكم المودة والإخاء والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون
تركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر موسى بمعنى اتذره و
ايذرك اى ايطلق له ذلك ويكون مستأنفا او حالا بمعنى تذره وهو يذرك والهتك وقرأ
الحسن ويذرك بالجزم كأنه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كأنه قيل اصدق وقرأ
انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اى يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ و
يذرك والاهتك اى عبادتك وبعبادتهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة
الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون
لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما تعبد عبدة الاصنام يقولون ليقربونا
الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم
به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر فانهم مقهورون تحت ايدينا
كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا تتوهم العامة انه هو المولود
الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم
الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال
فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا وتضجروا تسكينا لهم وتسلية ويعدهم النصر عليهم ويذكر
لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت
هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ
فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون
اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض
مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم
من القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود
عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل
ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به
ويمتهنون كانوا فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم ان يهلك
عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم
بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة
وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه
الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون
وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات

بالسنين بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد
اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا قال ابن عباس اما السنون فكانت
لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان
لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم
لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة و
قيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه
في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب
والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم تزل في النعمة والرفاهية
واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى
ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما
قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا
جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس
الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع
الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددنا ايام البلاء فهلا عددنا ايام الرخاء طائرهم
عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما
يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله
ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري
عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون
عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر
غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء
ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت
فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب
السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما
للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل
مهما قلت الرفع بمعنى ايما شيء تأتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تأتنا به ومن
آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ
والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير شعر ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية
نشئ ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر به وهذا و

قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين

امثاله ما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبتت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القراد وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض فكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية

وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون

اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم هو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى والحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني ان بعض الناس قرأ يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما احدثوا بعدما انقذهم من مملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف فلذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما يجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعم الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استئناف فلا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين ومن آل فرعون وذلكم اشارة

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه

الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملئكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ههنا وميقات ربه ما وقته له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني

فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين

ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك فإن قلت فهلا قال أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فإن قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن النفي مناف لصفاته فإن قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل قلت اتصل به على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا فإن استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا إلى جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدرج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف ثنى بالوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته جعله دكا مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا

قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا

عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم شعر لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبيا قلت أجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والأصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كانت عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة

لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا و
لقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما
كانوا يعملون ٥

وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام
وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى
ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا
تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ
ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية
ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا بأحسنها اي فيها ما هو حسن
واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو
ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او
ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك
الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف
اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل
منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل
دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا
واوريته كذا ووجهه ان تكون من اوريت الزند كأن المعنى بينه لي وانره لاستبينه
وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
ساصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون
بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة وابى الله الا علو
الحق وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها
سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم و
كفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا
بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون
بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا
بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم
السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما اعرض
عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه

ذلك

الأعراف

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا
ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ٥

ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف
بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي لقاؤهم الآخرة و
مشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة من بعده
من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت
فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما
يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين
به فكأنهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء
والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد
والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم تكن الحلي لهم انما
كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به
ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله تعالى
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا
ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من
اثر فرس جبرئيل يوم قطع البحر فقذفه في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رض جؤار بالجيم والهمز من
جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو
الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ
فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في
غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما
اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميقع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع
العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم كما يقال حصل في يده مكروه
وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى
بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم
ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء
عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا الأسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو
الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفاء من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من
السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني
في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد
غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين

والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم **فإن قلت** أي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني **قلت** معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت إليه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال **عجل** عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولم أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وروي أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى إن موسى لن يرجع وأنه قد مات وروي أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا **وألقى الألواح** وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة **وأخذ برأس أخيه** أي بشعر رأسه **يجره إليه** بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه أنه فرط في الكف **ابن أم** قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة وابن أمي بالياء عن الأعمش وابن إم بكسر الهمزة وفتح الميم وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها **إن القوم استضعفوني** يعني أنه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ والإنذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبقوا إلا أن يقتلوه **فلا تشمت بي الأعداء** فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي وقرئ فلا تشمت بي الأعداء على نهي الأعداء عن الشماتة والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا أو ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء **قال رب اغفر لي ولأخي** ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة وطلبا أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة **غضب من ربهم وذلة** الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو

نال أبناءهم وهم قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية **المفترين** المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا إلهكم وإله موسى ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله **والذين عملوا السيئات** من الكفر والمعاصي كلها **ثم تابوا** ثم رجعوا من بعدها إلى الله واعتذروا إليه **وآمنوا** وأخلصوا الإيمان **إن ربك من بعدها** من بعد تلك العظائم **لغفور** لستور عليهم محاء لما كان منهم **رحيم** منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والإنابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم **ولما سكت عن موسى الغضب** هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ لما سكت وأسكت أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه أخذ الألواح التي ألقاها **وفي نسختها** وفيما نسخ منها أي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة **للذين هم لربهم يرهبون** دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت **واختار موسى قومه** أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله شعر ومنا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي أنه لم يصب إلا ستين شيخا فأوحى الله إليه أن يختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة **قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي** وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب

أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ه

الرؤية كما يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا إن هي إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأن محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام أنت ولينا مولانا القائم بأمورنا واكتب لنا وأثبت واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك هاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم شعر: يا راكب الذنب هد هد واسجد كأنك هدهد وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويحتمل أمرين أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالإشمام وعدت بإخلاص الضمة فيمن يقول عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته أني أصيب به من أشاء أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وأما رحمتي فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من أساء من الإساءة فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي إليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف

السلسلة

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ه

السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسميته الحد والحد هو المنع والنور القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل مع جبرئيل قلت معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز أن يعلق باتبعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فإن قلت كيف انطبق هذا الجواب على موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم في رحمة الله التي وسعت كل شيء إني رسول الله إليكم جميعا بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من إليكم فإن قلت الذي له ملك السموات والأرض ما محله قلت الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله لا إله إلا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض وكذلك يحيي ويميت وفي لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره وكلماته وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد وهي القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد أراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون إرادة أن تهتدوا فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى أمة هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل إن بني إسرائيل لما قتلوا

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين

انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل تزيد صالحيكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم تبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة **وقطعناهم** وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف **اثنتي عشرة اسباطا** كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام **فان قلت** مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا **قلت** لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره **شعر** بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين **فانبجست** فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج **شعر** وكيف غربي دالج تبجسا **فان قلت** هلا قيل فضرب فانبجست **قلت** لعدم الالباس ليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله **كل اناس** نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة **والاناس** اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة **وظللنا عليهم الغمام** وجعلناه ظليلا عليهم في التيه **وكلوا** على ارادة القول **وما ظلمونا** وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم **ولكن كانوا انفسهم** يضرون ويرجع وبال ظلمهم اليهم **واذ قيل لهم** واذكر اذ قيل لهم **والقرية** بيت المقدس **فان قلت** كيف اختلفت العبارتان ههنا وفي سورة البقرة

فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون

قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله **نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين** موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول **واسألهم عن القرية** وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك أعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن **حاضرة البحر** قريبة منه راكبة لشاطئه **اذ يعدون في السبت** اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال للتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرأ عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا **فان قلت** اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب **قلت** اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل **والحيتان** السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة **شرعا** ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فأتيته بعد ذلك **كذلك نبلوهم** مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم **واذ قالت** معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب **امة منهم** جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم **لم تعظون قوما الله مهلكهم** اي مخترمهم ومطهر الارض منهم **او معذبهم عذابا شديدا** لتماديهم في الشر وانما

فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين

قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن إلا سببا للتلهي بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس أنه قال ليت شعري ما فعل هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا إنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم فقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان روي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين ألفا فصار أهل القرية أثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر ألفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فإذا

وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه

ثم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا في الدنيا وأطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وأعرضوا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض أمما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر لنا الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ۵

وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ الواو للحال اى يرجون المغفرة وهم مصرّون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصرّ لا غفران له أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة وَدَرَسُوا مَا فِيهِ في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصّروا عمّا امروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ من ذلك العرض الخسيس لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الرشى ومحارم الله وقرئ ورّثوا الكتاب ولا تقولوا بالتاء وادّارسوا بمعنى تدارسوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ بالياء والتاء فَإِنْ قُلْتَ ما موقع قوله أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقوّل عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا تقولوا مفعولا له ومعناه لئلا تقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فَإِنْ قُلْتَ علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون فيكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي والذين مسّكوا بالكتاب فَإِنْ قُلْتَ التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومن نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظُّلَّةُ كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطلّ عليه اذا اشرف وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعنّ عليكم فلما نظروا الى الجبل خرّ كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه ولذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتزّ فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا اهتزّ وانفض لها رأسه خذوا

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

مَا آتَيْنَاكُمْ على ارادة القول اى وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بِقُوَّةٍ وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم وارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذّكروا بمعنى وتذكروا مِنْ ظُهُورِهِمْ بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه اشهدهم على انفسهم وقرّرهم وقال لهم ألست بربكم فكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله شعر اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى أَنْ تَقُولُوا مفعول له اى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ او كراهة أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فَإِنْ قُلْتَ بنو آدم وذرياتهم من هم قُلْتُ عني بني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت هي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ اى كان الآباء المبطلين تأسيس الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك التفصيل البليغ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَهُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذرّيّتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء وَاتْلُ عَلَيْهِمْ على اليهود نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا وهو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

ظهره **فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ** فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه **فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** فكان من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال كيف ادعو على من معه الملئكة فالحّوا عليه فلم يزالوا به حتى فعل **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ** لعظّمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء **بِهَا** بتلك الآيات **وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ** مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة **فان قلت** كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال لرفعناه ولكنا لم نشأ **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ** فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث **فان قلت** ما محل الجملة الشرطية **قلت** النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب **ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** من اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله في التورية وذكر في القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به **فَاقْصُصِ** فقصص بلعم الذي هو نحو قصصهم **لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم **سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ** اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم لما اضمر اسم ساء انتصب اصحاب مثل على التمييز لان تقديره ساء الاصحاب اصحاب مثل وقرأ الجحدري ساء مثل القوم **وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ** اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول

قوله استفعال من الدرجة بمعنى التنقل درجة بعد درجة من سفل الى علو فيكون استصعادا او بالعكس فيكون استنزالا وقد استعمل البتة في مطلق تعفار استيقانك ... من البر استصعادا ومن السماء استنزالا حتى ... ذلك القول وتعقبه ليس استعماله في المعنيين بحسب الاشتراك اللفظي فيكون ما في البيت من استعمال المشترك في معنييه سعدي

للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها **فَهُوَ الْمُهْتَدِي** حمل على اللفظ **فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** حمل على المعنى **كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ** هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق الا لكذا فالمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار **أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ** في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر **بَلْ هُمْ أَضَلُّ** من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر **أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك **فَادْعُوهُ بِهَا** فسموه بتلك الاسماء **وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهو الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار واتبعه قوله **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ** وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين **وَالْاسْتِدْرَاجُ** استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى شعر لو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا
نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ

ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم انى عنكم غير مفحم ومنه درج الصبى اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شئ ودرج القوم مات بعضهم فى اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم فى الغى فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون فى المعصية بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هى خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملى لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل فى حكم السين ان كيدى متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه فى الظاهر احسان وفى الحقيقة خذلان ما بصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال فى ملكوت السموات والارض مما يدل على كمال قدرة صانعها وعظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شئ ومما خلق الله مما يقع عليه اسم الشئ من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان هى المخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى او لم ينظروا فى ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التى فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباى حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق واى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادى كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسئلونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان معناه اى وقت واى فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند اليه قاله ابن جنى وانه ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرئ ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اى اثباتها واقرارها وكل شئ ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذى ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله

مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي
لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ

ثقلت فى السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اى علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل لكى يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو اى لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها فى وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت فى السموات والارض اى كل من اهلهما من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيهما لان اهلهما يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شئ لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيهما الا بغتة الا فجاة على غفلة منكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفى عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسئلة عن الشئ والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله واحفى فى المسئلة اذا ألحف وحفى بفلان وتحفى به بالغ فى البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفى بها اى عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسئلونك عنها كانك حفى تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله فى اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحى اليك وقيل كانك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسى هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اى انا عبد ضعيف لا املك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربى ومالكى من النفع لى والدفع عنى ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى فى الحروب ورابحا وخاسرا فى التجارات ومصيبا ومخطئا فى التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شأنى ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اى الا نذير للكافرين وبشير

هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون

لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولد ها ما كان اخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله افتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد شعر

فيا لقصي ما زوى الله عنكم ❊ به من فعال لا تجارى وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد أيشركون اجرى الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله و

ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى

يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا وامثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا وقال

خذي العفو مني تستديمي مودتي ❊ ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها العرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك

وَاِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا اِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَاِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَاِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَاِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ اِنَّمَا اَتَّبِعُ مَا يُوحَى اِلَيَّ مِنْ رَبِّي هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَاَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ

الصادق رض امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها **وَاِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ** واما ينخسنك منه نخس بان يحملك وسوسته على خلاف ما امرت به **فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ** ولا تطعه والنزغ والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر ان لي شيطانا يعتريني **طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ** لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال شعر اني الم بك الخيال يطيف وهو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمامه بوسوسته **تَذَكَّرُوا** ما امر الله به ونهى عنه **فَاِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم فلم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم **ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله شعر قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فان الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا **فَاِنْ قُلْتَ** لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد **قُلْتُ** المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت **اجْتَبَيْتَهَا** اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت الي العروس فاجتليتها ومعنى لولا اجتبيتها هلا جمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة **قُلْ اِنَّمَا اَتَّبِعُ مَا يُوحَى اِلَيَّ** ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها **هٰذَا بَصَائِرُ** هذا القرآن بصائر **مِنْ رَبِّكُمْ** اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب **وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَاَنْصِتُوا** ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه **وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ** عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك **تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** متضرعا وخائفا **وَدُونَ الْجَهْرِ** ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر **بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات

بسم الله الرحمن الرحيم يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو **وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه **اِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عنده دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته **وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة **سورة الانفال مدنية سبعون وست آيات**

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد شعر ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير فان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفا صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسئلونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال **فَاِنْ قُلْتَ** ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول

إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضاً الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتواسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب قد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون لا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد

كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون

انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا متلبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون ۝ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ۝

جهل فدا فبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رض فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض كما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذممنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون **في الحق** الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير **بعد ما تبين** بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم رجالة روي انه ما كان فيهم الا فارسان **اذ** منصوب باضمار اذكر **وانها لكم** بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير **غير ذات الشوكة** العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاك السلاح اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ۝ اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين ۝

الطائفة الاخرى **ان يحق الحق** ان يثبته ويعليه **بكلماته** باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر **دابر** الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في احوالكم والله عز وجل يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا يعارض ادناه العير وما فيها وقوى بكلمته على التوحيد **فان قلت** بم يتعلق قوله ليحق الحق **قلت** بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه **فان قلت** اليس هذا تكريرا **قلت** لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرض فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها فانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع **فان قلت** بم يتعلق اذ تستغيثون **قلت** هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رض فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **اني ممدكم** اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول **فان قلت** هل قاتلت الملائكة يوم بدر **قلت** اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتل وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة

وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدف فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم تعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر الا من عند الله وان المنصور من نصره الله اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه على اسناد الامنة الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من

اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار

الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال الشعر يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش رقابكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال الشعر واضرب هامة البطل المشيح غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا
إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن
الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ۝

به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقال قولوا
لهم قولي سألقي والضاربون على هذا المؤمنون ذلك إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل
والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبأنهم خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم
والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في
المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة و
المشاقة لأن هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف
في ذلك لخطاب الرسول أو لخطاب كل واحد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم
الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز أن يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه
كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع
والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع
الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي
يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على إسته قليلا قليلا سمي بالمصدر
والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال كثيرا جما وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو
تساووهم أو حال من الفريقين أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ في قوله ومن يولهم
يومئذ أمارة عليه إلا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه
وهو باب من خدع الحرب ومكائدها أو متحيزا أو منحازا إلى فئة إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى
الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا
فدخلوا البيوت فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم
رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال
عمر أنا فئتك وعن ابن عباس أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر فإن قلت بم انتصب إلا متحرفا
قلت على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا
وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه
متحوز فلم تقتلوهم لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت
ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسلك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل
لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن

إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ۝

الله قتلهم لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم
وأذهب عنها الفزع والجزع وما رميت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى يعني أن الرمية التي
لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لم يبلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية
الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله لأن صورتها وجدت منه
ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل وكان الله فاعل الرمية على الحقيقة
وكأنها لم توجد من الرسول أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي
المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى و
للإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم ذلكم
إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم وأن الله موهن معطوف على ذلكم يعني أن الغرض
إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو
التنوين والإعمال إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين
أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا
للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروي أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم
أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وإن
تنتهوا خطاب للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم وأسلم وإن تعودوا
لمحاربته نعد لنصرته عليكم وأن الله قرئ بالفتح على ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ
بالكسر وهذه أوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
للفصل ولا تولوا بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في عنه لرسول الله لأن المعنى وأطيعوا
رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع
الرسول فقد أطاع الله وكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا
ينفع في فلان ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه
أو ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم
المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا أي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا
بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول
في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن
ثم قال إن شر الدواب أي إن شر من يدب على الأرض أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا
يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا أي انتفاعا باللطف
لأسمعهم اللطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو أسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم
لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا

واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض
تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون

ليسمعوا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة
كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا
اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده
فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة
الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
مر على ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي
قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما
ان هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلي
فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت
ولبعضهم شعر لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة كقوله بل احياء عند ربهم واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهو التمكن من اخلاص
القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم
لطاعة الله ورسوله واليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل
معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدل بالخوف امنا
وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما
يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه
وبين الكفر اذا آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء
بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قصد تخفيف
الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو
اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون
جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين
منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله
بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب
العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه
قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله شعر حتى اذا جن الظلام واختلط
جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لان سمارا فيه لون الورق
التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف
وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها

يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده
أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم

زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل
وروي ان الزبير كان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضه فضحك اليه
الزبير فقال رسول الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي
او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة
في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك
ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول
والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من سائر الناس اذ انتم
نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في
الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا
جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد
الملئكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم
وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون
ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص
كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك
اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار
السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله
بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون
تبعة ذلك ووباله وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل و
انتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني
قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات
واريحا من ارض الشام فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى
حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد
نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله
علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال
لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار
قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن
المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده
فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء أو ائتنا بعذاب أليم

بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا أماناتكم على التوحيد جعل الأموال والأولاد فتنة
لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم والعذاب أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده
وأن الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما يؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا
ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل
هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط منه لأجل ماله وولده فرقانا نصرا لأنه يفرق بين الحق و
الباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان أو بيانا
وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم في أقطار الأرض من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان
أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل
الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش به حين كان بمكة
ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر
إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة
دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري
رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها
وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم
فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم
فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن
غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم
رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبيت
في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فأمر عليا رض فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردي فإنه لن
يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ساروا إلى مضجعه فأبصروا عليا
فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك أو يوثقوك أو
يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا
وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك و
هو دليل لمن فسره بالإيثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما أعد
لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل
إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم
وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم

الأنفال

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها
ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ٥

إن كانوا مستطيعين أن يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه
مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع
المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله وتهالكهم أن
يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون
لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم أن
هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود
بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب
آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب
بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة
وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع
على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت و
أسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب فإن قلت
ما فائدة قوله من السماء والأمطار لا يكون إلا منها قلت كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل
وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة
من حديد تريد درعا بعذاب أليم أي بنوع آخر من العذاب الأليم يعني أمطار السجيل بعض العذاب
الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين
ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق
فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم
وأنت فيهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال
ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار
قوله وما لهم ألا يعذبهم وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا أعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه
نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه
وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من
المستضعفين وما لهم ألا يعذبهم الله أي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك
وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول
الله عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين

وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ اللَّهُ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

ان يكونوا ولاة أمره وأربابه **ان أولياؤه الا المتقون** من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي أمره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة وعبدة الاصنام **ولكن أكثرهم لا يعلمون** كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **المكاء** فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو الوضاء والفراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا **والتصدية** التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا ضج ومنه يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلوتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه **فان قلت** فما وجه هذا الكلام **قلت** هو من قوله شعر وما كنا خشينا ان يكون عطاؤه أداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضع المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله في صلوته يخلطون عليه **فذوقوا** عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشرة جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استأجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا **ليصدوا عن سبيل الله** اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك **ثم تكون عليهم حسرة** اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة **ثم يغلبون** آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طافها كتب الله لاغلبن انا ورسلي **والذين كفروا** والكافرون منهم **الى جهنم يحشرون** لان منهم من اسلم وحسن اسلامه **ليميز الله الخبيث** الفريق الخبيث من الكفار **من** الفريق **الطيب** من المؤمنين **ويجعل** الفريق **الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا** عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا ان يكونوا عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم **اولئك** اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف **قل للذين كفروا** هو ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو **ان ينتهوا** ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي في قراءة ابن مسعود ونحوه قال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام **يغفر لهم ما قد سلف** لهم من العداوة **وان يعودوا** لقتاله **فقد مضت سنة الاولين** منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او وقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ نغفر لهم على ان الضمير لله تعالى **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** اي الى ان لا يوجد فيهم شرك **ويكون الدين كله لله** ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده **فان انتهوا** عن الكفر واسلموا **فان الله بما يعملون بصير** يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء **وان تولوا** ولم ينتهوا **فاعلموا ان الله مولاكم** اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته **انما غنمتم** ما موصولة و**من شيء** بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط **فان لله** مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور آكد واثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون **فان قلت** كيف قسمة الخمس **قلت** عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبنو نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمن وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم **فان قلت** ما

إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا

معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب وأن يراد بقوله فأن لله خمسه أن من حق الخمس أن يكون متقربا به إليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين وعلى الثاني ما قال أبو العالية إنه يقسم على ستة أسهم سهم الله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي أن أبا بكر منع بني هاشم الخمس وقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم وأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لولي الأمر من بعده وعن الكلبي الآية نزلت ببدر وكان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فإن قلت بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما أنزلنا معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأنه ليس بينها وبين الكسرة حاجز غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور

بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي الله أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصبه بإضمار اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ
فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٥

في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار **ولكن الله سلّم** أي عصمكم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف **إنه عليم بذات الصدور** يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع **وإذ يريكموهم** الضميران مفعولان يعني وإذ يبصّركم إياهم **قليلا** نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا **ويقللكم في أعينهم** حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور **فإن قلت** الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم **قلت** قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعد ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم أخرى **فإن قلت** بأي طريق يبصرون الكثير قليلا **قلت** بأن يستر الله بعضهم عنهم بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة **إذ لقيتم فئة** إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالبا **فاثبتوا** لقتالهم ولا تفروا **واذكروا الله كثيرا** في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم **لعلكم تفلحون** لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون همّا وأن يكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام الصفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم **ولا تنازعوا** قرئ بتشديد التاء **فتفشلوا** منصوب بإضمار أن أو مجزوم للدخول في حكم النهي ويدل على التقدير بقراءة من قرأ **وتذهب ريحكم** بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب بالياء والجزم **والريح** الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله **شعر** أتنظران قليلا ريث غفلتهم ❊ أم تعدوان فإن الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ويحذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم **كالذين خرجوا من ديارهم** هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا فنشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب

وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم
إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل
على الله فإن الله عزيز حكيم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملئكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما

قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد

فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم
النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من
أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله **وإذ زين لهم الشيطان**
أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم
أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم
أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل
لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة من الحرب كاد ذلك يثبطهم فتمثل لهم
إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين
معه راية **وقال لا غالب لكم اليوم** وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملئكة تنزل **نكص** وقيل
كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال **فقال إني أرى**
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان
وفي الحديث ما رؤي إبليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه يوم عرفة لما يرى من نزول
الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر **فإن قلت** هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا **قلت** لو كان
لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا إياكم لكان الأمر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم **إذ**
يقول المنافقون بالمدينة **والذين في قلوبهم مرض** يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد
الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام وعن الحسن هم المشركون **غر هؤلاء دينهم** يعني
أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر إلى
زهاء الألف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير
القوي **ولو ترى** ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي
إلى معنى الاستقبال **إذ** نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملئكة رفعها بالفعل
ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون في يتوفى ضمير الله تعالى والملئكة مرفوعة بالابتداء ويضربون
خبر منهم وعن مجاهد أدبارهم أستاههم ولكن الله كريم يكني وإنما خصوهما بالضرب لأن الخزي
والنكال في ضربهما أشد وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يجرد ثم يعطى أجلد
القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب على دبره ضربة واحدة
بقوته فيجد في مكانه وقيل يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا معطوف على يضربون على إرادة
القول أي ويقولون **وذوقوا عذاب الحريق** أي مقدمة عذاب النار أو ذوقوا عذاب الآخرة بشارة
لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيمة ذوقوا
وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيعا منكرا **ذلك بما قدمت أيديكم** يحتمل أن يكون من كلام الله

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ

ومن كلام الملئكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وَأَنَّ اللَّهَ عطف عليه اى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد ولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم التى دأبوا فيه اى داموا عليه واظبوا وكفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعنى ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوط قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين فى اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لما يقول مكذبوا الرسل عَلِيمٌ بما يفعلون كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ تكرير للتأكيد وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ اى اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله على ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم رسول الله فنكثوا ومالؤا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ بدل من الذين كفروا اى الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يتبق فرق بين القراءتين لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ لعل المشردين من وراءهم يتعظون وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ معاهدين خِيَانَةً ونكثا بامارات تلوح لك فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ فاطرح اليهم العهد عَلَى سَوَاءٍ على طريق مستو قصد

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ

وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى او حاصلين على استواء فى العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا سَبَقُوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن لا يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بالتاء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين مِنْ قُوَّةٍ من كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله وعن عكرمة هى الحصون وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذى هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط فى سبيل الله وتغزى عليها فقيل له انما اوصى فى الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر شعر

ان الحصون الخيل لا مدر القرى

تُرْهِبُونَ وقرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير فى به راجع الى ما استطعتم عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ هم اهل مكة وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدى هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن جَنَحُوا له واليه اذا مال وَالسَّلْمِ تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به ... والحرب تكفيك من انفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح

واهله من حرب في سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون **وتوكل على الله** ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة **فان حسبك الله** فان محسبك وكافيك قال جرير شعر اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا **والف بين قلوبهم** التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحابب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب في الوقايع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج البغضاء ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته **ومن اتبعك** الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال شعر فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن جبير الله اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت **التحريض** المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت وان يسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرصه وحرّبه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ثم قال **بانهم قوم لا يفقهون** اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم كثروا بعد نزول التخفيف وقرئ ضعفا

الانفال

الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم

بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك **فان قلت** لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده **قلت** للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين وقرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء واستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكيان فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي **عرض الدنيا** حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء **والله يريد الآخرة** يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله شعر ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها

قل يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان
يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم

والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم
يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم الله سبق اثباته
في اللوح وهو ان لا يعاقب احدا بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم
ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها
وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم
يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت
وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت
ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم حلالا
نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم
اذا اتقيتموه بعدما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب
عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص
ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او
يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني
فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا
وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله قال
للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف
قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من
مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله
وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس وانا
اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا
الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك
فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربي وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر
وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما
اخذ مني وارجو المغفرة وقرا الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك
نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل
في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله
مخزي الكافرين

سورة التوبة

ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم
وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار
اولئك بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ
من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث وبكسر الكسرة تولى بعضهم بعضا شبهت بالعمل
والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم
على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال
اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في
المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم و
ايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال
الا تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم
كلا تكن فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على
الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء اولئك هم المؤمنون حقا لانهم
صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال
لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى
للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا
من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبا واولوا الارحام بعضهم اولوا القرابات اولى ببعض بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة
والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل
به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الانفال وبراءة انا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا سورة التوبة مدنية
مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة
المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين
وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها و
تفضحهم وتنكل بهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما
هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر
السور قلت سال عن ذلك ابن عباس عثمان رض فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزلت عليه

السورة ولم يبين لنا أن نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قيل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ومن دعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا أمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول وقيل اختلف أصحاب رسول الله فقال بعضهم الأنفال وبراءة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة **براءة** خبر مبتدإ محذوف أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة **من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم** كما تقول كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل الحجاز من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به **المشركين** وأنه منبوذ إليهم **فإن قلت** لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر** آمنين أين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم من التعرض للقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي

بالآي

التوبة

وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ۝

بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل إنما أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب تعادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فأزيحت علتهم بتوليته ذلك عليا رضي الله عنه **فإن قلت** الأشهر الأربعة ما هي **قلت** عن الزهري أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة **فإن قلت** ما وجه اطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها **غير معجزي الله** لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب **وأذان** ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد **والأذان** بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء **فإن قلت** أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية **قلت** تلك إخبار بثبوت البراءة وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت **فإن قلت** لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس **قلت** لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث **يوم الحج الأكبر** يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الأكبر قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه إذا فات فات الحج وكذلك إن أريد به يوم النحر لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة للأذان تخفيفا وقرئ **إن الله** بالكسر لأن الأذان في معنى القول **ورسوله**

فَاِذَا انْسَلَخَ الْاَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَاِنْ تَابُوا وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَاِنْ اَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَاَجِرْهُ حَتّٰى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ اَبْلِغْهُ مَاْمَنَهُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ اِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَاِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ اِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِاَفْوَاهِهِمْ وَتَاْبٰى قُلُوبُهُمْ وَاَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ

عطف على المنوى فبرئ او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اى برئ معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا برئ منه فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قرائته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه فان نقضت ثم استثنى فقال الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة فعيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح وقد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشد شعر لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوا اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم فاذا انسلخ الاشهر انقضى كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله شعر خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره ان استجارك احد من المشركين استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى ان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقران ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك ان لم يسلم موضع امنه ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد

اشْتَرَوْا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ اِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ اِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فَاِنْ تَابُوا وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَاِنْ نَكَثُوا اَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا اَئِمَّةَ الْكُفْرِ اِنَّهُمْ لَا اَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ

جبير جاء رجل من المشركين الى علي رض فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال شعر وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان شعر لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبر الله من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتق الرحم من الرحمن والوجه ان الاشتقاق للال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعنا ليليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا باٰيات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الهوى والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الاٰيات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان تامل تفصيلها فهو العالم تحريض على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال

ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين
قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على
من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا
المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك

الشرك تمردا أو طغيانا وطرحا لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلوة و
آتوا الزكوة صاروا إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا
عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم
أئمة الكفر وذو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا إذا طعن الذمي في دين
الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد
نكث عهده وخرج من الذمة إنهم لا أيمان لهم جمع يمين وقرئ لا إيمان لهم أي لا إسلام لهم
أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه فإن قلت كيف أثبت لهم الأيمان
في قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم قلت أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان
لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة على أن يمين الكافر لا تكون
يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وفي معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث
لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم
ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه و
فضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فإن قلت كيف لفظ أئمة قلت همزة بعدها
همزة بين بين أي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة
عند البصريين وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح بها فهو لاحن
محرف ألا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها
على سبيل المبالغة نكثوا أيمانهم التي حلفوا في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة
حتى تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم أول
مرة أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله جاءهم بالكتاب المنير
وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي
أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك
مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل
صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا
يترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها أتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ
عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن قضية الإيمان
الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله
لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح
نياتهم أنه يعذبهم الله بأيديكم قتلا ويخزهم أسرا ويوليهم القهر والغلبة عليهم
ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن

سبا قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا إلى رسول الله يشكون إليه
فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله
لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على
من يشاء ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم
ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر
من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة
أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى
يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين
يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وإيضاحه
متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المسلمين وقوله ولم يتخذوا معطوف
على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين
وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم
كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام
أن يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان
أحدهما أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد
أو لأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد إذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل
تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة
الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك وشاهدين
حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله
مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول
البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما
طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا هو شريك هو لك تملكه وما ملك
وقيل أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا ألكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي
العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة
إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل
على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحد وذلك محال غير مستقيم

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين
أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين

إنما يعمر مساجد الله قرئ بالتوحيد أي إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتداً بها والعمارة تتناول رمّ ما استرمّ منها وقمّها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلاً عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه من ألف المسجد ألفه الله وعنه صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول الله قلت لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرهما عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة فإن قيل كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضى غيره لتوقع مخوف وإذا اعترض أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل إن علياً قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيراً أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز

التوبة

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على
الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

دونكم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن عشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال شعر وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعها من الصرف لأنه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به إلا إذا نصبت بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضماً إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل أبو بكر وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالاً شديداً فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا الكثرة والجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام دابته وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني

ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله
من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان
خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

وقال للعباس وكان صيتاً صح بالناس فنادى الانصار فخذاً فخذاً ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقاً واحداً وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس كأني انظر الى رسول الله يركض خلفهم على بغلته **بما رحبت** ما مصدرية والباء بمعنى مع اى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اى ملتبساً بها لم اخلعها تعني مع سعتها والمعنى لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم **ثم وليتم مدبرين** ثم انهزمتم **سكينته** رحمته التي سكنوا بها وامنوا **وعلى المؤمنين** الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب **وانزل جنوداً** يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفاً **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري **ثم يتوب الله** اى يسلم **بعد ذلك** ناس منهم جاؤا فبايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً فقام رسول الله فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئاً فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا **النجس** مصدر يقال نجس نجساً وقذر قذراً ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركاً توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعاً لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد وكبد **فلا يقربوا المسجد الحرام** فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية **بعد عامهم هذا** بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى
يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم
يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون

دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة** اى فقراً بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه ومن تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدراراً اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف فقال من اين تأكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالاً عائلة ومعنى قوله **ان شاء** ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم **ان الله عليم** باحوالكم **حكيم** لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **من الذين اوتوا الكتاب** بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اى يقضوه او لانهم يقضون بها ما من عليهم بالاعفاء عن القتل **عن يد** اما ان يراد يد المعطي او الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اى عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم **وهم صاغرون** اى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له ادّ الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهماً ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيراً كان او غنياً كان له كسب او لم يكن **عزير ابن الله** مبتدأ وخبر

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

كقوله والمسيح ابن الله وعزير اسم اعجمى كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نوّن فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قائله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فى الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية فى صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التى هى اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم لا غير والثانى ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابى حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر فى القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق شبهة فى انتفاء الولد يضاهئون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا فى عهد رسول الله من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهى قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمزة من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهى التى ضاهأت الرجال فى انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما فى غرقئ قاتلهم الله اى هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم فى الامر بالمعاصى وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب فى اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدى بن حاتم انتهيت الى رسول الله وفى عنقى صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالى اطعت مخلوقا فى معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص فى الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير فى وما امروا للمتخذين اربابا اى وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا

يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم مثّل حالهم فى طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ فى نور عظيم منبث فى الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويأبى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره ومعنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهى سبب الاكل ومنه قوله شعر ياكلن كل ليلة اكافا اى علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى فى الاحكام والتخفيف والمسامحة فى الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق فى سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطى منكم طيب ماله سواء فى استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هى ثابتة وانما عنى بترك الانفاق فى سبيل الله منع الزكوة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رض ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذى اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما ادى زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذى ذكره الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفى رجل فوجد فى مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدى عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل فى الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شئ حد وما روى عن على رض اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞

اقتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونهما والذهب كما ان معنى قوله شعر
فانى وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون
التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم
سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل
تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اى توقد
ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان
الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل
يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع
الى الامير وعن ابن عباس انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء
لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم و
ان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات
يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء
زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس
ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم
ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول قوله لانفسكم اى كنزتموه لتنتفع به نفوسكم
وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم و
تعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اى وبال المال
الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة
وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب
ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة و
بطل النسئ الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها
في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم
واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال
فيها حتى لو لقى الرجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجب الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت
النسئ فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت الحج فلا رفث ولا فسوق

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞

الاية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرهم حثا على
التقوى بضمان النصر لاهلها النسئ تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات
فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا
تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة
ما حرم الله اى ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد
الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسئ اى
اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل روى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا
فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول
باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه
جعل النسئ زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن
اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل
على ان الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسئ مصدر نسأه اذا اخره يقال نسأه نسأ
ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا النسئ بوزن الهدى وقرئ
النسئ بوزن النذير والنسى بوزن النهى وهما تخفيف النسئ والنسى فان قلت ما معنى قوله فيحلوا
ما حرم الله قلت معناه فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص
للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اى لا يلطف بهم
بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ
الاعمش اى تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدى بالى والمعنى ملتم الى الدنيا و
شهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم
ودياركم وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في اذا وحرف
الاستفهام مانعه ان يعمل فيه قلت ما دل عليه اثاقلتم او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون
اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما
خرج رسول الله في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة
بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث
اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع
وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه لان الله وعده
ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء

انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون

فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جواباً للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثاً اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله ابصارهم وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما القى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه وايده بجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته الى الاسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدأ وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم خفافاً وثقالاً خفافاً في النفور لنشاطكم له وثقالاً عنه لمشقته عليكم او خفافاً لقلة عيالكم واذيالكم وثقالاً لكثرتها او خفافاً من السلاح وثقالاً منه او ركباناً ومشاة او شباناً وشيوخاً او مهازيل وسماناً او صحاحاً ومراضاً وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنماً قريباً سهل المنال وسفراً قاصداً وسطاً مقارباً الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرئ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونهم ولا بعد الا ما توارى الصفائح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعاً والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى

عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً

الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيهاً لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلاً من سيحلفون او حالاً بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالاً من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديداً يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وآله ابداً ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعلاً لعدة ما يفعل بالعدة من قال شعر واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعدة بالاضافة فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امراً بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنة ومصلحة فان قلت فلم خطأ رسول الله في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استأذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجاوز في قبولها من ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله للاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود

لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع فى شئ لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور فاذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذى هو الشئ فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشى وقرأ ابن الزبير ولاوفضوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها قال شعر والراقصات الى منى فالغبغب وقرئ ولاوفضوا فان قلت كيف خط فى المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف اثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم وفيكم سماعون لهم اى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم وقيل فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اى العنت ونصب الغوائل والسعى فى تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء فى ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تأييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة وهو الاثم بان لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقنى فى الهلكة فانى اذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى اعينك بمال فاتركنى وقرئ ولا تفتنى من افتنه الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وفى مصحف ابى سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة بالكافرين يعنى انها تحيط بهم يوم القيامة او هى محيطة بهم لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم فى وسطها ان تصبك فى بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم فى الاعتزال عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اى امرنا الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب وصيابة فى جمع صائب ومصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله شعر اسهمى الصائبات والصيب واللام فى قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن

قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون

يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم والشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا الذى يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعنى فى سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اى طائعين ومكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر فى معنى الخبر كقوله قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله شعر اسيئى بنا او احسنى لا ملومة اى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لا تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهى ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحنى لطف محلك عندى وقوة محبتى لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت او محسنة وفى معناه قول القائل شعر اخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك فى الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض فى نفى التقبل اهو كون رسول الله لا يتقبله منهم ويرده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروى انها نزلت فى الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله هذا مالى اعينك به فاتركنى انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان يقبل بالياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمى ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وحيارى فى سكران وحيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهى ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت فى بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغى ان يسنده المؤمن الى نفسه فان قلت الكراهية ضد الطواعية وقد جعلهم الله طائعين فى قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما

فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار **الاعجاب** بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم بالآفات والمصائب وكلفهم للانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم **فان قلت** التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون **قلت** المراد بالاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا **وهم كافرون** ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة **لمنكم** لمن جملة المسلمين **يفرقون** يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية **ملجأ** مكانا يلجأون اليه متحصنين به من رأس جبل او قلعة او جزيرة **او مغارات** وغيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار **او مدخلا** نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا وقرئ لوالوا اليه لالتجأوا اليه **يجمحون** يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد **يلمزك** يعيبك **في قسم الصدقات** ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ووصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه و**اذا** للمفاجأة اي وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصاب به الرسول من الغنيمة وطابت نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم **انا الى الله** في ان يغنمنا ويخولنا فضله **لراغبون انما الصدقات للفقراء** قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم

وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية **والعاملين عليها** السعاة الذين يقبضونها **والمؤلفة قلوبهم** اشراف من العرب كان رسول الله يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة **وفي الرقاب** المكاتبين يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق **والغارمين** الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا **وفي سبيل الله** فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم **وابن السبيل** المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله **فريضة** في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة **فان قلت** لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة **قلت** للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق والاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير والمنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين **فان قلت** كيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم **قلت** دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها **الاذن** الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاستغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئناه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مومنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك
الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما
تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين

ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال
فان قلت لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله وباللام الى المومنين قلت لانه قصد التصديق بالله
الذي هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المومنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه
لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى الى قوله وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين ما انباه
عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل
ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة
لكم يأذن لكم لان قوله اذن خير لكم يدل عليه لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون
بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم
ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مومنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما
وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضى الله ورسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله
نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه
توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من
يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام و
اهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق
لوددنا اني قدمت فجلدت مائة جلدة وانه لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم
للمومنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين
لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم
كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى
يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز لانزال
السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا
الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال
احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك
ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله
وآياته ورسوله تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون
باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف
التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تعتذروا

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض

التوبة

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في
الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وا
لمؤتفكات اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض

باصفاركم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم
بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب
طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول
الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين
وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير لان المسند اليه
الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة
فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة
بالتأنيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله تعالى بعضهم
من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله
وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات و
الانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون الكاملون
في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم
الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله للمسلم ان يقول كسلت لان
المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة
على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله
واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة
المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم
عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من
المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم الكاف محلها الرفع على انتم
مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا و
خاضوا ونحوه قول النمر شعر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم و
تمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه
نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي
خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه
كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع
بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح
في الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم
كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب و

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله
إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات
عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا

يخسف وأنت تفعل مثل فعله وأما حضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن بالاسناد اليه عن تلك التقدمة **حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** نقيض قوله فآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين **وأصحاب مدين** وأهل مدين وهم قوم شعيب **والمؤتفكات** مداين قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر **فما كان الله ليظلمهم** فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبائح وأن يعاقبهم بغير جرم **ولكن ظلموا أنفسهم** حيث كفروا به فاستحقوا عقابه **بعضهم أولياء بعض** في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض **سيرحمهم الله** مفيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك يوما يعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحو سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم أجورهم **عزيز** غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب **حكيم** واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق **ومساكن طيبة** من الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد **وعدن** علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته **ورضوان من الله أكبر** وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وإنما يتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده **ذلك** إشارة إلى ما وعد أو إلى الرضوان أي **هو الفوز العظيم** وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا **جاهد الكفار** بالسيف **والمنافقين** بالحجة **واغلظ عليهم** في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن مسعود إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا

التوبة

ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم وأن
الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر
الله منهم ولهم عذاب أليم

لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمدا صادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل **يحلفون بالله ما قالوا** فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **وكفروا بعد إسلامهم** وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام **وهموا بما لم ينالوا** وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله **وما نقموا** وما أنكروا وما عابوا **إلا أن أغناهم الله** وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله بديته اثني عشر ألفا فاستغنى **فإن يتوبوا** هي الآية التي تاب عندها الجلاس **في الدنيا والآخرة** بالقتل والنار روي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله الذي فيها الفرائض فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقرئ **لنصدقن** ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما **من الصالحين** قال ابن عباس يريد الحج **فأعقبهم** عن الحسن وقتادة أن الضمير للبخل يعني فأورثهم البخل **نفاقا** متمكنا **في قلوبهم** لأنه كان سببا فيه وداعيا إليه والظاهر أن الضمير لله تعالى والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد **ألم يعلموا** بالتاء عن علي عليه السلام **سرهم ونجويهم** ما أسروه من النفاق والعزم على خلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها **الذين يلمزون** محله النصب أو الرفع على الذم ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجويهم وقرئ

استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم
الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في
الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم
فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا

يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة
وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا
ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم
كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا الى قوله ولهم عذاب اليم سأل عبد الله بن ابي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلم
ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد
ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط
وذكر النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب
شعر لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر
هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة
لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال
اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار
النبي الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استأذنوا
رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك والذي خلفهم كسلهم ونفاقهم و
الشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم
ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه
حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل
اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا
يكرهونه وما فيهم ما في المؤمن من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال
لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل و
لبعضهم شعر مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة
ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج

على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا
يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على
التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم
فاستأذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك و
كان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف
غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فان
قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على
واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد
تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول مرة واخرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل
روي ان رسول الله كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث
اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني
وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الحباب فسأله
عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر اتصلي على عدو
الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في
قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر
لم يجد له قميص وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن
لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله له ذلك واجابه الى
مسئلته اياه فقد كان عليه السلم لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام و
لانه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا
يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان و
ليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان
قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فروي انه اسلم
الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء
الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم
الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلوة عليه قلت لم يتقدم
نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس
ما ادري ما هذه الصلوة الا اني علم ان رسول الله لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات و
ماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة
انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له

ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة ان امنوا بالله و
رسوله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف و
طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم
المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم

وتاكيد وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر
الى فضل عناية لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع
اليه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان يراد السورة بتمامها
وان يراد بعضها في قوله **واذا انزلت سورة** كما يقع القران والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي
براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد **ان امنوا** هي ان المفسرة **اولوا الطول** ذوو الفضل والسعة
من طال عليه طولا **مع القاعدين** مع الذين لهم علة وعذر في التخلف **فهم لا يفقهون** ما في الجهاد من
الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك **لكن الرسول** اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد
الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان
استكبروا فالذين عند ربك **الخيرات** تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان **المعذرون** من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا
فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية
كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون
بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يعذر
ويجتهد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب
وقرئ المعذرون بالتشديد والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في
العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة
وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر **وقعد الذين كذبوا الله**
ورسوله هم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم
الايمان وقرئ كذبوا بالتشديد **سيصيب الذين كفروا منهم** من الاعراب **عذاب اليم** في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار
الضعفاء الهرمى والزمنى **الذين لا يجدون** الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله و
رسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح
بصاحبه **على المحسنين** على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب
قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت اي اذا ما اتوك قائلا
لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا
الة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل
البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار **تفيض من الدمع** كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض
دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض **ومن** للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل
على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون

والمجرور النصب على التمييز **الا يجدوا** لئلا ومحله النصب على انه مفعول له وناصبه المفعول الذي
هو حزنا **فان قلت** رضوا ما موقعه **قلت** هو استئناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء
فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف **وطبع الله على قلوبهم** يعني ان السبب
في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم **فان قلت** فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا
مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا
انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض **قلت** نعم ويحسن **لن نؤمن لكم** علة للنهي عن الاعتذار لان
غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله **قد نبانا**
الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم
وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم **وسيرى الله عملكم**
اتنيبون ام تثبتون على كفركم **ثم تردون اليه** وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازي
على حسب ذلك **لتعرضوا عنهم** فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم **فاعرضوا عنهم** فاعطوا طلبتهم **انهم رجس**
تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن
يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا
سبيل الى تطهيرهم **وماواهم جهنم** يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم **لترضوا**
عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم **فان ترضوا عنهم** فان رضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل
ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير و
اصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم
ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا **الاعراب** اهل البدو **اشد كفرا**
ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب
والسنة **واجدر ان لا يعلموا** واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام و
منه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين **والله عليم** يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر
حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من ثوابه وعقابه **مغرما** غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه
الرجل وليس يلزمه لانهم لا ينفقون الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده **ويتربص**
بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة **عليهم دائرة السوء**
معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم
كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من
دارت عليه ذام لها **والله سميع** لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة **عليم** بما يضمرون وقيل هم اعراب
اسد وغطفان وتميم **قربات** مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات **عند الله**

الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم

وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات **الا انها** شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنتين بثبات الامر وتمكنه وكذلك **سيدخلهم** وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه **السابقون الاولون من المهاجرين** هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع الحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى كانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرئ والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو وصفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤوا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرأه بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة **رضي الله عنهم** بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم **ورضوا عنه** بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من **وممن حولكم** يعني حول بلدتكم وهي المدينة **منافقون** وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله شعر انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بالمعطوف على خبره **مردوا على النفاق** تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مهارتهم فيه بقوله **لا تعلمهم** اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم وتحاميهم ما يشكك في امرهم ثم قال **نحن نعلمهم** اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى **سنعذبهم مرتين** قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق واخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر ومن

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا

الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم **الى عذاب عظيم** الى عذاب النار **اعترفوا بذنوبهم** اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حرام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم **عملا صالحا** خروجا الى الجهاد **وآخر سيئا** تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم **فان قلت** قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به **قلت** كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم قال سيبويه الواو في ودرهما بمعنى الباء اي استعارة وتحقيقه ان الواو للجمع والاشتراك والباء للالصاق والجمع والالصاق من واد واحد فسلك به طريق الاستعارة **فان قلت** كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم **قلت** اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكر توبتهم **تطهرهم** صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال **وصل عليهم** واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها عن الشافعي احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلواتك على الجمع **سكن لهم** يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم **والله سميع** يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم **عليم** بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم وقرئ الم تعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم **ان الله هو يقبل التوبة** اذا صحت ويقبل الصدقة اذا صدرت عن خلوص النية **وهو** للتخصيص والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص فيه هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه ووجهوها اليه وقيل هؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت **فان قلت** فما معنى قوله واخذ

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون واخرون مرجون لامر الله
اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين
وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون

الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل
والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول
عن التوبة قرئ مرجون ومرجؤن من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة واخرون
من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا
وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا
ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم
وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل
المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سايرها بالواو على عطف قصة مسجد
الضرار الذي احدثه المنافقون على ساير قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا
الى رسول الله ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل
الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم
وهو الذي سماه رسول الله الفاسق وقال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه
من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة
والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على
جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد
فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه
الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا
ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد
قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا لاجل من حارب
الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة
او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم
يدرك الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه
فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني
ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة
مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله

لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين

النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا
الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا مسجدا
من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة
الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا
اسسه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلثاء و
الاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول
الله بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء
وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون
ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا
فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال عليه السلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل
اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار
الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا
بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون
الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم
فحموا عن آخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص
المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه
وقرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة
واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى
افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه
على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل
شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل
مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهار مجازا
عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجئ بلفظ الانهيار
الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك
الجرف فهوى في قعرها والشفا والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه
السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل
قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفرليس بالف

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي
القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة

فاعل إنما هي عين كأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل
وكنه أمره وقرئ جرف بسكون الراء فإن قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى
من الله بالتنوين قلت قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نوّن ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي
فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منها وروي أن مجمع بن
حارثة كان إمامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته
أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين
لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم
فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره
بالصلوة بقومه **ريبة** شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد
كفرهم ونفاقهم كما قال تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم
عليهم تصميما على النفاق ومقتا للإسلام فمعنى قوله **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم**
لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره
إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة
باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة
تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف
وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم
بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب
الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم **مثّل**
إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله بالشرى وروي تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر
رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها وروي أن الأنصار حين
بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي
أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فإذا فعلنا
ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله أعرابي وهو يقرأها
فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد
يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون
على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس **وعدا** مصدر مؤكد أي أخبر بأن هذا الوعد الذي
وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن ثم قال **ومن
أوفى بعهده من الله** لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد
ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ
منه إن إبراهيم لأواه حليم

الغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ **التائبون** رفع على المدح
أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما التائبين بالياء إلى والحافظين
نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوّز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي
التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع
على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون
من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق و
العابدون الذين عبدوا الله وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها **والسائحون** الصائمون شبهوا
بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في
مظانه قيل لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك
بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي
أبويه أحدث به عهدا قيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت ربي
في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ونزلت وهذا أصح لأن موت أبي
طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر
لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه **ما كان** ما صح له الاستغفار
في حكم الله وحكمته **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** لأنهم ماتوا على الشرك وقرأ طلحة وما استغفر إبراهيم
لأبيه وعنه وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية **إلا عن موعدة وعدها إياه** أي وعدها إبراهيم
أباه وهو قوله لأستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه **فإن قلت** كيف خفي على إبراهيم
أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده **قلت** يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار
على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى إلى
قوله عليه السلام لعمه لأستغفرن لك ما لم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال
ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس
قد استغفر إبراهيم **فإن قلت** فما معنى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه **قلت** معناه فلما تبين له
من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما
تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم **أواه** فعال من أوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه
لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك
يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به
عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم
وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون [illegible]
للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديد ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للإسلام إذا

ماكان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم ٥

أ فلم على بعض محظور ات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم
بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا
وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها
عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح
قيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها
والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم شعر غداة طفت
علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحميرا اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم
في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر
المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما
مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة
زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه
سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب الله عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق
تاب عليهم لكيدودتهم الثلثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن
الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين في المدينة
او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلثة المخلفين
بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا
وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة
والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول
والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة
علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة وروي ان ناسا من المؤمنين
تخلفوا عن رسول الله منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به وعن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان
خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله
ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن
المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما
خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال
الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره

ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله لما رأى سواده كن ابا ذر فقال
رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء
فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت له الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل و
رطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب
فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال
كعب لما قفل رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف
كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا
واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا
انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت
الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول
الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله وهو
يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية و
عن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت و
تضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين
صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على
الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة اي كونوا مثلهم
في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين و
الانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء
عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رض لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم
لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط
وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا
تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما
تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا
ان يربؤوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ
مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون

ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب بسبب أنهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم ولا يتصرفون في أرضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك إلا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم ويلحق بهم ضرارا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رض المهاجر بن أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فأسهم لهم وعندنا أنه فيء لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رض في جيش العسرة ولا يقطعون واديا أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون لا تصل في وادي غيرك إلا كتب إلا كتب لهم ذلك من الإنفاق وقطع الوادي ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى المفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون

ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وإذا ما أنزلت سورة نظر

الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله تعالى لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعدما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة أعظم أثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول الله قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لأنهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر أنه سئل عمن قال الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه فمنهم من يقول من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا أو استهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير أيكم بالفتح على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بالإيمان بها أو بزيد اليقين والثبات وأثلج للصدر أو فزادتهم عملا فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ أولا ترون بالتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون أو لا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله يعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه وإذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون

لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة
من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه
فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه و
الاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي
من اشرفكم وافضلكم وهي قراءة رسول الله وفاطمة وعائشة رض وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه
لاحد غير رسول الله في قوله رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصرك
فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب آخر ما نزلت لقد جاءكم رسول
من انفسكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي
تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة الحكيم ذو الحكمة لاشتماله
عليها او نطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى شعر وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال
من ذا قالها والهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه ان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرئ بالرفع
فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله شعر يكون مزاجها عسل وماء
والاجود ان تجعل كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا
قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم
وليس في عند الناس هذا المعنى الذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر ان يكون من افناء رجالهم دون
عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب
ان يذكرهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل
المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق
الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك
الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر
هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر
الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله
انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء محذوف قدم صدق
عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما
كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين

تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على
زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به
محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته
سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب
الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا الامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات و
الارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات و
الارض مع بسطها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة
على العظمة فانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل
على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وذلكم اشارة
الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة
منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع
افلا تذكرون فان ادنى التفكر والتنبه ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون
في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر
مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو
ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه
او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة
الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا
بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله شعر احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا
علي رقيب وقرئ حقا انه يبدأ الخلق كقولك حقا ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق
بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا
حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام
انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة
ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا
والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر منازل والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره ذا
منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي
ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا
وقرئ نفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر
الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة
باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او

أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم
دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا في طغيانهم يعمهون

لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على
الكثير الباقي كقوله أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج
منها فبنوا شديدًا وأملوا بعيدًا يهديهم ربهم بإيمانهم يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على
سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الأنهار بيانًا له وتفسيرًا لأن التمسك
بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ومنه الحديث إن المؤمن إذا خرج من قبره صور
له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له
عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فإن قلت فلقد دلت هذه الآية
على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان
المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الأمر
كذلك ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعًا فيها بين الإيمان والعمل الصالح كأنه قال إن الذين جمعوا بين
الإيمان والعمل الصالح ثم قال بإيمانهم أي بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة
فيه دعواهم دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت
اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز أن يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من
دون الله على معنى أن لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس
بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذًا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية
وآخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها
سلام أن بعضهم يحيي بعضًا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول
وقيل تحية الله لهم وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله
أن هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس
الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارًا بسرعة إجابته لهم وإسعافه
بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء
يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا
وأهلكوا وقرئ لقضى إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله
لقضينا إليهم أجلهم فإن قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما
معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي
إليهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزامًا للحجة عليهم
لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعًا أو قاعدًا أو قائمًا فإن
قلت فما فائدة ذكر هذه الأحوال قلت معناه أن المضرور لا يزال داعيًا لا يفتر عن الدعاء

يونس

وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا
يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم
خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا
ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ٥

حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها إن كان منبطحًا عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعدًا
لا يقدر على القيام أو كان قائمًا لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها
والمسحة بتمامها ويجوز أن يراد أن المضرورين من هو أشد حالًا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو
أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء
لأن الإنسان للجنس مر أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف
الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن
قال شعر كأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته أو الله
عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظلموا ظرف
لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي
المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز أن يكون عطفًا على ظلموا وأن يكون اعتراضًا واللام لتأكيد النفي
يعني وما كانوا يؤمنون حقًا تأكيدًا لنفي إيمانهم وأن الله قد علم منهم أنهم مصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد
منهم والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة
الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب
رسول الله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا لننظر كيف تعملون خيرًا أو شرًا فنعاملكم على
حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله فإن قلت
كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودًا
شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد
للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك أو بدله بأن تجعل مكان آية عذاب
آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان و
هو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور
عليه للإنسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لنا أن نقول ما ليس لي بحق أن أبدله من
تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير أن يأمرني بذلك ربي إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا
آتي ولا أذر شيئًا من نحو ذلك إلا متبعًا لوحي الله وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية
مكان آية تبعت التبديل وليس لي تبديل ولا نسخ إني أخاف إن عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند
نفسي عذاب يوم عظيم فإن قلت أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت
بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبًا فينسبونه إلى
الرسول ويزعمون أنه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان
الواحد منهم أعجز فإن قلت لعلهم أرادوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون

وأراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدله قلت رده قوله إني أخاف إن عصيت ربي فإن قلت
فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر أما اقتراح إبدال القرآن بقرآن
فلأنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع والاختبار
للحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة
عليه وتصحيحاً لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه
أمراً عجيباً خارجاً عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة ولا
نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحاً يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحوناً بعلوم
من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ
بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفاً
من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس إليه وألصقهم به ولا أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني و
قرأ الحسن ولا أدرأتكم به على لغة من يقول أعطأته وأرضأته في معنى أعطيته وأرضيته وتعضده
ابن عباس ولا أنذرتكم به ورواه الفراء ولا أدرأتكم به بالهمزة وفيه وجهان أحدهما أن تقلب الألف
كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لأن الألف والهمزة من واد واحد ألا ترى أن الألف إذا مستها
الحركة انقلبت همزة والثاني أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته دارئاً والمعنى ولا جعلتكم
بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام الابتداء لإثبات الإدراء
ومعناه لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها أهلاً دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمراً وقرئ عمراً بالسكون يعني فقد أقمت
فيما بينكم يافعاً وكهلاً فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفاً بعلم وبيان فتتهموني
باختراعه أفلا تعقلون فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير
هذا من إضافة الافتراء إليه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في
قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفادياً مما أضافوه إليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الأوثان
التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود
أن يكون مثيباً على الطاعة معاقباً على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى
ومناة وهبل وإسافاً ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث إذا كان
يوم القيامة يشفع لي اللات والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده
وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوماً له وهو العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئاً لأن
الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبراً ليس له مخبر عنه فإن قلت كيف أنبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم و
بما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم
يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله تأكيد لنفيه

وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية
من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا
قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا

لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة أو مصدرية أي عن
الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم ما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة
واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين
لم يذر الله من الكافرين دياراً ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة لقضي
بينهم عاجلاً فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه
الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي
كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء
مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من
بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة
من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل إنما الغيب لله أي هو المختص
بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه
إلا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الآيات سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا
يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهي
للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم
حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف قوله أسرع مكرا قلت بل دلت
على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه
قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى
دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون
إعلام بأن ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء وقيل
مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة إن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح
منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض
ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر
إنما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية
الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من
مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها
فإن قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن قلت ما فائدة
صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار و
التقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسبة قلت فيه أن يزاد كما في الخارجي

بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

والاحرى ويجوز ان يراد بالبحر والماء الغمر الذي لا يجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك
لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل في قراءة ام الدرداء للفلكي ايضا لان الفلكي يدل عليه
جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك **من كل مكان** من جميع امكنة الموج
احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك **مخلصين له الدين** من غير اشراك به لانهم
لا يدعون حينئذ غيره معه **لئن انجيتنا** على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول **يبغون
في الارض** يفسدون فيها ويعيثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى
الى الفساد **فان قلت** فما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق **قلت** بلى وهو استيلاء المسلمين
على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة
قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب **فان قلت** ما الفرق بين القراءتين **قلت** اذا رفعت كان المتاع
خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين
جنسهم جنسكم يعني بغى بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم
خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة في موضع المصدر المؤكد كانه قيل
تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على ما هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث
ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة
وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل
لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في اخيه **شعر** يا صاحب البغي ان البغي مصرعة
فاربع فخير فعال المرء اعدله ❊ فلو بغى جبل يوما على جبل ❊ لاندك منه اعاليه واسفله ❊ وعن
محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم **هذا**
من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال
نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته و
رفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا **اخذت الارض زخرفها وازينت**
كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل
لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ
عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة و
ازيانت كابياضت **قادرون عليها** متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون
لغلتها **اتاها امرنا** وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم
فجعلناها فجعلنا زرعها **حصيدا** شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله **كأن لم
تغن** كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني

والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم

الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا **دار السلام** الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام
السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما
سلاما **ويهدي** ويوفق **من يشاء** وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته
ومعناه يدعوا العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون **الحسنى** المثوبة الحسنى **وزيادة** وما
يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة
واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن
مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة
فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة
ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل
الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه **لا يرهق وجوههم**
لا يغشاها **قتر** غبرة فيها سواد **ولا ذلة** ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار اذكارا بما ينتظرهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة **فان قلت** ما وجه قوله
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم **قلت** لا يخلوا اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا
على قوله للذين احسنوا الحسنى كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين
كسبوا جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه
من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة
الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ
يرهقهم ذلة بالياء **من الله من عاصم** اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله
ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين **مظلما** حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من
الليل جعل صفة ويعضده قراءة ابي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم **فان قلت** اذا جعلت
مظلما حالا من الليل فما العامل فيه **قلت** لا يخلوا اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله
قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل **مكانكم**
الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم **انتم** اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا **وشركاؤكم**
عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل **فزيلنا بينهم**
ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف
وتبرؤ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا
بينهم لقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته **ما كنتم ايانا تعبدون** انما كنتم تعبدون الشياطين
حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم **ان كنا** هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها

قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

الله تعالى وبقينا منهم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وتلفوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله لنبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة والى طريق النار وتقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة والذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب في شفاعة الالهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر رزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يدبر امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فلا تتقون افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثابتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمت ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال للنبي قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من

وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

هداه وهداه للمبالغة ومنهم قولهم يهدي معنا ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتريه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراء بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ

لم يشعر قبله الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ذلك التكذيب يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين فان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل لاستيجابهم ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا

التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذلك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضيها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على اعمالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون لقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان لقوله وجيء بالنبيين والشهداء قضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب النفع لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون والضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد تستعجلون منه ويجب ان يكون من البيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريد الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون اثم اذا ما وقع آمنتم

ويستنبئونك احق هو اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما فى السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى قوله افامن اهل القرى او امن اهل القرى **الآن** على ارادة القول اى قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به **وقد كنتم به تستعجلون** يعنى قد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ الان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام **ثم قيل للذين ظلموا** عطف على قيل المضمر قبل الآن **ويستنبئونك** ويستخبرونك فيقولون **احق هو** وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا الاعمش الحق هو وهو ادخل فى الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذى سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود **واى** بمعنى نعم فى القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون فى التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده **وما انتم بمعجزين** بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة **ظلمت** صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة **ما فى الارض** اى ما فى الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها **لافتدت به** لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه **واسروا الندامة لما راوا العذاب** لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة فى القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشئ لخالصه فان فيه تهكما بهم وباخلاصهم وقت اخلاصها الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشئ واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد **وقضى بينهم** اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون **قد جاءتكم موعظة** اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد **وشفاء** اى دواء **لما فى الصدور** من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن امن به منكم اصل الكلام **بفضل الله وبرحمته** فليفرحوا **فبذلك فليفرحوا** والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا

قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وما تكون فى شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين

بالتاء وهو الاصل والقياس وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتاخذوا مصافكم قالها فى بعض الغزوات وفى قراءة ابى فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما تجمعون بالتاء والياء وعن ابى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه **ارايتم** اخبرونى **ما انزل الله** ما فى موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى اخبرونى وبه **فجعلتم منه حراما وحلالا** اى انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا **الله اذن لكم** متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبرونى الله اذن لكم فى التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الاحكام باعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد فى شئ جائز وغير جائز الا بعد اتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله **يوم القيمة** منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعنى اى شئ ظن المفترين فى ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واى ظن ظنوا يوم القيمة وجئ به على لفظ الماضى لانه كائن فكان قد كان **ان الله لذو فضل على الناس** حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه **وما تكون فى شان** ولا تكون فى امر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير فى منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل **وما تعملون** انتم جميعا **من عمل** اى عمل كان **الا كنا عليكم شهودا** رقباء يحصى عليكم **اذ تفيضون فيه** من افاض فى الامر اذا اندفع فيه **وما يعزب** وقرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر** القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على انه اسم لا لنفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه وفى العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شئ الا فى كتاب مشكل **فان قلت** لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله فى سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض **قلت** حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية **اولياء الله** الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله **الذين امنوا وكانوا يتقون** فهو توليهم اياه **لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة** فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم

الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون

يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رض سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتدا والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي **وذلك** اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض **ولا يحزنك** وقرئ ولا يحزنك من احزنه **قولهم** تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك **ان العزة** استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن **ان العزة لله جميعا** اي ان الغلبة والقهر في ملكه لله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة بالفتح يعني لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك **من في السموات ومن في الارض** يعني العقلاء المميزين وهم الملئكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له في ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبعون **شركاء** اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال **ان يتبعون الا الظن** ظنهم انها شركاء **وان هم الا يخرصون** يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان

حقه

يونس

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون

حقه وما يتبع الذين من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي طالب رض تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملئكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يتوحد بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم **لقوم يسمعون** سماع معتبر متدبر **سبحانه** تنزيه عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن كان مستغنيا عنه كان الولد عنه منتفيا **له ما في السموات وما في الارض** فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا **ان عندكم من سلطان بهذا** ما عندكم من حجة والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان **اتقولون على الله ما لا تعلمون** لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم **يفترون على الله الكذب** باضافة الولد اليه **متاع في الدنيا** اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعد **كبر عليكم** عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر **مقامي** مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه قوله ولمن خاف مقام ربه يعني خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او مقامي **وتذكيري** لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم ظاهرا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود **فاجمعوا امركم وشركاءكم** من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال شعر هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقام طول الكلام كما تقول اضربن زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم **فان قلت** كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء **قلت** على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون **فان قلت** ما معنى الامر بامرهم الذي يجمعونه ثم امرهم ان لا يكون عليهم غمة **قلت** اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده

فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا
وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون

ربه من كلاءته وعصمته وانتم لن تجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد ما
وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم
بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد
به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة في
فرائض اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكون قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن
مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي
قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من
اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء
بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي
وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان
عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على
الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا
وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان
ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر
ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك
لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم
في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق
كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية
له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم
بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة
شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع
مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان
الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها
ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها
واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه الحق وانه هو من عند الله لا من قبل موسى
وهارون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا
تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت

قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح
عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم
وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على
الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا إلى موسى وأخيه

ان يكون معنى قوله اتقولون للحق تعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه
من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر
في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف
مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني
قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى
للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان و
مطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء في الارض اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف
بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله شعر ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت
منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض
مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين
اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتدأ
والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر
بالاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم
به سحر وقرأ ابي ما أتيتم به سحر والمعنى لا ما أتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه
باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه
الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن
لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد
من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم
مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته و
خازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملئهم قلت الى فرعون
بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية
اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب
فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد والكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم
بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط التوكل
الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان
التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا

وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون

على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافون وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة فإن قلت كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فإن قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم من عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعلى النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حسرة على ما فات من قبول النصيحة وحردا عليه لا أن يريد خلافه وإنما أمره هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ

يونس

استشهد به على أن جوزنا في قراءة الحسن من أجاز المكان قطعه لا من أجازه بمعنى نفذه كما في البيت ... وإنما جوزنا في البيت فبمعنى نفذنا والهمزة للتعدية وهو متعد بنفسه لا يحتاج إلى الباء وعادة العرب يستجيرون من قوم إلى قوم ... استشهد به على أن القراءة المذكورة ... بمعنى نفذنا كما في البيت ... كما جوز السكي ... في شرح الشواهد

الفاضل الرقاشي آنك أتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الأعشى شعر وإذا تجوزها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني إسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق فأتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الإيمان وإنه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف آلآن أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبرئيل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قولهم خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي أن جبرئيل أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبرئيل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معدي كرب شعر أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد

ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك
لقد جاءك الحق فلا تكونن من الممترين

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل
قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها
لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون
اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى
بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر
بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية
ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع
ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن
بغيره او ليكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترءوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا
بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ولتكون لخالقك آية كسائر آياته
ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه
على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات
الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوأ
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه
شعبا الا من بعد ما قرءوا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد
الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق وعنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وآله واختلاف بني
اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم
العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان كنت في
شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين
قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله
فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان
خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرءون الكتاب والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر
بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد
ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان
وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى
حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين واما بمقادحة العلماء المنبهين على
الحق فسئل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس
لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين

علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار
بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال
لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك
هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا
بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات
الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولـ
تصديك من آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك
قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسئل احدا منهم بل اشهد انه الحق وعن
ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سئل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله و
المراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله انزلنا اليكم
نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك
فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسئل يعني لا نامرك بالسؤال لانك
شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فسل
الذين يقرءون الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبتت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح
واخبر به الملئكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى
الله من ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن
الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما اخر فرعون الى
ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي و
عبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء
منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه
قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ
بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي ان يونس بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا
اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك
آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا
شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب
واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة و
تضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم

ولو شاء ربك لآمن من في السموات والارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين

تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون

ان تردوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع على اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان ومطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما نقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه انما الشأن في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها لا تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر لقولهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الحال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين حقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل للشك فيه واني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ولا احد الضلال [illegible] على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو

لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى

اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او ان تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ ذلك ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا حنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله تعالى هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان اراد بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر اصابة الخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رض تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يا معشر

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه
نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل
فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير

الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال اذن
نصبر وقال عبد الرحمن بن حسان شعر الا ابلغ معوية بن حرب ۞ امير الظالمين نثا
كلامي ۞ بانا صابرون فمنظروكم ۞ الى يوم التغابن والخصام ۞ عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب
به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مائة وعشرون وثلث ايات مكية
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا
خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار
حكيما اي جعلت حكيمة لقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت
الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير شعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم
اني اخاف عليكم ان اغضبا ۞ وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل
القلائد بالفوائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص وجعلت فصولا
سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج
اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها
وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم
قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة
احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف و
احكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان
يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن
لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا
تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى
القول كأنه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي
امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم
نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله
تعالى اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله وهي صلة لنذير اي انذركم منه
ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه
قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار
توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا
بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم

الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين
وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا

كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ﴿ويؤت كل ذى فضل فضله﴾ ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى
العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله فى الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة
على قدر تفاضل الطاعات ﴿وان تولوا﴾ وان تتولوا ﴿عذاب يوم كبير﴾ هو يوم القيمة وصف بالكبر
كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شئ فكان قادرا
على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تُوُلُّوا من ولى ﴿يثنون صدورهم﴾ يزورون
عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشئ استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه ﴿ليستخفوا منه﴾ يعنى ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على
ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضمار الاضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ﴿الا حين يستغشون ثيابهم﴾ ويريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم فى
اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ يعنى انه لا تفاوت فى علمه بين
اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روى انها نزلت فى الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول
الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته و
هو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت فى المنافقين وقرئ تثنونى صدورهم واثنونى افعوعل
من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنونى و
قرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد
مطاوعة صدورهم للثنى كما يثنى الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ
تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوى بوزن
ترعوى ﴿فان قلت﴾ كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل ﴿قلت﴾ هو تفضل الا انه
لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد ﴿والمستقر﴾ مكانه من الارض ومسكنه
﴿والمستودع﴾ حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة ﴿كل﴾ كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها و
مستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه ﴿مبين وكان عرشه على الماء﴾ اى ما كان تحته خلق قبل
خلق السموات والارض وقبل ارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين
قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل
ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج الى الممسك ﴿ليبلوكم﴾ متعلق بخلق اى خلقهن
لحكمة بالغة وهى ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب
المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد
ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون ﴿فان قلت﴾ كيف جاز تعليق فعل البلوى ﴿قلت﴾ لما فى الا

ختبار

ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما
يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه
انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا
الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير

من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر و
الاستماع من طريق العلم **فان قلت** كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمن هي التي تتفاوت الى حسن واحسن
فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح **قلت** الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم
الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا
لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ
ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما
وانك تشتري بمعنى لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا
ان هذا الا سحر مبين يعنون ان القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان
هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به واشاروا بهذا الى القران
لان القران هو الناطق بالبعث واذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره
وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل **العذاب** عذاب الاخرة وقيل
عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين **الى امة** الى جماعة من الاوقات **ما يحبسه**
ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء **يوم يأتيهم** منصوب بخبر ليس ويستدل
به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك
دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل **وحاق بهم** و
احاط بهم **ما كانوا به يستهزؤن** العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع
يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخبار
الانسان للجنس **رحمة** نعمة من صحة وامن وجدة **ثم نزعناها منه** ثم سلبناه تلك النعمة
انه ليؤس شديد الياس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من
غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع **كفور** عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله
نساء له **ذهب السيئات عني** اي المصائب التي ساءتني **انه لفرح فخور** على الناس بما اذاقه
الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر **الا الذين صبروا** فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان
يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو
كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم **لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك** وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من
البينات فكان يضيق به صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه
وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله **فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك** اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم وتهاونهم به **وضائق**

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير
والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتريه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد

به صدرك ان تتلوه عليهم **ان يقولوا** مخافة ان يقولوا **لولا انزل عليه كنز** اي هلا انزل عليه ما
اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال **انما انت نذير** اي
ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا
او اقترحوا **والله على كل شيء وكيل** يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه
وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم و
مبال بسفههم واستهزائهم **فان قلت** لم عدل عن ضيق الى ضائق **قلت** ليدل على انه ضيق عارض
غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد
وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد و
نحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري للعكلي **شعر** بمنزلة اما اللئيم فسامن
بها وكرام الناس بادٍ شحوبها **ام** منقطعة والضمير في **افتريه** لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر
سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له
العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد **مثله** بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحد
منها له **مفتريات** صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند
الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي و
ان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون
عن مثل ما اقدر عليه من الكلام **فان قلت** كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا
غير مفترى **قلت** معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى **فان قلت** فما وجه جمع الخطاب
بعد افراده وهو قوله **لكم فاعلموا** بعد قوله قل **قلت** معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان
رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان
يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله **شعر** فان شئت حرمت النساء سواكم وان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من
دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه **فاعلموا انما
انزل بعلم الله** اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم
اليه فاعلموا عند ذلك **ان لا اله الا الله** وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم
فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل
الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من
عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون **نوف اليهم** نوصل اليهم اجور **اعمالهم** وافية
كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال
للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت

أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون

حتى يقال فقيل لمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم وقرئ توف بالياء على ان الفعل لله تعالى ونوف اليهم اعمالهم بالبناء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله شعر يقول لا غايب مالي ولا حرم **وحبط ما صنعوا فيها** وحبط في الآخرة ما صنعوا او صنيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفى اليهم ما ارادوا **وباطل ما كانوا يعملون** اى كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية و ينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اى باطل كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون **أفمن كان على بينة** معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة **من ربه** اى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل **ويتلوه** ويتبع ذلك البرهان **شاهد منه** اى شاهد يشهد بصحته وهو القرآن **منه** من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا **ومن قبله** ومن قبل القرآن **كتاب موسى** وهو التوراة اى ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة **إماما** كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه **ورحمة** ونعمة عظيمة على المنزل اليهم **أولئك** يعني من كان على بينة **يؤمنون به** يؤمنون بالقرآن **ومن يكفر به من الأحزاب** يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله **فالنار موعده فلا تك في مرية** وقرئ مرية بالضم وهما الشك **منه** من القرآن او من الموعد **يعرضون على ربهم** يحبسون في الموقف ويعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملئكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال **ألا لعنة الله على الظالمين** فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد وشهيد كاصحاب واشراف **ويبغونها عوجا** يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به **أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض** اى ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد **يضاعف لهم العذاب** وقرئ

أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين

يضعّف **ما كانوا يستطيعون السمع** اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله **وما كان لهم من أولياء** انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشئ **فما كان لهم** في الحقيقة **من أولياء** ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** فكيف يصلحون للولاية وقوله **يضاعف لهم العذاب** اعتراض بوعيد **خسروا أنفسهم** اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم **وضل عنهم** وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو **ما كانوا يفترون** من الآلهة وشفاعتها **لا جرم** فسر في مكان آخر **هم الأخسرون** لا ترى احدا ابين خسرانا منهم **وأخبتوا إلى ربهم** واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشئ الدنى الخبيث قال شعر ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل التاء فيه بدل من الثاء شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والاصم وفي السميع بالعاطف الصفة كقوله شعر الصابح فالغانم فالآيب **هل يستويان** يعني الفريقين **مثلا** تشبيها اي **أرسلنا نوحا بأني لكم نذير** ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله **إني لكم نذير مبين** بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول **أن لا تعبدوا** بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا **إلا الله** او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه **فإن قلت** فاذا وصف به العذاب **قلت** مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده **الملأ** الاشراف من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة **وما نراك إلا بشرا مثلنا** تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم **وما نرى لكم علينا من فضل** او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها واحاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شئ عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ
طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ

يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ

جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد ذل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله **من فضل** من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة **بل نظنكم كاذبين** فيما تدعونه **ارأيتم** اخبروني **ان كنت على بينة** على برهان **من ربي** وشاهد منه يشهد بصحة دعواي **وآتاني رحمة من عنده** بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة **فان قلت** فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا **قلت** الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم **فان قلت** فما حقيقته **قلت** حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى عميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد **فان قلت** فما معنى قراءة ابي **قلت** المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله **انلزمكموها وانتم لها كارهون** يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله **لا اسألكم عليه** راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرئ **ما انا بطارد الذين آمنوا** بالتنوين على الاصل **فان قلت** ما معنى قوله انهم ملاقو ربهم **قلت** معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة **تجهلون** تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله شعر الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم **من ينصرني من الله** من يمنعني من انتقامه **ان طردتهم** وكانوا يسألونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ
يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ

يكونوا معهم على سواء **اعلم الغيب** معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول عندي خزائن الله ولا اقول اني اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء وحتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم **ولا اقول اني ملك** حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله **لن يؤتيهم خيرا** في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم **اني اذا لمن الظالمين** ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدريته وزريت عنه **جادلتنا فاكثرت** معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطال **فأتنا بما تعدنا** من العذاب المعجل **انما يأتيكم به الله** اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه **ان شاء** يعني ان اقتضته حكمته ان يعجله لكم وقرأ ابن عباس فاكثرت جدلنا **فان قلت** ما وجه ترادف هذين الشرطين **قلت** قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني **فان قلت** فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم **قلت** اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي **فعلي اجرامي** وقرئ اجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحوه جرم واجرام قفل واقفال ويبصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي **وانا بريء** يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى **مما تجرمون** من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم **لن يؤمن من قومك الا من قد آمن** اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها **فلا تبتئس** فلا تحزن حزن بائس مستكين قال شعر ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام منهم **باعيننا** في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه **ووحينا** وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** ولا تدعني في شان قومك واستدفاع

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ

العذاب عنهم بشفاعتك **إنهم مغرقون** انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود **ويصنع الفلك** حكاية حال ماضية **سخروا منه** ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء في وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا **فانا نسخر منكم** يعني في المستقبل **كما تسخرون** منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب من رأسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا **من يأتيه** في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه **عذاب يخزيه** ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق **ويحل عليه** حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه **عذاب مقيم** وهو عذاب الآخرة **حتى** هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء **فان قلت** وقعت غاية لماذا **قلت** لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد **فان قلت** فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام **قلت** هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه **فان قلت** فما جواب كلما **قلت** سخروا منه **قال** استئناف على تقدير سؤال سائل او يجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا **واهلك** عطف على اثنين وكذلك **ومن آمن** يعني واحمل

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ

اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله **من سبق عليه القول** انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته **الا قليل** روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة مقتضبة من مبتدأ وخبر اي باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله **فان قلت** ما معنى قولك جملة مقتضبة **قلت** معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله شعر وجاؤنا بهم سكر علينا فلا يكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين **ان ربي لغفور رحيم** لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم **فان قلت** بم اتصل قوله وهي تجري بهم **قلت** بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم وهم فيها **في موج كالجبال** يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها **فان قلت** الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج **قلت** كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه **سآوي الى جبل يعصمني من الماء** قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة من الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني و

وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح
ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن
ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين

لنسبه الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة
وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي
اي قائلا يا ابناه في معزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني كان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه و
عن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل في دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة
وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف
لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم
اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما
في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم
قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع
كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم
على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب
من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي
واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة
لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه
وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف
دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا
لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت
الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا وبعدا
اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء
ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام
لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في
افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك
الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره
ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس
الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه
بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر
خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا

بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان
نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله
رب مع ما بعده من اقتضاء وعد في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال
رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى
ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا
له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه و
الوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم
لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة
في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من
الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب
الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة
النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا
لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد
منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل
الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل
انه عمل فاسد قلت لما نفاه من اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي
وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا
لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير
ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب
هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه
فان قلت لم سمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا
ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا
وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما
كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد
عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله
جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه
ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه
شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين
وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم
عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين

ما يجب لا تستنه أن أسألك من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك
واتعاظا بموعظتك وإلا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي أكن من الخاسرين
أعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا أو مسلما عليك مكرما
وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد
وعلى أمم ممن معك يحتمل أن تكون من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم
كانوا جماعات وقيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة ممن
معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وأمم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف
تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه والمعنى أن السلام منا
والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا
منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه
في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيمة وفيما
بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم
من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالأمم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك إشارة
إلى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعضها أنباء
الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل إيحائي إليك وإخبارك
بها أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي أو من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة و
أذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه إن
العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه أن قومك الذين أنت
منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول
لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده أخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحا و
هودا عطف بيان غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ إن
أنتم إلا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء ما من رسول إلا واجه
قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم
شيء منها لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجرا إلا من الله
وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا إليه
من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وإنما قصد
استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع
وبساتين وعمارات حراصا عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا
من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون

وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت أرحام
نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال إني
رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار
فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته
مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة إلى قوتكم
وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه
وأرغبكم فيه مجرمين مصرين على إجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم
وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت
آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين
عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما
يدعوهم إليه إقناطا له من الإجابة اعتراك مفعول نقول وإلا لغو والمعنى ما نقول إلا
قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك
عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام
المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة و
الاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من المتظاهرين
بالإسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مختلا ولم يخدم
معه على عشرتهما كانوا عليه في أيام جاهليته من الموادة وما ذاك إلا لعرق من الجاهلية
أبى إلا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم
المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون
إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا
في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من
أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحدا أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه
عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو
ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم
ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد
فيقول الرجل الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله
فإن قلت هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد
صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون
بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء

إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم
ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة
منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد

به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي أني لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم أعجلوا ما تفعلون من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي و لما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فإن تولوا فإن تتولوا فإن قلت الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء الشرط قلت معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى إن تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه إلا أنفسكم على كل شيء حفيظ أي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا أربعة آلاف فإن قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله وقيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله وألا وتكريرها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فإن قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي

الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فإن قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء أرض في آخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل شعر ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الأرض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه في معنى أهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم والثاني أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الأمور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي قيل إن كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني إذن حينئذ غير تخسير يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها أو فما تزيدونني بما تقولون وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل فإن قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف ويقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف

وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ وَأَخَذَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا
إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا
لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ

الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله شعر ويوم شهدناه او على المجاز كانه
يعني بك فاذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود
والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى
اذ وهو غير متمكن كقوله شعر ويوم شهدناه على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف
قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال من عذاب غليظ على وكانت
التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان
هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة و
قرئ الا ان ثمودا ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر
ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبرئيل و
ملكان معه وقيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر
بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما
سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام
انشد شعر مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث ان جاء
فما ابطأ بالمجيء به بل عجل فيه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والحنش بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم
البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت
عليها الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه قوله بعجل سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل
في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومستنكر فانكرت قال الاعشى شعر وانكرتني وما كان
الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف
ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا
خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه
او لتعذيب قومه الا ترى انهم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف
فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه
بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته
قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم
وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث
او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم
لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على
ما توهمت فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع
بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعد وقيل الوراء ولد

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ

الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب
كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله شعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا
ناعب الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفي ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء
على الاصل وشيخا نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا
بعلي هو شيخ او بعلي المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة
ولابرهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث
العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها
كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تتوقرها
ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوتات النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان
التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل
البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت
النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم كلام مستأنف
علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله
عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم
حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء
او على الاختصاص لان البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة
حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم
فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا
وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا
او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما
جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي
الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته
اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم لو كان
فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا ان كان فيها خمسة يصلون
رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف
الف انسان ان ابرهيم لحليم غير عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب
منيب تائب الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة

يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد

والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملئكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غيرهما ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فانكحوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وفي ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه

قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد

ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوا على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة وانك لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملئكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤوا وجعل يردهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملئكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر بالقطع والوصل الا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

من سنك كل بلبل قوله حجارة من طين وقيل من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على
الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان تعذب به من السجل
وسجل الله ان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض
متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها ما يعلم به انها ليست
من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من الظالمين ببعيد وفيه وعيد
لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت
في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هويت منه فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه
اني اراكم بخير بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم
بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوا عنكم بما انتم عليه كقول
مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يوم محيط
مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة
ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط
بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء
فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في
التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا
بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل
والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب
اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه
قسط وعدل فهذه ثلث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير شعر
أفي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل
السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء
فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف
والبخس عثيا منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم
خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها
من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع
النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك
استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم
وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات لكم كقوله والباقيات

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَا شُعَيْبُ

الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه
فاما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ
تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما
بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت
حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلوتك تأمرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت
ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كأن يقال ان الصلوة تأمر بالجميل والمعروف كما يقول
تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم
بصلوته وارادوا ان هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك
اليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان
وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين
والموسوسون من بعض الاقوال والافعال والمعنى تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا
فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرأ ابن
ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف
والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم وقطعها واراد
بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي
لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك
يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه
من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارأيتم
وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين
دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا
على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك
يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك
الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب
عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم
التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي
وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت
متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون
على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له كقوله شعر
ضعيف النكاية اعداءه

ضعيف النكاية أعداءه أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم ما
توفيقي إلا بالله وما كوني موفقا لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله
إلا بمعونته وتأييده والمعنى أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد
والإظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد
وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته إياه قال شعر جرمت فزارة بعدها
أن يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب
وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي
إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه كذلك
لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما إلا أن
المشهورة أفصح لفظا كما أن كسبته مالا أفصح من أكسبته والمراد بالفصاحة أنه على ألسنة الفصحاء
من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالا وقرئ مثل بالفتح وروي عن نافع مثل
ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله شعر لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت وما قوم لوط
منكم ببعيد يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم أو لا يبعد منكم في الكفر
والمساوي وما يستحق به الهلاك فإن قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله
على اللفظ أو معناه قلت إما أن يراد وما إهلاكهم ببعيد أو وما هم بشيء بعيد أو بزمان
أو مكان بعيد ويجوز أن يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها
على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل
بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول
لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه
أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل
لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول وجعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير
منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل كان ألثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا
عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا و
قيل ضعيفا أعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما تسمي ضريرا وليس بسديد لأن فينا
يأباه ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم و
لذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى التسعة وإنما
قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم
لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما أنت علينا بعزيز أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من
القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني
عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب

علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه
قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم أرهطي أعز عليكم
من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فإن قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه و
أنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله أرهطي أعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون
بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع
الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري
منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس إمسي بما تعملون
محيط قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى
المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى
اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين
لها إني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز أن تكون من استفهامية
معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب
وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب فإن قلت أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت إدخال الفاء وصل ظاهر
بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر
كأنهم قالوا فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء
وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما
الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول
لكم إني معكم رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب
والصارم أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
فإن قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان
القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه
إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا
يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فإن قلت ما بال ساقتي قصة
عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان
بعد ذكر الموعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو
للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المنزلة
وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على
قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل

ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون

واحد منهم بحيث هو فقصا كأن لم يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمائر الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقرأة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد فمثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي محض وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم في النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورود والورد المورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون

وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود

وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران يعني ان محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت ومعنى مجموع له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر والاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف ويرى

يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات و
الأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص

يوم يأت بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء
عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل. فإن قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله تعالى كقوله هل ينظرون إلا أن
يأتيهم الله أو يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما نؤخره بالياء وقوله بإذنه
ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة. فإن قلت بم انتصب الظرف قلت
إما أن ينتصب بلا تكلم وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله إلا لأجل معدود أي ينتهي الأجل يوم يأتي. فإن قلت إذا جعلت الفاعل ضمير
اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد إتيان هوله و
شدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن. فإن قلت كيف يوفق بين
هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون
عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم و
تشهد أرجلهم فمنهم الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله لا تكلم نفس يدل
عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لإساءته والسعيد
الذي وجبت له الجنة لإحسانه وقراءة العامة بفتح الشين وقرأ الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا
والزفير إخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ: بعيد مدى التطريب أول صوته زفير و
يتلوه شهيق محشرج ما دامت السموات والأرض فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة
وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات وقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لأهل الآخرة
مما يقلهم ويظلهم إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثاني أن يكون
عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب و
غير ذلك من كلمات التأبيد. فإن قلت فما معنى الاستثناء في قوله إلا ما شاء ربك وقد ثبت
خلود أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود
في نعيم الجنة وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير و
بأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم و
إهانته إياهم وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعا منهم وهو رضوان
الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما
لا يعرف كنهه إلا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته
إن ربك فعال لما يريد أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا
انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة إن المراد بالا

هود

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب وإن كلا لما
ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت
ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير

خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم
وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وقد بلغني
أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه
والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على أن
نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك
خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب
ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله لهم أجر
غير ممنون لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمته وما أعد لهم من عذابه قال
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء أي فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة
عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا
لهم ثم قال ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت
بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية
وما في مما وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان
ومثل ما يعبدون منها وإنا لموفوهم نصيبهم أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم. فإن
قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل
ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم و
كفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى
أو قومك وهذه من جملة التسلية أيضا وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه يعني وإن كلهم وإن
جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وإن
جميعهم والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وإيمان وجحود وقرئ وإن كلا بالتخفيف على
إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لأصلها الذي هو التثقيل وقرأ أبي وإن كل لما ليوفينهم على أن إن
نافية ولما بمعنى إلا وقراءة عبد الله مفسرة لها وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن
أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وإن كلا ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل
وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون فاستقم كما أمرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة
التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وإنما
جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر و
آمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنه بما تعملون بصير فهو مجازيكم فاتقوه
وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد

ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين

ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال شيبتني سورة هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له قد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيمهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان يسير الغي بدنوك من لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اداناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعنا[ه]

وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمه تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في جمع ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار من الليل وقيل زلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكون لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا التكرير لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال عليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين وكلا نقص عليك

كذبت تركن اليهم **اولوا بقية** اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما
يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم و
به فسر بيت الحماسة **شعر** ان تذنبوا ثم ياتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا و
يجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على
انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه
اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم
اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم **الا قليلا** استثناء
منقطع معناه ولكن قليلا **ممن انجينا** من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن
في ممن انجينا حقها ان يكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله
عز وجل وانجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا **فان قلت** هل لوقوع هذا الاستثناء
متصلا وجه يحمل عليه **قلت** ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون
تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك
القران الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القران وان قلت في
تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا
كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع
على البدل **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا
بما هو ركن عظيم من الاركان وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات و
اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا
ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني
واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في قراءة المشهور انهم اتبعوا جزاء اترافهم
وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر **فان
قلت** علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا **قلت** ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا
على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف
على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع
الذين ظلموا جزاءهم **فان قلت** فقوله وكانوا مجرمين **قلت** على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم
مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا
شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون كان
بمعنى صح واستقام **واللام** لتاكيد النفي **وبظلم** حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك
الله القرى ظالما لها **واهلها قوم مصلحون** تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلح

من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم
انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما
ربك بغافل عما تعملون

الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون
الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** يعني
لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم
امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه
مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك
قال **ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك** الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق
غير مختلفين فيه **ولذلك خلقهم** اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين
والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل
بسوء اختياره **وتمت كلمة ربك** وهي قوله للملائكة **لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين**
لعلمه بكثرة من يختار الباطل **وكلا** التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ **نقص عليك
من انباء الرسل** نبأ بان كلا **وما نثبت به فؤادك** بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص
نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة
يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم **وجاءك في هذه الحق** في
هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق **وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون**
من اهل مكة وغيرهم **اعملوا على مكانتكم** على حالكم وجهتكم التي انتم عليها **انا عاملون وانتظروا** بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم **ولله غيب السموات
والارض** لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه اعمالكم **واليه يرجع الامر كله** فلا بد ان
يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك وكافلك **وما
ربك بغافل عما تعملون** وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب
به وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف ذلك مائة واحدى عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة **والكتاب المبين** السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه
السورة ايات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها
من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم وقد
ابين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف **انا انزلناه** اي الكتاب
الذي فيه قصة يوسف في حال كونه **قرانا عربيا** وسمي بعض القران قرانا لانه في الاصل اسم جنس يقع

نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه
يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين

على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه ولا تلتبس عليكم ولو جعلنا
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص
تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى
مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر في معنى المنبا به والمخبر به ويجوز ان يكون
من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك
احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القران اي بايحائنا اليك هذه السورة على
ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله
بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص كانه قيل
نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص
انه اقتص على ابدع طريق واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي
كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص
المقصوص فمعناه نحن نقص عليك ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر
والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل
هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص اثره
اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا
قراه لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية وان كنت مخففة من الثقيلة واللام هي التي
تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث
كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا
طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان
الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص وباضمار اذكر ويوسف اسم
عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف
فان قلت فما تقول فيمن قرا يوسف بكسر السين ويوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو
عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من اسف وانما منع من الصرف للتعريف
ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية
تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين
منها بوزن المضارع من انس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم
بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات
الثلث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل
على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث

بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت فلم
ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل
واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في اخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء
في قولك يا ابي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال
الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم و
الاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا
لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاء
وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا
ابتي فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة
غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى
قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين
العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة
لانها قرينة الياء ولصيقتها فاذا دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة لغو وجودها كعدمها
قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرا بفتح التاء وضمها قلت اما
من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان
يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد راى اسما في اخره تاء تانيث فاجراه
مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابة كما يقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة
وقرئ اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم
اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر الا اثنا عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية
لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة
لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب
قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن
يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان و
الفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن
من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه
وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا
طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها و
غلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ۝

الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصّها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون **فان قلت** لم اخر الشمس والقمر **قلت** اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر **فان قلت** ما معنى تكرار رايت **قلت** ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلم قال له عند قوله انى رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها فقال رايتهم لى ساجدين **فان قلت** فلم اجريت مجرى العقلاء فى رايتهم لى ساجدين **قلت** لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شايع فى كلامهم ان يلابس الشىء الشىء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلم دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رُيَاك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رُيّاك ورِيّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام فى قولهم اتزر من الازار **فيكيدوا** باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك **فان قلت** هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى **قلت** ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تأكيده بالمصدر **عدو مبين** ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله **وكذلك** ومثل ذلك الاجتباء **يجتبيك ربك** يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك **ويتم نعمته عليك** والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشىء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته **والاحاديث** الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث معانى كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسوله فيقال قال الله تعالى وقال الرسول كذا وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء فى الدنيا ملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى فى الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح

إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝

وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان تسجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل **وآل يعقوب** اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحائك وآل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما فى حكم الاب فى الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة **ابراهيم واسحق** عطف بيان لابويك **ان ربك عليم** يعلم من يحق له الاجتباء **حكيم** لا يتم نعمته الا على من يستحقها **فى يوسف واخوته** اى فى قصتهم وحديثهم **آيات** علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته فى كل شىء **للسائلين** لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبى عليه السلم خبر يوسف وبغى اخوته لما راى من بغى قومه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد واشر والسبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف **ليوسف** اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه **واخوه** هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب فى الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف فاذا اضيف جاز الامران والواو فى ونحن عصبة واو الحال يعنى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما **ان ابانا لفى ضلال مبين** اى فى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن على رض ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانبارى هذا كما تقول العرب انما العامرى عمته اى يتعهد عمته **اقتلوا يوسف** من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين **ارضا** منكورة مجهولة

قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون

بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ من الشغل بيوسف من بعده أي من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا قوما صالحين تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وينتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم وتكونوا إما مجزوم عطف على يخل لكم أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض قال لهم القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب في قعره وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المتنخل الهذلي شعر فإن أنا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة الجب والجب البئر لم تطو لأن الأرض تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله شعر شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض أصابعه إن كنتم فاعلين إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي ما لك لا تأمنا قرئ بإظهار النونين وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدت منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه نرتع نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فإن قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو الابتداء كقوله إن ربك ليحكم بينهم ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر إليهم بشيئين أحدهما أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل اهتمامهم ولم يصدقوا بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذئب بالهمز على الأصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة القسم محذوف وتقديره والله لئن أكله الذئب واللام موطئة للقسم وقوله إنا إذا لخاسرون جواب القسم مجزئ عن جزاء الشرط

قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون

والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خاف من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذا لقوم خاسرون أي هالكون ضعفا وخورا وعجزا أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار وأن يقال خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذن وخسرناها فإن قلت قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذانا صما ولم يعبؤوا به أن يجعلوه مفعول أجمعوا من قولك أجمع الأمر وأزمعه فأجمعوا أمركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بأرض الأردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء فقال يهوذا أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار جرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم صلوات الله عليه إلى إسحق وإسحق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه وأوحينا إليه قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى وقيل كان إذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بأمرهم هذا وإنما أوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره ومعناه لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز أن يتعلق وهم لا يشعرون بقوله وأوحينا على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه

وجاؤا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون

مرهو مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق
باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا و
اصيلانا وروى ابن جني عشا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امرأة
حاكمت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف
يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي
انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال و
التناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير
ننتضل بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة
لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب
او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور
بذاته ونحوه مصراع فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين
ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضي الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري
وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد
اثر في قميصه وروي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على
وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله
قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال
فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه سولت
من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف و
هونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وسلامة القميص او اوحي
اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل
امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والجميل ما جاء في الحديث انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى
فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه
بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل
له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال
يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي المستعان على احتمال ما تصفون من هلاك

وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس
دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا

يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد
ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة
بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا
رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى
نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من اوانك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وهي قراءة
الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعل الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة
للعرب مشهورة وسمعنا اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي
بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف فأدلى
دلوه اي ارسلها في الجب فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا
بشرى هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه الضمير للوارد
واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا
اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام
لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه
متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه
اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء
الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه او الغبينة غبنا ظاهرا او زيفا ناقص العيار دراهم
لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون
ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة تمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت
عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما
طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له
مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه
يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم
فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين
لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا ترى انك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو
بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز
الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات
في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن
سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلثين سنة
وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك
في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل

وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون

فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ أكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا بدليل قوله إنه ربي أحسن مثواي والمراد تفقده بالإحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف أبو مثواكم وأم مثواكم لمن ينزل به من رجل وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى أن ينفعنا لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته أو نتخذه ولدا أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له فتفرس فيه الرشد فقال ذلك قيل أفرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي وروي أنه سأله عن نفسه فأخبر بنسبه فعرفه وكذلك الإشارة إلى ما تقدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف مكنا له أي كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له في أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه ولنعلمه من تأويل الأحاديث كان ذلك الإنجاء والتمكين لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على أمره أي على أمر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي أو على أمر يوسف يدبره ولا يكله إلى غيره فقد أراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراده الله ودبره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيد الله قيل في الأشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون حكما وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس فقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على أنه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه وعن الحسن من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته إياها وغلقت الأبواب قيل كانت سبعة قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهيت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء إذا تهيأ وهيت لك واللام من صلة الفعل وأما في الأصوات فللبيان كأنه قيل لك أقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله أعوذ بالله معاذا إنه الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير أحسن مثواي حين قال لك أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيه إنه

ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين

لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل أراد الزناة لأنهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لأنه مسبب الأسباب ولقد همت به هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال شعر هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أي ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها بمخالطتها لولا أن رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته فإن قلت كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها قلت المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد إليه وكما تقتضيه تلك الحالة التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز أن يريد بقوله وهم بها وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فإن قلت قوله وهم بها داخل تحت القسم في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه قلت الأمران جائزان ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ بقوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمين فإن قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط والشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض وأما حذف بعضها إذا دل الدليل عليه فجائز فإن قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لأن الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا بين اثنين معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة إن منع مانع أحدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان إعماله إلغاء له فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا أنه رأى برهان ربه فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها

وَفُسِّرَ البرهان بانّه سمع صوتًا إيّاكَ وايّاها فلم يكترث فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثّل له يعقوب عاضًّا على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كلّ ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الّا يوسف فانّه وُلد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين همّ وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كفّ فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وانّ عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتّقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبرئيل أدرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحطّ جبرئيل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحيي أن يرانا فقال يوسف استحييتِ ممّن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه ممّا يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم عليه السلام زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أُثني عليه وسُمّي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانّه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأوّلين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجدّه الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدّي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبيّ من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حلّ تكّته للوقوع عليها وفي أن ربّه ناداه ثلاث كرّات وصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه ولا يتحلحل ولا ينتهي ولا يتنبّه حتى يتداركه الله بجبرئيل وباجباره ولو انّ أوقح الزناة وأشطرهم وأحدّهم حدقة وأجلحهم وجها لقي بأدنى ما لقي به نبيّ الله ممّا ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرّك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه كذلك الكاف منصوب المحلّ أي مثل ذلك التثبيت ثبّتناه او مرفوع أي الأمر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيّد والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين أخلصوا

دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدّمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقرئ من عبادنا معناه بعض عبادنا أي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا أخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحّد الباب وقد جمعه في قوله وغلّقت الابواب قلت أراد الباب البرّاني الذي هو المخرج من الدار والمخلص فقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدّت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقدّ أي انشقّ حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه وألفيا سيّدها وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيّدي وقيل انما لم يقل سيّدهما لانّ ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيّدا له على الحقيقة وقيل ألفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عمّ للمرأة لما اطّلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يوانها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا في أن يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مواتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ وما نافية أي ليس جزاؤه الّا السجن ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى أيّ شيء جزاؤه الّا السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرّح في قولها بذكر يوسف وانه أراد بها سوءا قلت قصدت العموم وانّ كلّ من أراد باهلك سوءا فحقّه ان يسجن او يعذّب لان ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما أغرت به وعرّضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عمّ لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيّا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمّي قوله شاهدا وما هو بلفظ الشهادة قلت لما أدّى مؤدّى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمّي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت ان دلّ قدّ قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدّته فمن اين دلّ قدّه من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين أحدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها

إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

تُدِّدَتْ قميصه من قدامه بالدفع والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن أبي إسحق أنه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث وقرئا بسكون العين **فإن قيل** كيف جاز الجمع بين إن الذي هو للاستقبال وبين كان **قلت** لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد ونحو قولك إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسان تريد إن تمتن علي أمتن عليك **فلما رأى** يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها **قال إنه** أي إن قولك ما جزاء من أراد بأهلك سوءا أو إن هذا الأمر وهو طمعها في يوسف **من كيدكن** الخطاب لها ولأمثالها وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم **يوسف** حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **أعرض عن هذا** الأمر واكتمه ولا تحدث به **واستغفري** أنت **لذنبك إنك كنت من الخاطئين** من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ إذا أذنب متعمدا وإنما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا رجلا حليما وروي أنه كان قليل الغيرة **وقال نسوة** وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث وفيه لغتان كسر النون وضمها **في المدينة** في مصر **امرأة العزيز** يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب **فتاها** غلامها يقال فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي **شغفها** خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة **شعر** وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الأصابع وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران **شعر** كما شعف المهنوءة الرجل الطالي وحبا نصب على التمييز **في ضلال مبين** في خطأ وبعد عن طريق الصواب **بمكرهن** باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتتها وسمي الاغتياب مكرا لأنه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها **أرسلت إليهن** دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **واعتدت لهن متكأ** ما يتكئن عليه من نمارق فقصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ

والسكاكين في أيديهن أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهن فيضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمهن أنهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي أن يأكل الرجل متكئا وأنهن أعطين السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل **شعر** فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله **شعر** بمنتزاح بمعنى منتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد **شعر** فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب أترجا وموزا وبطيخا وقيل أعدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه وقرأ الأعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ إذا اتكأ **أكبرنه** أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وقالت لجبرئيل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم قيل كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان أحد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير **شعر** خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق **وقطعن أيديهن** جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها **حاشا** كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد قال **شعر** حاشا أبي ثوبان إن به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على إضافة إلى الله إضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرئ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة أبي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة أبي عمرو حاش لله بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش حشا لله بحذف الألف وقرئ حاش الله بسكون

قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من
الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن

على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده و
قرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله
قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا
عن غير معرب على انه في قوله شعر غدت من عليه تنقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه
الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله فاما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء
فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة
حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز
في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في
الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيهما الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر
من الشيطان ولا اجمع للخير من الملك الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان
على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال
ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها ما هن امهاتهم ومن قرأ
على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ وما هذا بشرى اي حاصل
بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكرا والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف
ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به وربئا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن
عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني
فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به
والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في
الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما
كان من يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به
الهم والبرهان فان قلت الضمير في آمره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما
آمر به فحذف الجار كما في قولك امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه
ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف
اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن
بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها
وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول
السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه
اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده نظرا الى

اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان
قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا
تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين

يوسف

حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا الى مشتهى النفس و
مكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين
فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب
اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها
وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من
لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة
ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني في معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه و
المعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا الآيات و
هي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب
وكان مطواعة لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل
برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان
يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب وما كان ذلك الا باستنزال
المرأة لزوجها خاطبت به العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان
كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي
لغة هذيل وعن عمر رضي انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان
الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة
هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب
ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما
يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية
حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود
اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض اهل السجن
رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم
او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد
في تأويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له
وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان
لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في
جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم
فقال له عامل السجن لو استطعت لخليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ٥

السجن سنتت وروي أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك فقال أنشدكما بالله أن لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي إني أراني في بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهش منها **فإن قلت** إلام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله **قلت** إلى ما قص عليه والضمير يجري مجرى اسم الإشارة في نحو كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترض ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولاً ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية **بتأويله** ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه **ذلكما** إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات **مما علمني ربي** وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجم **إني تركت** يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ وأن يكون تعليلاً لما قبله أي علمني ذلك وأوحى به إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة وأن غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مُني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه إلا من كان شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله **ما كان لنا** ما صح لنا معشر الأنبياء **أن نشرك بالله** أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلاً أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر ثم قال **ذلك** التوحيد **من فضل الله علينا وعلى الناس** أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه **ولكن أكثر الناس** المبعوث إليهم **لا يشكرون** فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل ذلك

ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير

الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعاً لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين **يا صاحبي السجن** يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إليه كما تقول يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب إنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك ويجوز أن يريد يا ساكني السجن كقوله أصحاب النار وأصحاب الجنة **أأرباب متفرقون** يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أن يكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام **ما تعبدون** خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر **أسماء سميتموها** يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيداً **ما أنزل الله بها** أي بتسميتها **من سلطان** من حجة **إن الحكم** في أمر العبادة والدين **إلا لله** ثم بين ما حكم به فقال **أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم** الثابت الذي دلت عليه البراهين **أما أحدكما** يريد الشرابي **فيسقي ربه** سيده وقرأ عكرمة فيُسقى ربه أي يُسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي أنه قال للأول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل **قضي الأمر** قطع وتم ما **تستفتيان** فيه من أمركما وشأنكما **فإن قلت** ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد **قلت** المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما **قضي الأمر الذي فيه تستفتيان** أي ما يجر إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئاً على ما روي أنهما تحالما له فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما **ظن أنه ناج** الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريقة الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي أو يكون الظن بمعنى اليقين **اذكرني عند ربك** صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة **فأنساه الشيطان** فأنسى الشرابي **ذكر ربه** أن يذكره لربه وقيل فأنسي يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره **بضع سنين** البضع ما بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين **فإن قلت** كيف يقدر الشيطان على الإنساء **قلت** يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزول عن قلبه ذكره وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها **فإن قلت** ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول **قلت** قد لابسه

وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون

في قولك فانساه الشيطان ذكر لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون
بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار
فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث ان
الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا
فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذه النوم
ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل
التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا
خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما
اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن و
الاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان
المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب لغيثه لما
استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما
دنا فرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع
سمين وسمينة وكذلك يقال رجال ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة
للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها
صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت
المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس و
العجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت
الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها
ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذلك مما يشكل وما
نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت
ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف
عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف
جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم

قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ٥

حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل
الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز
ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع و
هو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكور ولفظ
الاخر يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح
لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود
فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان
من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان يكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه
فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة و
يجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا فيه
وتعبرون خبر آخر او حال وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا
قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها و
عبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير
والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب شعر رأيت رؤيا ثم
عبرتها وكنت للاحلام عبارا اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من
حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث
فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما
هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس الخز لمن لا يركب
الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم
بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها
وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا
ليس لها عندنا تأويل فان التأويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم
وانهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير وادكر بالدال هو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال اي
تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهده منه بعد امة بعد مدة طويلة و
ذلك حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر
الهمزة والامة النعمة قال عدي شعر ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور اي

وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة

انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون

بعد ما انعم عليهم بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرا بسكون الميم فقد خطا انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا اتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدابون دابا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبئون يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها ومنه قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف

وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين

التهم ومنه قال رسول الله للمارين به وهو في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز الان حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال شعر فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم

رحمه ربي بالعصمة كالملئكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة ربي بالعصمة
يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله
اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه
ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة
فاني قد خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد
الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف
ان ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام
يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ
من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام
فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل
بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان
يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين
حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه اذا
جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم
لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من
السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في
الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال
لسان ابائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني
احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصفهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام
في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك
قال اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه
عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه و
انما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء
الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك
والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله

وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم

من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره و
طاعته قلت روي عن مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من
يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم
انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان
الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى وكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك
التمكين الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء
قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها
تحت ملكه وسلطانه روي ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من
ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به
امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال فقد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك
فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل
بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام
بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع
والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم فقال للملك كيف
رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت
اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع احدا من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين
الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا و
احتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة
ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان نأجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفين بن
عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من
خلاق وتلا هذه الاية لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابهم
عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه
عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك
مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون
عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما
راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم
وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن و
عن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه

فَاِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ اَبَاهُ وَاِنَّا لَفَاعِلُونَ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا اِذَا انْقَلَبُوا اِلَى اَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَمَّا رَجَعُوا اِلَى اَبِيهِمْ قَالُوا يَا اَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَاَرْسِلْ مَعَنَا اَخَانَا نَكْتَلْ وَاِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ اِلَّا كَمَا اَمِنْتُكُمْ عَلَى اَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللّٰهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ اِلَيْهِمْ قَالُوا يَا اَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ اِلَيْنَا وَنَمِيرُ اَهْلَنَا وَنَحْفَظُ اَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ

بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم** لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكرتكم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال واين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم **ولا تقربون** فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي **سنراود عنه اباه** سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده **وانا لفاعلون** وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى **لفتيانه** وقرئ لفتيته وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين **اذا انقلبوا الى اهلهم** وفرغوا ظروفهم **لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها **منع منا الكيل** يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل **نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **هل امنكم** يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال **فالله خير حافظا** فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين فارجوا ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد **ما نبغي** للنفي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك والرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا
مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة
موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها
ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب اخينا
وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع
ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فان قلت هذا
اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا
ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما
نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك
وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى
وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا
مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون
في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعني
ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء
قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام
يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم
من الحالي وقد رأيت منكم ما رأيت ارساله حتى تؤتون موثقا من الله حتى تؤتوني ما اتوثق به من
عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد
وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الا
ستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو
استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله
بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك
الا الفعل على ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد
لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد كان اشهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة
التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع و
يقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك
وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة
امرهم في الصدر ويصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ
أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ
وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ
فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

معمور بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله تعالى عند
النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا
لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما
قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ
الحسن والحسين فيقول اعوذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني
عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق
وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان
يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة
اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا
حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما
قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر
آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين روي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم
وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين
وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه
على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم
من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن
لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا
تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم
بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال انا اخوك بدل اخيك المفقود ولا تبتئس
بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت
اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل
قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا
لي ردك بعد تسريحك معهم قال فافعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك
ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا
يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة
مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد
يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف
حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها

تعير

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ
شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ه

تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل
كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن
مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل
اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا
وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا
به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من
طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا
بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا
وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا
بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية
لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه
قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل
يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق
نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه او فهو حقه لتقرر
ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة
الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك
من اخو زيد فيقول له اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول
فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا
بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن
قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم
فانصرف بهم الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما
اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه
منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو
همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع
لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من
الكلام سقاية وفيما يتصل بهم صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه
واوحينا اليه ما كان لياخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما
كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان
ياخذه الا بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف وقرئ يرفع

قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا
عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل
ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم وفوقه ارفع درجة منه في علمه او فوق
العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا
فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب
وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في
الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك
القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا
على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى
مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا
يحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص
من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها
سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا اخ له ارادوا
يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم حياء واقبلوا عليه
وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء
متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه
ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف
من السرقة فقيل كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل
دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق
او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابرهيم منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق
ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر
عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه
وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه
لي سلم افعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها اضمار على شريطة التفسير
تفسيره انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا
لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول
او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم
من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون
استعطفوه بذكرهم اباه حتى ابنهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيا

ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها
والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه

احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه
فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان والاستعباد انا نريك من المحسنين الينا
فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه
ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو اخذنا غيره كان
ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه
لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي و
معاذ الله ان نأخذ نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من اذن جوا
بهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في
استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه
نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر
منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال الشاعر
اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي
نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم
فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون
وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن
وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه
وجوه ان تكون صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية
على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف
او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل
في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية
العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي
في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا
عليه الا بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا
وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به
كما اصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر
الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل
الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم

انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل وغيرهم انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفا اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون انهم يحسنون صنعا من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا شعر ولم ينسني اوفى المصيبات بعده ولكن نكاء القرح بالقرح اوجع ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده وكان الاسف عليه اسفا على من لحق به عليه السلم من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمل صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم فهو مملو من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه شعر فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتؤ والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس شعر فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوها دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا

قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو بثي لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى الله داعيا له ملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتوليت عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وقيل رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بضمتين قتادة فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب منه قالوا المشاعر لانها الحواس والجواس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا يؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتصدق علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبيا

فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله

ما أوطأها وأسمجها ولله حصى عقولهم ما أرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة روي أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه ارفضت عيناه ثم قال لهذا القول وقيل أدوا إليه كتاب يعقوب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبروا كما صبروا تظفروا كما ظفروا فإن قلت ما فعلهم بأخيه قلت تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحدا منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى قرئ أئنك على الاستفهام وإنك على الإيجاب وفي قراءة أبي أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فإن قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كان ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فإن قلت سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه قلت لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فإن الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجه فإن قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار أو بيغفر والمعنى لا أثربكم اليوم وهو اليوم

علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا

يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين

الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروي أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم اذهبوا بقميصي قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي يأت بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا أو يأت إلي وهو بصير وينصره قوله وأتوني بأهلكم أجمعين أي يأتني أبي ويأتيني أهله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال أنا أحزنته بحمل القميص ملطخا بالدم إليه فأفرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر قال لولده ومن حوله من قومه إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانين فرسخا والتفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد مات ألقاه طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه ألم أقل لكم يعني قوله إني لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله إني أعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وروي أنه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة سوف أستغفر لكم قيل أخر الاستغفار إلى وقت السحر وقيل إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها وقيل أراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى الله إليه إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروي أنهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا
وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد
أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن
ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم

فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل إن يوسف قال له لما التقيا يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وستون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن إسحق كانت أمه تحيا وقيل هما أبوه وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أما لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق فإن قلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين فلما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين سجدا ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة قلت بالدخول مكيفا بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال الشاعر أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة من البدو من البادية لأنهم كانوا

رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني
بالصالحين ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم
معرضون

أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ أفسد بيننا وأغرى فأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب روي أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط مني إليه فسله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه في الشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له إفرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من في من الملك ومن في تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت وليي أي أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام تختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنيا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر السموات قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لا يحصل إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر كقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه فإذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جملة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرون أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون

وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من
عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة
خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان

الخالية نحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما
أكثر الناس يريد العموم ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت
وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة
وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار إن هو إلا ذكر موعظة من الله للعالمين عامة وحث على
طلب النجاة على لسان رسول من رسله وكأين من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون
عليها ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها
خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطئون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون
عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن أكثرهم في إقرارهم بالله
وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان
وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل
الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران
ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله أدعو إلى الله على بصيرة أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء و
أنا تأكيد للمستتر في أدعو ومن اتبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن
يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة
وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني وسبحان
الله وأنزهه عن الشركاء إلا رجالا لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة و
عن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة شعر ولم تزل أنبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي
بالنون من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة
ولدار الساعة أو الحال الآخرة خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا
تعقلون بالتاء والياء حتى متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون
أو رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر
من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا
جاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم
الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فإن صح
هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على
ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله
الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا
أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم
استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل
فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات
وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون

فيه وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصر عليهم وقرأ
مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة
إما على تأويل ابن عباس وإما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم إنكم قد كذبتمونا فيكونون
كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن
الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ فنجي بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجي على لفظ
الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء
نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره
قراءة من قرأ قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع إلى يوسف وإخوته فإن قلت فإلام يرجع الضمير في ما كان
حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر قلت إلى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي
بين يديه أي قبله من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي تستند
إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان
وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم
سورة يوسف فأيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك

إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها
ثم قال والذي أنزل إليك من ربك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول
الأنمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ والذي خبره بدليل قوله وهو الذي
مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر
الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد و
يعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عمد بضمتين يدبر أمر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات في كتبه المنزلة لعلكم
بلقاء ربكم توقنون بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه وقرأ الحسن ندبر بالنون جعل فيها
زوجين اثنين خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت
وقيل أراد بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعدما كان أبيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد قطع
متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة
وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية وذلك دليل على
قادر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه
القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال و

أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار

الالوان والطعوم والروايح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وفي ي جنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات فزرع وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات وصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وهي النخلة لها راسان وفي ي بالضم والكسر لغة اهل الحجاز وبالضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالياء والتاء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها فان تعجب يا محمد من قولهم في انكارهم البعث فقولهم عجب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب أئذا كنا ترابا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذ انتصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وصفهم بالاصرار كقوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك لانهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها يقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وفي المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما أنت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سوى في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي كل شيء عنده بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح تقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله لوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات ٣٠٦
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا

قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولكن لهاد لما ارادفه من ذكر اثبات علمه وتقدير الاشياء على قضايا حكمته اذ اعطاء كل منذر آيات تخالف آيات غيره مدبر بالعلم التام مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا او مصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دلّ به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغير الله **يعلم** يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل **الله يعلم ما تحمل كل انثى** وما في ما تحمل **وما تغيض الارحام وما تزداد** اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما ينقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وروي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن سنان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام **بمقدار** بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر **الكبير** العظيم الشان الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته والذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها **سارب** اي ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل اي في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد **فان قلت** كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله شعر نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في **له** مردود على من كانه قيل سواء منكم لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب **معقبات** جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به وهو مفتعلات من عقبه اذا جاء

هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه

على عقبه كما يقال قفاه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من أمر الله هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أي من أجل أن الله أمرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بأمر الله أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكسير إن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف وطمع أو على معنى إخافة وإطماعا ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أو من المخاطبين أي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث وقال أبو الطيب شعر فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيى به السحاب اسم الجنس والواحد سحابة الثقال جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أي يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي عليه السلام سبحان من سبحت له وإذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وآله عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين وفد عليه مع عامر

وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا

بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرني عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان ومنه الحديث فلا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الأعشى شعر فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالا إذا احتال ومنه أحول من ذئب أي أشد حيلة ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع مما يعجز عنه غيره ألا ترى إلى قولهم فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيه وجهان أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله إن كان مصلحة له فكانت دعوته ملابسة للحق لكونه حقيقا بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع ويجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق فإن قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحلول محاله بهم وإجابة دعوة الرسول إن دعا عليهم فيهم والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه إلا في ضلال إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم ولله يسجد أي ينقادون لإحداث ما أراده فيهم شاؤوا أو أبوا لا يقدرون أن يمتنعوا عليه وتنقاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال من آصلوا إذا دخلوا في الأصيل قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول فيحكي

قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو
الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد
مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين

تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم تقول له فقد لزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان
يكون هذا القول تلقينا اى ان كعّوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه
أفاتخذتم من دونه أولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء
فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون لغيرهم
وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى
الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق
الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا
العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا
له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه
الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الغنا وهو
الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق
واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء
الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون
به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه
الباس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منابعه
ويبقى تارة في العيون والآبار والجبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر
تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن
المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت لم
نكرت الاودية قلت لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية
الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله تعالى بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله انه
نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق
فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف
فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه
جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز
فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه
التهاون به كما هو هجيرى الملوك ونحو ما جاء في ذكر الآجر فاوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء
الغاية اى ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبدا رابيا اى منتفخا

وماواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا
الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

على وجه السيل جفاء يجفؤه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي
قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار ويروى يوقدون
بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين
استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين الحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند
قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى
لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه
وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم
لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا
الالباب اى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا فاستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ
اولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه اولئك لهم اللعنة ويجوز
ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على
انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر
الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب
عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم
وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب
حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان
قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء
اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف
ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع و
لئلا يشمت به الاعداء كقوله شعر وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت
كقوله شعر ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن
ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من
الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض
لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع ويقول الذين كفروا لولا
أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب
الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك

من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان إذا أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها
التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها جنات عدن بدل من عقبى وقرئ فنعم بفتح النون
والأصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على
البناء للمفعول وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح اعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت
من الأعمال الصالحة من آبائهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم سلام عليكم
في موضع الحال لأن المعنى قائلين سلام أو مسلمين فإن قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف
تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه
هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله شعر بما قد أرى فيها
أوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز أن يتعلق بسلام أي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد
ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا
لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق أي الله وحده
هو يبسط الرزق وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي
عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات
أو شربة من سويق ونحو ذلك فإن قلت كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل
من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا
بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وما
أشد تصميمكم على الكفر إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر
فلا سبيل إلى اهتدائكم وإن أنزلت كل آية ويهدي إليه من كان على خلاف صفتكم أناب أقبل إلى الحق وحقيقته
دخل في نوبة الخير الذين آمنوا بدل من أناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق و
الاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أو تطمئن بذكره لأنه الدالة على وحدانيته
أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره
ويجوز أن يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف أي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى
مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب أو الرفع كقولك
طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك
على محلها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن

أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

وموسر وفراء مكونة الأعراب تطيبهم بكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك أرسلناك
مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله
فقال في أمة قد خلت من قبلها أمم أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت آخر النبيين
لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك وحالهم أنهم يكفرون بالرحمن بالبليغ
الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا
القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في
نصرتي عليكم وإليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما تقول
لغلامك لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت
وزلزلت عن مضاجعها أو قطعت به الأرض حتى تتصدع وتتزايل قطعا أو كلم به الموتى فتسمع وتجيب
لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك من
إرادة تعظيم ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال
وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا ولما تنبهوا عليه كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية وقيل
إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها
البساتين والقطائع كما سخرت لداود إن كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا
الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز البعيدة كما سخرت لسليمان
وابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا
قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا
سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الأرض شققت فجعلت أنهارا
وعيونا بل لله الأمر جميعا فيه معنيان أحدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو القادر على الآيات التي اقترحوها
إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا
أنه بنى أمر التكليف على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة
الإلجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل
اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى
الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي شعر أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني
ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه أن عليا رض وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا
أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه
مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى هذا حتى يبقى ثابتا
بين دفتي الإمام وكان متقلبا في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون

ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين

عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء الله بآمنوا على أو لم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم **تصيبهم بما صنعوا** من كفرهم وسوء أعمالهم **قارعة** داهية تقرعهم مما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في انفسهم واولادهم واموالهم **أو تحل** القارعة **قريبا** منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها **حتى يأتي وعد الله** وهو موتهم او القيمة وقيل ولا يزال الكفار من مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم وتحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء والامهال ان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له **أفمن هو قائم** احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني ان الله الذي هو قائم رقيب **على كل نفس** صالحة او طالحة **بما كسبت** يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان تقدر ما يقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه **وجعلوا** وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا له ندا وهو الله الذي يستحق العبادة **شركاء قل سموهم** اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وتنبئوه باسمائهم ثم قال **أم تنبئونه** على أم المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء **لا يعلم في الأرض** وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض **أم بظاهر من القول** بل انسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف **مكرهم** كيدهم للاسلام بشركهم **وصدوا** وقرئ بالحركات الثلث وقرئ ابن اسحق وصد بالتنوين **ومن يضلل الله** ومن يخذله العلمه انه لا يهتدي **فما له من هاد** فما له احد يقدر على هدايته **لهم عذاب في الحيوة الدنيا** وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن فلا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا **وما لهم من الله من واق** وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته **مثل الجنة** صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقال الخبر **تجري من تحتها الأنهار** كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها **أكلها دائم** لقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة **وظلها**

وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها

دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا من الشمس **والذين آتيناهم الكتاب** يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بارض الحبشة هؤلاء **يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب** يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما **من ينكر بعضه** لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع **فإن قلت** كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله **قلت** هو جواب المنكرين قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به وانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به **إليه أدعو** خصوصا لا ادعو الى غيره **وإليه** لا الى غيره **مرجعي** وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم **وكذلك أنزلناه** ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء **حكما عربيا** حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال **كانوا** يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعدما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان **وكانوا** يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات الله برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم **يمحو الله** ينسخ ما يستصوب نسخه **ويثبت** بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر الكافرين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال **وعنده أم الكتاب** اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب وقرئ ويثبت **وإما نرينك** وكيفما دارت الاحوال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب **وعلينا** لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم **أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك

والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

من آيات النصرة والغلبة ونحوه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر فلا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد شعر طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره قال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع عنده فيها صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم اثنتان وخمسون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد

العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم بالثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون واويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال شعر اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس كافة قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة وان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم الحجة فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي عن التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد وكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم انتشر عنهم قامت التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع كثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم لكان معجزا ولكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى قوله بلسان

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وآله ورووه عن الضحاك ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد **فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لا يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان **وهو العزيز** فلا يغلب على مشيئته **الحكيم** فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف **ان اخرج** بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلنا وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج **وذكرهم بايام الله** وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رض نعمائه وبلائه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون **لكل صبار شكور** يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم **اذ انجاكم** ظرف للنعمة بمعنى الانعام اى انعامه عليكم ذلك الوقت فان **قلت** هل يجوز ان ينتصب بعليكم **قلت** لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه وان كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال **فان قلت** في سورة البقرة يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق **قلت** الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر **فان قلت** كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم **قلت** تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والنقمة جميعا قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفي الشعر جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو **واذ تأذن ربكم** من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله

وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن اذن ونظير تأذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تأذن ربكم فقال **لئن شكرتم** واجرى تأذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم **لئن شكرتم** اى لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح **لازيدنكم** نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم **ولئن كفرتم** وغمطتم ما انعمت به عليكم **ان عذابي لشديد** لمن كفر نعمتي **وقال موسى ان تكفروا انتم** يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله **غني** عن شكركم **حميد** مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون **والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله** جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله عن العباد **فردوا ايديهم في افواههم** فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم **انا كفرنا بما ارسلتم به** اى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اى ردوا نعم الانبياء التي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل **مما تدعوننا اليه** من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون **مريب** موقع في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر **أفي الله شك** ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم** اى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال الشاعر دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور **فان قلت** ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم **قلت** ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لكم ما بينهم

وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت

وبين الله بحاله فيما بينهم وبين العباد من المظالم **ويؤخركم إلى أجل مسمى** إلى وقت سماه الله وبين مقداره ويبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت **إن أنتم** ما أنتم **إلا بشر مثلنا** لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهي الملائكة **بسلطان مبين** بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا **إن نحن إلا بشر مثلكم** تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم **ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم **إلا بإذن الله** أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحوها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة الله **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى إلى قوله **وما لنا ألا نتوكل على الله** ومعناه أي عذر لنا في أن لا نتوكل على الله **وقد هدانا** وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين **فإن قلت** كيف كرر الأمر بالتوكل **قلت** الأول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم **لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا** ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك **فإن قلت** كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها **قلت** معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفتها عادة لا يكلمني ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد **لنهلكن الظالمين** حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم ونحوه قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله **ذلك** إشارة إلى ما قضى الله به من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق **لمن خاف مقامي** موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين **واستفتحوا** واستنصروا الله

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم

على أعدائهم أو استفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى إليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الأمر وعطفه على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا **وخاب كل جبار عنيد** معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل استفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه **من ورائه** من بين يديه قال الشاعر عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف **فإن قلت** علام عطف ويسقى **قلت** على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد ما يلقى فخص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت **فإن قلت** ما وجه قوله من صديد **قلت** صديد عطف بيان للماء ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار **يتجرعه** يتكلف جرعه **ولا يكاد يسيغه** دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها **ويأتيه الموت من كل مكان** كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله وقيل من أصل كل شعرة **ومن ورائه** من بين يديه **عذاب غليظ** أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر الله سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه من أمر آخر وهو صديد أهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم **مثل الذين كفروا** مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله **أعمالهم كرماد** جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد ويجوز أن يكون المعنى مثل أعمال الذين كفروا وهذه الجملة خبر للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول ويكون أعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل أعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح **في يوم عاصف** جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة أي ساكنة وإنما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للأضياف وإغاثة الملهوفين وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف **لا يقدرون** يوم القيامة **مما كسبوا** من أعمالهم **على شيء ذلك هو الضلال البعيد** إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ

عن الثواب **بالحق** بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات **ان يشأ يذهبكم** اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وعلى جنس ضده **وما ذلك على الله بعزيز** بمتعذر وهو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال وعظم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء **وبرزوا لله جميعا** ويبرزون يوم القيمة وانما جيء بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خفي على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله **فان قلت** لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة **قلت** كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام **والذين استكبروا** ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم **تبعا** تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب او ذي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا **فان قلت** اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء **قلت** الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله **فان قلت** فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم **قلت** الذي قال لهم الضعفؤا كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله تعالى عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولون في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله اي لو اغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة **سواء علينا اجزعنا ام صبرنا** مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة

وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا **فان قلت** كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله **قلت** اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم واجتنبنا كم اتبعوه اقنطوا من النجاة فقالوا **ما لنا من محيص** منجا ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد **لما قضي الامر** لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك **ان الله وعدكم وعد الحق** وهو الوعد بالجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم **ووعدتكم** خلاف ذلك **فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان** من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها **الا ان دعوتكم** الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب **فلا تلوموني ولوموا انفسكم** حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قد قضى عليكم الكفر واجبركم عليه **فان قلت** قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به **قلت** لو كان هذا القول منه باطلا لبينه الله تعالى وابطله واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين **ما انا بمصرخكم** لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول **شعر** قال لها هل لك يا تا في * قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء **فان قلت** جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل **قلت** هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات **بما اشركتمون** ما مصدرية **ومن قبل** متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين

ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب
الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فإذا نقلته بالهمزة قلت أشركته
فلانا أي جعلته له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله
طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين
قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله تعالى ما سيقوله في ذلك الوقت
ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا
في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ
فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن وعمرو
بن عبيد رحمة الله عليهما وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وأدخلهم أنا وهذا دليل
على أنه من قول الله لا من قول إبليس بإذن ربهم متعلق بأدخل أي أدخلتهم الملائكة الجنة
بإذن الله وأمره فإن قلت بم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم
كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم
فيها سلام بإذن ربهم يعني أن الملائكة يحيونهم بإذن ربهم وقرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ
من يتق وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه كلمة طيبة نصب بمضمر أي
جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الأمير زيدا كساه حلة وحمله
على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا وكلمة بضرب أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة
طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة أصلها ثابت يعني في الأرض ضارب
بعروقه فيها وفرعها وأعلاها ورأسها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ
الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها فإن قلت أي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة
أقوى معنى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى
معنى من مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا الرجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد
وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس
شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان
وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذات يوم إن الله ضرب مثل المؤمن
شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر فاستحييت فقال
لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ألا إنها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم
يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي أكلها كل حين تعطي
ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها بإذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لأن

ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار
وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار

في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها
وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة
وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت
من فوق الأرض ما لها من قرار في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت
وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها ما لها من قرار أي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك
ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل
عن قريب لبطلانه من قولهم الحق أبلج والباطل لجلج وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء
ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلا أن تلزم عنق
صاحبها حتى يوافي بها القيامة القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه
فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين
فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس و
شمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم و
دينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن
البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي
الله وديني الإسلام ومحمد نبيي فيناديه مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وإنما اقتصروا
على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإضلالهم في الدنيا
أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأزل ويفعل الله
ما يشاء أي ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم بدلوا
نعمة الله أي شكر نعمة الله كفرا لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى
الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب
موضعه ووجه آخر وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفرا على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة
موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته
وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم أو أصابهم الله بالنعم
في الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة
وكذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في أعناقهم وعن عمر
الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ

فَتَمَتَّعُوا حِينَ وَقْتَلَهُمْ منصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ممن تابعهم على الكفر دَارَ الْبَوَارِ دار الهلاك وعطف جهنم على البوار عطف بيان قرئ لِيُضِلُّوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام فان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تَمَتَّعُوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة فالمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اقيموا وانفقوا يُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُنْفِقُوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب الخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع اللّٰهُ مبتدأ والذي خلق خبره و مِنَ الثَّمَرَاتِ بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بِأَمْرِهِ بقوله كن دَائِبَيْنِ يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كلٍّ بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لَا تُحْصُوهَا لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ

يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله لَظَلُومٌ كَفَّارٌ يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هٰذَا الْبَلَدَ يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمِنًا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا وَاجْنُبْنِي وقرئ واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنّبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وَبَنِيَّ اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت لهم حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فاعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكأنهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فَمَنْ تَبِعَنِي على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فَإِنَّهُ مِنِّي اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك مِنْ ذُرِّيَّتِي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بِوَادٍ هو وادي مكة غَيْرِ ذِي زَرْعٍ لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محرم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما

وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب

نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها فى الاية ليتنا ولـ بعض الافئدة وقرئ افئدة بوزن عافدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم آدر فى ادور والثانى ان يكون اسم فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان يخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد **تهوى اليهم** تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله شعر يهوى مخارمها هوى الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته **وارزقهم من الثمرات** مع سكناهم واديا ما فيه شئ منها بان تجلب اليهم من البلاد **لعلهم يشكرون** النعمة فى ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لاجرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفى اى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التى يريكها الله بواد غير ذى زرع وهى اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله **انك تعلم ما نخفى وما نعلن** تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا وانصح لنا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعض انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى تركتنا الى كاف **وما يخفى على الله من شئ** من كلامه عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعنى وما يخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شئ فى كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شئ ما وعلى فى قوله **على الكبر** بمعنى مع كقوله شعر انى على ما ترين من كبرى اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وانا كبير وفى حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة

ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء

واثنتى عشرة سنة وقد روى انه ولد اسمعيل لاربع وستين واسحق لسبعين وعن سعيد بن جبير ولد لابرهيم بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من اجل النعم واحلاها فى نفس الظافر ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابرهيم **ان ربى لسميع الدعاء** كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به من اجابته **فان قلت** الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه **قلت** هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفى الحديث ما اذن الله لشئ كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن **فان قلت** ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء **قلت** اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله **ومن ذريتى** وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون فى ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدى الظالمين **وتقبل دعائى** اى عبادتى واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفى قراءة ابى ولابوى وقراءة سعيد بن جبير ولوالدى على الافراد يعنى اباه وقرأ الحسن بن على ولولدى يعنى اسمعيل واسحق وقرئ لولدى بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد فى اسد وفى بعض المصاحف ولذريتى **فان قلت** كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين **قلت** هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقيل نشرط الاسلام وياباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم **يوم يقوم الحساب** اى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل فى ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا انى اسكنت الاية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم **فان قلت** يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا **قلت** ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء فى الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثانى ان المراد بالنهى عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم

وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ

بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اى ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم هواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير شعر من الظلمان جؤجؤه هواء وذلك لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان شعر فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذرهم وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويوم موتهم معذبين لشدة السكرات ولقاء الملئكة بلا بشرى وانهم يسئلون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا ما لكم جواب للقسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين بسيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم

واقام فيها لكنه لما نقل الى سكن خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكن من السكون اى قروا فيها صح

الذي

الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اى وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد شعر وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض ومع الشياطين وقرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اى يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل شعر وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى

وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار
ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد
وليذكر اولوا الالباب ٥

سورة الحجر

الابل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحرّه وحدّته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن
شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود
اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران
وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه
ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع
نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر
النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره **وتغشى وجوههم النار** كقوله افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في
ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى
وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل **ليجزي الله كل نفس** مجرمة **ما كسبت**
او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين باجرامهم علم انه يثيب المطيعين
لطاعتهم **هذا بلاغ للناس** كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا
تحسبن الى قوله سريع الحساب **ولينذروا به** معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا
به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له **وليعلموا انما
هو اله واحد** لانهم اذا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد **سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم
والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين وقرئ ربما وربتما بالتشديد وربما
وربتما بالضم والفتح مع التخفيف **فان قلت** لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي
قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود **فان قلت**
متى تكون ودادتهم **قلت** عند الموت ويوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا
رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب الودادة **فان قلت** فما معنى التقليل **قلت** هو وارد
على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون
في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق
عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون
من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون

مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة و**لو كانوا مسلمين** حكاية ودادتهم
وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن
ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم
افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل **ذرهم** يعني اقطع طمعك من ارعوائهم
ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم **يأكلوا ويتمتعوا** بدنياهم و
تنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا الا
الا خيرا **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا
ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل
الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في
تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار و
اعذار منه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين **ولها كتاب**
جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه
ثوب وجاءني وعليه ثوب **كتاب معلوم** مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في اللوح
وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها
آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم قرأ الاعمش يا ايها الذي
القي اليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم
مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد
كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر **لو** ركبت
مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع
وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى
هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا وهلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم
المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون
ونصب الملائكة **الا بالحق** الا تنزيلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم
ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب و**اذن** جواب وجزاء

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين و
حفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي

وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملئكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم **انا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبرئيل الى محمد ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظ في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه **فان قلت** فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون **قلت** قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده اية لانه لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك **في شيع الاولين** في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم **وما يأتيهم** حكاية حال ماضية لان ما لا يدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر **في قلوب المجرمين** على معنى انه نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله **لا يؤمنون به** النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه **سنة الاولين** طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقرئ **يعرجون** بالضم والكسر **سكرت** حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له وقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملئكة اي لو اريناهم الملئكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار **الا من استرق السمع** في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها **شهاب مبين** ظاهر للمبصرين **موزون** يوزن بميزان الحكمة ويقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها **معايش** بياء صريحة

والاستثناء منقطع اي لكن من استرق السمع او في محل الجر بدل من كل شيطان

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له
بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم
عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم

بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمز او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه **ومن لستم له برازقين** عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد به العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو يرزقهم واياكم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رزقه وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور **لواقح** فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس **فاسقيناكموه** فجعلناه لكم سقيا **وما انتم له بخازنين** نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم **ونحن الوارثون** اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله عليه السلام في دعائه واجعله الوارث منا **ولقد علمنا** من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين ومن خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت **هو يحشرهم** اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم **انه حكيم عليم** باهر الحكمة واسع العلم كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء **الصلصال** الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن **والحمأ** الطين الاسود المتغير **والمسنون** المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة الانسان كما تفرغ الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا **من حمأ** صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر **والجان** للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن **من نار السموم** من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان **وإذ قال ربك** واذكر وقت قوله **سويته** عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى **ونفخت فيه من روحي** وأحييته وليس ثمّ نافخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا **أبى** استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس أبى حرف الجر مع أن محذوف وتقديره ما لك في **أن لا تكون مع الساجدين** بمعنى أي غرض لك في إبائك السجود وأي داع لك اليه **اللام** في لأسجد لتأكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل أن أسجد لبشر **رجيم** شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة أو الى السماء أو الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التأبيد واما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والارض **الى يوم الدين** من غير أن تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسي اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب الى ذلك وأنظر الى آخر أيام التكليف **بما أغويتني** الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن والمعنى أقسم باغوائك اياي لأزينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما أغويتني لأزينن قوله فبعزتك لأغوينهم في أنه اقسام الا أنه أحدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز أن لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم **في الارض** في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له للأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الارض أقدر أو أراد لأجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولأوقعن تزييني فيها أي لأزيننها في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه شعر: يجرح في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه أي هذا طريق حق علي أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان

قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ

على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علىٌّ وهو من علوّ الشرف والفضل لموعدهم الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جُزٌ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جُزٌّ بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاء كقولك خَبٌ في خَبْءٍ ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجلّ ثم اجرى الوقف مجرى الوصل المتقين على الاطلاق من تتقى ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن أُدْخِلُوهَا بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملئكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيّب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمن وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا امّ لك وقيل معناه طهّر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادّ والتحابّ واخوانا نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احلّ من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجَل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نَبْشُرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وا انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة

ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ

فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون واتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء

اى بشرناك باليقين الذى لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هى حق وهى قول الله ووعده فانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرونّ بادغام نون الجمع ونون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات الثلث فى النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعنى لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى اجراها الله فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير فى مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت هل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى قوم مجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى فى انه فى معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال وعلى ان الملئكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا كما فى الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم عليه السلم قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء استثنى من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء فى شئ لان الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته لما اتحد الحكم فى قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفى قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما فى الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله افعال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملئكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذى ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف **منكرون** اى تنكركم نفسى وتنفر منكم فاخاف ان تطرقونى بشر بدليل قوله **بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك و

تشفيك

قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين

وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه يكذبونك **بالحق** باليقين من عذابهم **وانا لصادقون** فى الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع فى آخر الليل قال شعر افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما يمضى شئ صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد فى شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات فى تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذى يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذى يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوى اليه اخادعه كما قال شعر تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لان من يلتفت لا بد له فى ذلك من ادنى وقفة **حيث تؤمرون** قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم الى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرونه وعدى **قضينا** بالى لانه ضمن معنى واوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله **ان دابر هؤلاء مقطوع** وفى ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستيناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفى قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد **اهل المدينة** اهل سدوم الذى ضرب بقاضيها المثل فى الجور مستبشرين بالملئكة **لا تفضحون** بفضيحة ضيفى لان من اسئ الى ضيفه او جاره فقد اسئ اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم **ولا تخزون** ولا تذلونى باذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان او ولا تشوروا بى من الخزاية وهى الحياء **عن العالمين** عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط **هؤلاء بناتى** اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتى فانكحوهن وخلوا بنىّ فلا تتعرضوا لهم **ان كنتم فاعلين** شك فى قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم

لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال

تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم **لعمرك** على ارادة القول اي قالت الملئكة للوط عليه السلم **لعمرك انهم لفي سكرتهم** اي غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات **يعمهون** يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحيوته وما اقسم بحيوة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف به وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وسكراتهم **فاخذتهم الصيحة** صيحة جبرئيل **مشرقين** داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس **من سجيل** قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب **للمتوسمين** المتوسمين للنظار المتفرسين في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها لقرى قوم لوط **وانها** وان هذه القرى يعني آثارها **لبسبيل مقيم** ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين **اصحاب الايكة** قوم شعيب **وانهما** يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلم كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما **لبامام مبين** لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به **اصحاب الحجر** ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام **المرسلين** يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى خلفها **امنين** لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها او من نقب اللصوص ومن الاعداء او حوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه **ما كانوا يكسبون** من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد **الا بالحق** الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال **وان الساعة لآتية** وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك **فاصفح** فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا **ان ربك هو الخلاق** الذي خلقك وخلقهم وهو **العليم** بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم ويحكم

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين

سورة الحجر

بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم تفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع و**المثاني** من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما يكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى **ومن** اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها **فان قلت** كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه **قلت** اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له **الى ما متعنا به ازواجا منهم** اصنافا من الكفار **فان قلت** كيف وصل هذا بما قبله **قلت** يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمد عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن ومنه حديث ابي بكر رضي من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله تعالى لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام فينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء **وقل اني انا النذير المبين** انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم **فان قلت** بم تعلق قوله كما انزلنا **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن

فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي فيجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير وبان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله قل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام المواسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة شعر وليس دين الله بالمعضي وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر من الشرائع فحذف الجار كقوله شعر امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول الله امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون

بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود تكفك وتكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم سورة النحل مائة وعشرون وثمان آيات مكية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم أتى أمر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملئكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملئكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا الناس بان الامر كذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى انه يقول اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا تعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون

خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه
شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون

بالياء والتاء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح
للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من منيّ جمادا لا حسّ به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني
فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان
بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابيّ بن خلف الجمحي حين
جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد
رمّ الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله
والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم
اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم
ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء
حركتها على الفاء ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها
تأكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس
في معايشهم واما الاكل من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه
ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر والحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون باكراء ابلها
وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها منّ الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لانه من اغراض
اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روّحوها بالعشيّ وسرّحوها بالغداة
فزيّنت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرّحت اربابها
واجلّتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة
يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة
اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ
عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وقرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في
معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق
الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما
معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت
معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انكم
لم تكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله تحمل اثقالكم وهلا قيل
لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه
بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه
بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرءوف رحيم حيث رحمكم

بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء
للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل
بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب زينة قلت لانه مفعول له وهو معطوف
على محل لتركبوها فان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان
الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو
اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا من ها اي خلقها لتركبوها وهي زينة وجمال
ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمنّ علينا
بذكره كما منّ بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم
لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما
خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف
اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله
قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت
لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز
ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله
ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم
اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية
اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات
في الارض وقرئ ننبت بالياء والنون فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون
الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه
وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبّت بالتشديد وقرأ ابيّ بن كعب ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات
او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار
ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال
كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر
بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات
بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم
مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجمع الآية وذكر العقل

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ

لأن الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة **وما ذرأ لكم** معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر **لحما طريا** هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه **فان قلت** فما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله سماه لحما كما ترى **قلت** مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث **حلية** هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم **مواخر** شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة **ان تميد بكم** كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت **وانهارا** وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا **وعلامات** هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن فقوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم **قلت** كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا **فان قلت** من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم **قلت** فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا **فان قلت** هو الزام للذين عبدوا الاصنام وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق **قلت** حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق **لا تحصوها** لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ

سورة النحل

ما لا ينحصر ولا ينعد **ان الله لغفور رحيم** حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها **ما تسرون وما تعلنون** من اعمالكم وهو وعيد **والذين تدعون** والآلهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين فان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم **اموات** جمادات لا حياة فيها **غير احياء** يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك اعرق في موتها **وما يشعرون ايان يبعثون** اي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم **اموات** اي لا بد لهم من الموت **غير احياء** غير باقية حياتهم **وما يشعرون** لا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة **الهكم اله واحد** يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان يكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية **وهم مستكبرون** عنها وعن الاقرار بها **لا جرم** حقا **ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم** فيجازيهم وهو وعيد **انه لا يحب المستكبرين** يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه **ماذا** منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع **فان قلت** هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير **قلت** هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله قالوا احاديث الاولين واباطيلهم **ليحملوا اوزارهم** اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله فحملوا اوزار اضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر **بغير علم** حال من المفعول اي يضلون

الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفيهم الملئكة ظالمى انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات

من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال احمال الوزر ممن اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل **القواعد** اساطين البناء التى تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره **من القواعد** من جهة القواعد **من حيث لا يشعرون** من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين **ثم يخزيهم** يذلهم بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الاخرة **شركائى** على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم على طريق الاستهزاء بهم **تشاقون فيهم** تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله **قال الذين اوتوا العلم** هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملئكة قرئ يتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء فى التاء **فالقوا السلم** فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا **ما كنا نعمل من سوء** وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم **ان الله عليم بما كنتم تعملون** فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك **فادخلوا ابواب جهنم خيرا** انزل خيرا **فان قلت** لم نصب هذا ورفع الاول **قلت** فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ وروى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله **للذين احسنوا** وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه **حسنة** مكافاة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الاخرة ما هو خير منها القول فاثابهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة **ولنعم دار المتقين** دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و**جنات عدن** خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح **طيبين** طاهرين من

جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفيهم الملئكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتى امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ

من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم **يقولون سلام عليكم** قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك وقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة **تاتيهم الملئكة** قرئ بالتاء والياء يعنى ان تاتيهم لقبض الارواح **او امر ربك** العذاب المستأصل او القيمة **كذلك** اى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب **فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله** بتدميرهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير **سيئات ما عملوا** جزاء سيئات اعمالهم وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرها ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا **لو شاء** لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه **كذلك فعل الذين من قبلهم** اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم **فهل على الرسل** الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت **فمنهم من هدى الله** اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف **ومنهم من حقت عليه الضلالة** اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتى منه خير **فسيروا فانظروا** ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدى من يضل اى لا يلطف بمن يخذله لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اى لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله **وما لهم من ناصرين** دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة ابى فان الله لا هادى لمن يضل ولمن اضل وهى معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقيل يضل بالفتح وقراءة النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغية **واقسموا بالله** معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدون توركهم ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين عليه **بلى** اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم **وعدا** مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة **ليبين لهم** متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّا

الحق **وليعلم الذين كفروا** انهم كذبوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله
من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثنا ليبين لهم ما اختلفوا
فيه وانهم كانوا على الضلال قبله مفترين على الله الكذب **قولنا** مبتدأ **ان نقول** خبره **كن فيكون**
من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث
فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مراد الا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته
غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم
والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق
المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول **والذين هاجروا** هم رسول الله واصحابه ظلمهم
اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من
هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم
فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم
لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له ربح البيع يا
صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق
الله نارا لاطاعه فكيف **في الله** في حقه ولوجهه **حسنة** صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة
وفي قراءة علي رضي لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي
الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل الشرق والغرب وعن عمر رض انه
كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر
لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آووهم اهلها ونصروهم **لو كانوا يعلمون**
الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم و
يجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم **الذين صبروا**
على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في
سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا**
يوحى اليهم على ألسنة الملائكة **فسئلوا اهل الذكر** وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم
السالفة الا بشرا **فان قلت** بم تعلق قوله بالبينات **قلت** له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما
ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما
ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين
بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول
على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت

سَ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة و
اهل الذكر اهل الكتاب وقيل الكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين **ما نزل اليهم** يعني ما نزل
الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا **ولعلهم يتفكرون** وارادة ان يصغوا الى
تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا **مكروا السيئات** وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم **في تقلبهم** متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم **على تخوف** متخوفين وهو ان يهلك
قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون
وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير شعر تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
وعن عمر رض انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس
عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم **فان ربكم لرءوف**
رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم وقرئ **اولم تروا** وتتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق
الله وهو مبهم بيانه **من شيء يتفيؤا ظلاله** واليمين بمعنى الايمان **وسجدا** حال من الظلال **وهم**
داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه بمعنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور
من اوصاف العقلاء ولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها
ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله
لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام
في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع **من دابة** يجوز ان يكون بيانا
لما في السموات ولما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في
الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح ويجوز ان
يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملئكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم **فان قلت** سجود
المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد **قلت** المراد بسجود
المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما
معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد **فان قلت** فهلا جيء بمن دون ما
تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم **قلت** لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا
للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم **يخافون** يجوز ان يكون حالا من الضمير
في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم
يستكبر عن عبادته **من فوقهم** ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان
علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون
وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا
مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون

راهبون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخوف والرجاء **فإن قلت** إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى إلهين اثنين **قلت** الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعني به منهما والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية **فإياي فارهبون** نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله فإياه فارهبوا ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم **الدين** الطاعة **واصبا** حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب **وما بكم من نعمة** وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله **فإليه تجأرون** فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى **شعر** يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ **تجرون** بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة **كاشف الضر** على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة **فإن قلت** فما معنى قوله **إذا فريق منكم بربهم يشركون** قلت يجوز أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد **ليكفروا بما آتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة **فتمتعوا فسوف تعلمون** تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيمتعوا من الأمر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الأمر **لما لا يعلمون** أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم إذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم **لتسألن** وعيد **عما كنتم تفترون** من الإفك في زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أو تعجب من قولهم **ولهم ما يشتهون** يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على أن يكون معطوفا على البنات أي وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور **ظل** بمعنى صار كما

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة
مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم
إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب
أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم

يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ويجوز أن يجيء ظل لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل
نهاره مغتمًا مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس **وهو كظيم** مملوء حنقًا على المرأة **يتوارى**
من القوم يستخفي منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر **أيمسكه**
ما بشر به **على هون** على هوان وذل **أم يدسه في التراب** أم يئده وقرئ أيمسكها على هون
أم يدسها على التأنيث وقرئ على هوان **ألا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون الولد الذي
هذا محله لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف **مثل السوء** صفة السوء وهي
الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق وإقرارهم على أنفسهم
بالشح البالغ **ولله المثل الأعلى** وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد
الكريم **بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم **ما ترك عليها** على الأرض **من دابة** قط بل أهلكها كلها بشؤم ظلم الظالم
وعن أبي هريرة رضه أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بلى والله حتى إن الحبارى لتموت في
وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وعن ابن
عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء **ويجعلون لله ما**
يكرهون لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم
يجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها **وتصف ألسنتهم** مع ذلك **أن لهم الحسنى** عند الله كقوله
ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة إذا
قال الله تعالى هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا
قال هاتوا ما دفع إلي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية
وعن مجاهد أن لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وأن لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب
صفة للألسنة **مفرطون** قرئ بفتح الراء وكسرها مخففًا ومشددًا فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى
النار ومعجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته في طلب الماء إذا قدمته وقيل منسيون متروكون من
أفرطت فلانا خلفي إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط في المعاصي والمشدد من التفريط
في الطاعات وما يلزمهم **فهو وليهم اليوم** حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم
فيها أو هو وليهم في الدنيا وجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين أو يجعل فهو
وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيًا
للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي هؤلاء لأنهم
منهم ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي فهو ولي أمثالهم اليوم **وهدى ورحمة** معطوفان على محل لتبين
إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخل اللام على التبيين لأنه فعل المخاطب
لا فعل المنزل وإنما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل **والذي** اختلفوا فيه البعث لأنه كان فيهم
من يؤمن به ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار **لقوم يسمعون** سماع

وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من
الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف

انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانما اصم لا يسمع ذكر سيبويه **الانعام** في باب ما لا ينصرف
في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما
في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون
تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله
شعر في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى
الجمع وقرئ **نسقيكم** بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم **من بين فرث**
ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله
لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف
فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على
هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان
الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من
العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم **سائغا** سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط
وقرئ سيّغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهيّن ولين **فان قلت** اي فرق بين من الاولى والثانية
قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء
الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته
من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا
ترى انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن
بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية
فانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا **فان**
قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب **قلت** بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل و
الاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف
عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز
ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله **شعر** بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر **فان**
قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا **قلت** الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع
في قوله تعالى او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا
نحو رشد رشدا ورشدا قال **شعر** وجاؤنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه
احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة
وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو

حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب
وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذ
منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال
تناولته الدعارة فيستحي في المروة وقيل السكر الطعم وانشد **شعر** جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت
باعراضهم وقيل هو من الخمر فانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها **والرزق الحسن** الخل والرب
والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق
حسن **الايحاء** الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى
الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة
شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب
الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتأنيثه على المعنى **ان اتخذي** هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى
القول وقرئ **بيوتا** بكسر الباء لاجل الياء **ويعرشون** بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل
ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس
فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال
وفي الشجر **قلت** اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان
منها **من كل الثمرات** احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل
ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها **فاسلكي سبل ربك** اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل
او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك
ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر
الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك **ذللا** جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة
شراب يريد العسل لانه مما يشرب **مختلف الوانه** منه ابيض واصفر واحمر واسود **فيه شفاء للناس**
لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء
فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه
او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي
يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن
مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل

وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ
فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

ومن بدع التأويلات الرافضية أن المراد بالنحل علي عليه السلام وقومه وعن بعضهم أنه قال عند المهدي إنما النحل
بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك
المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم **إلى أرذل العمر** إلى أخسه وأحقره وهو خمس
وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لأنه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم **لكيلا يعلم
بعد علم شيئا** ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وأن يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه
فلا يعلمه إن سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه
أي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم فكان ينبغي
أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن أبي ذر رضي الله عنه
أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما
تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت **أفبنعمة
الله يجحدون** فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال
لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك
لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم
جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وإنما
ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء **من أنفسكم** من جنسكم وقيل هو خلق
حواء من ضلع آدم **والحفدة** جمع حافد وهو الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول
القانت وإليك نسعى ونحفد وقال **شعر** حفد الولائد بينهن وأسلمت ٭ بأكفهن أزمة
الأجمال ٭ واختلف فيهم فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد وقيل أولاد المرأة من
الزوج الأول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة أي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن
يراد بالحفدة البنون أنفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كأنه قيل وجعل لكم منهن أولادا هم
بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين **من الطيبات** يريد بعضها لأن كل الطيبات
في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها **أفبالباطل يؤمنون** وهو ما يعتقدون من منفعة
الأصنام وبركتها وشفاعتها وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس لهم إيمان إلا به
كأنه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون
بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم
البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم **الرزق** يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإذا
أردت المصدر نصبت به شيئا كقوله أو إطعام مسكينا على لا يملك شيئا وإن أردت المرزوق
كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز أن يكون تأكيدا للا يملك أي لا يملك شيئا من الملك **ومن**

فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والأرض وما

من السموات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا أو صفة إن كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لأنه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز أن يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فإن قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما إلا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلا لأنهم موات إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد ويراد أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم فلا تضربوا لله الأمثال تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة إن الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لأن العقاب على مقدار الإثم وأنتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم إليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فإن قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعا لأنهما من عباد الله وأما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه لا يصح له فإن قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع أن تكون موصولة فإن قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الأحرار والعبيد الأبكم الذي ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه أي ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله أينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع وفي قراءة ابن مسعود أينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم أينما أوجه ألق سعدا وقرئ أينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والأرض أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم إلا كلمح البصر أو هو أقرب أي هو عند الله وإن تراخى كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه إن الله على

والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات
في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا

كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما
بعده قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فاهراق وشذت
زيادتها في الواحد قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال معناه غير
عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد
كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها
كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى قرئ الم يروا بالتاء والياء مسخرات
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من
الارض في سمت العلو والسكاك ابعد واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن و
وقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها و
السكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتا هي القباب
والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض و
النقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون
وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا
على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم
او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات
اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل
هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية
من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على
البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره
لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة
اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر
وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم
ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها
من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد
انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا لنيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون

ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم
ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم
لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب

بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان
حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق
والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان
لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم
لان الآخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء
عليهم السلام بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة
انتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك
اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم الآية ان ارادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها شركاء وان
ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم
قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم
لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم
لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشرك وان اريد
بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون
من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار في
الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين
كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة
فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده
الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا عليهم من انفسهم
يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على قومك تبيانا
بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن فان قلت كيف كان
القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة
على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله
ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء
بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق القياس
والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا
لكل شيء العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم
والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب

إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّٰهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علّمه الفرائض فقال والله لا أزيد فيها ولا أنقص أفلح إن صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي أن يترك ما يجبر كثير التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه أقيمت هذه الآية مقامها ولعمري إنها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنّها غضبا ونكالا وأجرا لإجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون وأوفوا بعهد الله هي البيعة لرسول الله على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ولا تنقضوا أيمان البيعة بعد توكيدها أي بعد توثيقها باسم الله وأكّد ووكّد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته أنكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا أحد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا بينكم أي مفسدة ودغلا أن تكون أمة يعني قريش هي أربى من أمة هي أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين إنما يبلوكم الله به الضمير لقوله أن تكون أمة لأنه في معنى المصدر أي إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن الحكمة اقتضت أن يضل من يشاء وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان يعني أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسألن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسألون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين وبصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللّٰهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّٰهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله عليه السلام فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش تعدهم ويمنونهم إن رجعوا إن ما عند الله من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة خير لكم ما عندكم من أغراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا على أذى المشركين ومشاق الإسلام فإن قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة فإن قلت من متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حياة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فلا مقال فيه وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله عز وجل وأما الفاجر فأمره على العكس إن كان معسرا فلا إشكال في أمره وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله إيذانا بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك إذا أكلت فسم الله فإن قلت لم عبّر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل قلت لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته إنما سلطانه على من يتولاه ويطيعه والذين هم به مشركون الضمير يرجع إلى ربهم ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون إن محمدا يسخر من أصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم

افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاهون والاشق بالاشق لا الهون المتقدم
فان قلت هل في تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة
والاجماع والقياس قلت فيه ان القرآن ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة
المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه به كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة
غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على
حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ
بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل صلوات الله عليه
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم و
قرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ
من حكمة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة
حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل الا
ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا
لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش
وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر و
يسار كانا يصنعان السيوف بمكة يقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله اذا مر وقف
عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان
الفارسي واللسان اللغة ويقال لحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن
الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله و
الحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين و
المعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن
لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة رد لقولهم وابطال لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح
الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي
هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقوله
ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى
نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون
لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من
اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق
افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه اولئك اشارة الى

ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان

قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي
اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او
اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او
اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله
على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب
من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ولكن من شرح
بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدأ
الذي هو اولئك على تقدير ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون
على تقدير واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون
من كفر بالله شرطا مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم
غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا
فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو
معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا
فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من
اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما
ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه
الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر
مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان
قلت اي الامرين افضل فعل عمار او فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك
التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال
للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه
فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية
الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار
واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ

كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها وكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير شعر غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله شعر ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير شعر ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس وعلى تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه

لِيَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ

مقامه وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام او تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتكم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقاب عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله شعر ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم صلوات الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه

ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة الله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسأل الرشيد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله الحنيف المائل الى ملة الاسلام غير زائل عنه ونفي عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابرهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملئكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتبيه اختصه واصطفاه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه ان الله يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير

يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة **وجادلهم بالتي هي احسن** بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف **ان ربك هو اعلم** بهم من كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمي الفعل الاول باسم الثاني بالمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر نصبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام **واصبر** انت فعزم عليه بالصبر **وما صبرك الا بالله** اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك **ولا تحزن عليهم** اي على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون **ولا تك في ضيق** وقرئ فلا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول **ان الله مع الذين اتقوا** اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي **الذين هم محسنون** اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم النحل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية **سورة بني اسرائيل وهي مائة وعشر آيات**

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف **فان قلت** الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل **قلت** اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا
شكورا وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما
بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا

قراءة عبد الله من الليل أي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الأمر بالقيام في بعض
الليل واختلف في المكان الذي أسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني
جبرئيل بالبراق وقيل أسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته
بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي أنه كان نائما في بيت أم هانئ
بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل
لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال ما لك
قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وإن كذبوني فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره
رسول الله بحديث الإسراء فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم
فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا وارتد ناس ممن كان آمن به
وسعى رجال إلى أبي بكر فقال إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال
إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر إلى ثمة فاستنعتوه
المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب
فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله
الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد
ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا إلا سحر مبين وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج
به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء عليهم
السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة
بسنة وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف أكان في اليقظة أم في المنام فعن
عائشة أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية
إنما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك والمسجد الأقصى
بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا
لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالأنهار
الجارية والأشجار المثمرة وفي قراءة الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم
فقيل أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو وهي طريقة الالتفات
التي هي من طرق البلاغة إنه هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك أن لا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على أي
لا تتخذوا كقولك كتبت إليه أن افعل كذا وكيلا ربا تكلون إليه أموركم ذرية من حملنا

نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا
من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا
أي لا تجعلوهم أربابا كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ومن ذرية من حملوا
مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت
ذرية بكسر الذال وروي عنه أنه قال ذرية وذكرهم إنعامه عليهم في إنجاء آبائهم
من الغرق إنه كان عبدا شكورا قيل كان إذا أكل قال الحمد لله الذي
أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا
اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء أعراني وإذا احتذى قال الحمد لله الذي
حذاني ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية
ولو شاء حبسه وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن
وجده محتاجا آثره به فإن قلت قوله إنه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت
كأنه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لأن نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا
وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم ويجوز أن
يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح صلوات الله عليه
فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص ويجوز أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل
الاستطراد وقضينا إلى بني إسرائيل وأوحينا إليهم وحيا مقضيا مبتوتا أنهم
يفسدون في الأرض لا محالة ويعلون أي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز أن تجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون
لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول و
لتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين أولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا حين أنذرهم
سخط الله والآخرة قتل يحيى بن زكريا صلوات الله عليه وقصد قتل عيسى بن مريم صلوات
الله عليه عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا وأكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب
وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة و
خربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا فإن قلت كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك
ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند
بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
وكقول الداعي وخالف بين كلمهم وأسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد إليهم فتخريب
المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا
وخلل الديار فإن قلت ما وعد أولاهما قلت معناه وعد عقاب أولاهما وكان وعدا مفعولا

ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا
عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا

يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه بمعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي رضوان الله عليه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة

وان

وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين و
الحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما

وان يقطع الله يديها فقال النبي عليه السلام اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء او مستعجلا به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ يخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول

وَاِذَا اَرَدْنَا اَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ اَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا

النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اى كل حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التى بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرايع التى لا سبيل لها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر فى ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اى امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقى ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فاثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصانى او فلم يمتثل امرى لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به فى هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوى لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوى لامره مامورا به وكانه يقول كان منى امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطى ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعى اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء فى ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية

في الادلة العقلية

الفسوق ر

يحذف ر

اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ اَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَاَكْبَرُ تَفْضِيلًا لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا وَقَضَى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوا اِلَّا اِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا اِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُمَا اَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا اُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دل عليه حال المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفى الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج وروى ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله انى ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيامر اى سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اى جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعنى عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هى اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشية الله والثانى تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا والآخرة واما المؤمن التقى فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالى اوتى حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتى فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو فى معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فاذا فرق بين القراءتين فى المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائى والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مدحورا مطرودا من رحمة الله سعيها حقها من السعى وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلث شرائط فى كون السعى مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعى فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه نمد هؤلاء وهؤلاء نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصى جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا اى ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه وانظر بعين الاعتبار كيف جعلناهم متفاوتين فى التفضل وفى الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروى ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رض فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على

جائز ر

ايمانه ر

علي

يمن ر

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه
كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وكان الشيطان

النزول على المرقة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما قال ابرهيم صلوات الله عليه لابيه يا ابت
مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا
باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رض نحلني ابو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم
والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض
لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى
الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان تجعل لذله او لذله لهما
جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما
من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان
افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله
بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك
فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم
لهما بشرط الايمان وان يدعو لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار
جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء
انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله
سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رضا الله في رضا
الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار
ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار
لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني
الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال
انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف
وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا
الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا الى رسول الله سوء خلق
امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين
ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت
نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة
واحدة وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول اني لها مطية لا تذعر اذا الركاب
نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتني اكثر الله ربي ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر فقال لا

على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام
فاسرعوا وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب
عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع
منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهلة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل
فتقعد من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا
على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن
جعلته شريكا له وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا ان مفسرة ولا
تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان
تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعضهم ولد معاذ بن
جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا تتقدم
عليه اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل
ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه احدهما
فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما
تاكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا
للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا
مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية
لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا
مثل الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلث منونا وغير منون
الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى
عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته
وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال
الطفولة فهو مأمور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما
اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ
سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في
سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت
من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في
الاستطاعة ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر
والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ
سَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا
يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا

ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلام انه قال اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف
عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب
العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله
الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير
اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتل ابيه وهو في صف
المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم
الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما
ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا
ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر
البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت
منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي
الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا وعن سعيد بن
جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب
الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب
ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى
بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي
يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم
فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو
ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى
ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقرباء رسول الله عليه السلام التبذير تفريق
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها
وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها
مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا
في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف
فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسعد وهو
يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان
الشياطين امثالهم في الشرارة وهو غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان او هم اخوانهم و

اصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان
الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان
وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا
تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض
عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي
فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي
ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد
رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع
الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع
المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع
خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من
ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه
فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسير فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور
وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو
بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده
وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة و
عند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره
السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاه صبي
فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قال ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة
بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول شعر اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة
والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلتا يسلي رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم مما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل
به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان
البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده واما العباد فعليهم ان يقتصدوا ويحمل
انه عز وجل لا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده و
بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدون

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا

خشية الفاقة وهي الإملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الإثم يقال خطئ خطأ كأثم إثما وخطاء وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن أبي رجاء بكسر الخاء غير مهموز. فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله. إلا بالحق إلا بإحدى ثلاث إلا أن تكفر أو تقتل مؤمنا عمدا أو تزني بعد إحصان. مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي يليه ويلينه فإنه توجه المطالبة بدمه فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه. سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه. فلا يسرف الضمير للولي أي ولا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء وقيل الإسراف المثلة وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر وفيه مبالغة ليست في الأمر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الأول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم وفي قراءة أبي فلا تسرفوا ردها على ولا تقتلوا. إنه كان منصورا الضمير إما للولي يعني حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأن الله نصره بمعونة السلطان وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه وإما للمظلوم لأن الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب وإما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف. بالتي هي أحسن بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه عليه وتثميره. إن العهد كان مسؤولا أي مطلوبا يطلب من العاهد أن لا يضيعه ويفي به ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤولا وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها. وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه. ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال والآية نهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم إذا

ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا

مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وأنشد شعر ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا أي التقاذف وقال الكميت شعر ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به. أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد كقوله شعر والعيش بعد أولئك الأيام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء وقلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح. مرحا حال أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد. لن تخرق الأرض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء. ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال. قرئ سيئة وسيئه على إضافة سيئ إلى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة أبي بكر الصديق رض كان شأنه. فإن قلت كيف قال سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة في حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة ومن قرأ سيئا ألا ترى تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر ومؤنث. فإن قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة. ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رض هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله تعالى فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم. أفأصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أردؤها وأدونها للسادات. إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا
تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ

الأولاد وهي خاصته بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملئكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث **ولقد صرفنا في هذا القرآن** يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا ومخففا أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم **وما يزيدهم إلا نفورا** عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا وقرئ كما يقولون بالتاء والياء **وإذن** دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله أولئك الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة **علوا** في معنى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق بذلك وكأنها تنزه الله مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها **فإن قلت** فما تصنع بقوله **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** وهذا التسبيح مفقوه معلوم **قلت** الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السماوات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق **فإن قلت** من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملئكة والثقلان وقد عطفوا على السماوات والأرض فما وجهه **قلت** التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز **إنه كان حليما غفورا** لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم **حجابا مستورا** ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم **أن يفقهوه** كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله **وجعلنا على قلوبهم أكنة** فيه معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال

انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ
وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ

وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا **بما يستمعون به** من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أي هازئين **وإذ يستمعون** نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون **وإذ هم نجوى** وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى **إذ يقول** بدل من إذ هم **مسحورا** سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أي هو بشر مثلكم **ضربوا لك الأمثال** مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع لما **قالوا أإذا كنا عظاما** قيل لهم **كونوا حجارة أو حديدا** فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجددكم الله ويرده إلى حال الحيوة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي من جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على أن يردكم إلى حال الحيوة **أو خلقا مما يكبر في صدوركم** يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة ويعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السماوات والأرض **فسينغضون** فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله **بحمده** حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى أنك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك **وتظنون** وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة **وقل لعبادي** وقل للمؤمنين **يقولوا** للمشركين الكلمة **التي هي أحسن** وألين ولا يخاشنوهم كقوله ولا تجادلوهم إلا بالتي هي أحسن وفسر التي هي أحسن بقوله ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله **إن الشيطان ينزغ بينهم**

وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا

يعنى يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشارة وما ارسلناك عليهم وكيلا اى ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وافرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى احسن ان يقولوا يهديكم الله ويرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة فى انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك فى بعض الاكابر والصناديد يعنى وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود صلوات الله عليه قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبور وهى الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعنى ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله تعالى وايهم بدل من واو يبتغون واى موصولة اى يبتغى من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم نحن مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا فى

وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا

الكتاب فى اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله عز وجل فى الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثنا اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعنى بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته فى اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى العريش مع ابى بكر كان يدعو ويقول اللهم انى اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكانى انظر الى مصارع القوم وهو يومى الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحى الى رسول الله من امر بدر وما ارى فى منامه من مصارعهم وكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق فى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا

كل شجرة نار احرقتها فما انكروا ان تخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على أأسجد له وهو طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمت علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لأحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي آكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت اما ان سمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم من مخائله انه شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره

وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ

في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزز استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت هو كلام وارد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجند من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها فيهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول عليه السلام في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يأمر الله تعالى ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي يجري ويسير لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت

موفورا
من معنى الفعل

فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا
ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم
بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم ولكن الله
وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف
مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف جانب
البر اي يقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات
كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة
ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما
هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر
والبحر عنده سيان يقدر في البر على ما يقدر في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله عز
وجل في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء
يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها
الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك
عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح
ان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم
فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها
تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون و
كذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالنون والياء التبيع المطالب من قوله تعالى فاتباع
بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ شعر كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه
اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا
انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة وهو
اعراضهم حين نجاهم قيل في تكرمة ابن ادم كرمه الله عز وجل بالعقل والنطق والتمييز والخط و
الصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض و
تسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن ادم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق
وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى ولقد كرمنا
بني ادم جعلنا لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير
ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني ادم تفضيلا ان ترفع
عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله جل وعز منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا

يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى
فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا

في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على
الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله عز وجل امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا
اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه صلوات الله عليهم منزلة انبيائه
من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة
ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه
في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان
ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم
انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة
قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى للحلوقهم
واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة
في عداوة الملأ الاعلى كان جبريل صلوات الله عليه غاظهم حين اهلك مدائن قوم
لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء
للمفعول وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب
باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر
كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن
ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين
كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة
الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة
بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى واظهار شرف
الحسن والحسين عليهم السلام وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه
ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه اولئك يقرؤون كتابهم قيل
اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان
اصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكنهم اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما
ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه
من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام
والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس
ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم
حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومعناه ومن كان

وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا

فى الدنيا اعمى فهو فى الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا والاعمى مستعار ممن لا يدرك
المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة اما فى الدنيا فلفقد النظر
واما فى الاخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثانى بمعنى التفضيل
ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن
فكانت الفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق
به شىء فكانت الفه واقعة فى الطرف معرضة للامالة وروى ان ثقيفا قالت
للنبى صلى الله عليه واله وسلم لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو
موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان
تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك
فقل ان الله امرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من
محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول
الله صلوات الله عليه ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول
الله عليه السلم فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه فقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف
اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروى ان
قريشا قالوا له اجعل لنا اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن
بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة
بينها وبين النافية والمعنى قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذى
اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفترى علينا لتتقول علينا
ما لم نقل يعنى ما اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف
من ان يضيف الى الله ما لم ينزله عليه واذا لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا و
خرجت من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك وعصمتنا لقد كدت
تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت
وفى ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات اى لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت
كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب
عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى الاخرة وهو عذاب النار والضعف
يوصف به نحو قوله تعالى فاتهم عذابا ضعفا فى النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك
عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه

وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا
ولا تجد لسنتنا تحويلا اقم الصلوة لدلوك الشمس

وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف
الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة
عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار
والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة فى الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت
وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين
دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم
مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه ان ادنى
مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن
اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهى جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها
الخشية وازدياد التصلب فى دين الله وعن النبى صلى الله عليه واله وسلم انها لما نزلت كان يقول
اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك
بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا
زمانا قليلا فان الله مهلكهم كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو
اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب
وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما هاجر حسدته اليهود
وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهى
بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا
انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر
رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذى الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما
على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس فى دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفى
قراءة ابى لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف
فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل فى خبر كاد واقع موقع الاسم
واما قراءة ابى ففيها الجملة برأسها التى هى اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا
ليستفزونك وقرئ خلافك قال الشاعر عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب
بينهن حصيرا اى بعدهم سنة من قد ارسلنا يعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم
فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة دلوك
الشمس غروبها وقيل زوالها وروى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم اتانى جبريل صلوات
الله عليه لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان
يدلك عينيه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان

إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
إلا خسارا

كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر الغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء وقرآن
الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة
ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل
والنهار تنزل هؤلاء وتصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده
الكثير من المصلين في العادة أو من حقه أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون
وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليستمع الناس القرآن
فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل
فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا في النوم تهجد
نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لأن التهجد
عبادة زائدة فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك
على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم مقاما محمودا
نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى
يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام
الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات
وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الأولون
والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وعن
حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول
لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك
وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قرئ
مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح أدخلني فأدخل مدخل صدق
أي أدخلني القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني
منه عند البعث إخراجا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر
البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل
إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار
وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه
مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه
من أمر ومكان سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام
على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فإن حزب

فان حزب

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم
بمن هو أهدى سبيلا ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا

الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن
ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وآله وسلم استعمل عتاب
بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله وكان شديدا
على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا
ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد
استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وآله وسلم
إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها
قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد
ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم
وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها فشكا البيت
إلى الله فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت
إني سأحدث لك توبة جديدة فأملؤك خدودا سجدا يدفون إليك دفيف النسور
ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية
يوم الفتح قال جبرئيل صلوات الله عليه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذ مخصرتك ثم
ألقها فجعل يأتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان
من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد فرمى
به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد وشكاية البيت
والوحي إليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من زهق نفسه إذا خرج
والحق الإسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل
قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الأوثان أو للتبعيض أي كل شيء
نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه
موقع الشفاء من المرضى وعن النبي عليه السلام من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله
ولا يزداد به الكافرون إلا خسارا أي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله فزادتهم رجسا
إلى رجسهم وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن
عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه
والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة
المستكبرين وإذا مسه الشر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤوسا شديد اليأس
من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام

ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٥

على العين كقولهم راء في رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض **قل كل أحد يعمل على شاكلته** أي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله **فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا** أي أسد مذهبا وطريقة الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي استأثر بعلمه وعن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك وقيل جبرئيل عليه السلام وقيل القرآن و **من أمر ربي** أي من وحيه ومن كلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم **وما أوتيتم** الخطاب عام وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي عليه السلام قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله عز وجل **لنذهبن** جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب **ثم لا تجد لك** بعد الذهاب **به** من تتوكل **علينا** باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا **إلا رحمة من ربك** إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله سبحانه ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب **لا يأتون**

ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون
لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا
وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ٥

جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله **شعر** يقول لا غائب مالي ولا حرم لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق **ولقد صرفنا** رددنا وكررنا **من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه **والكفور** الجحود **فإن قلت** كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيدا **قلت** لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا ولما تبين أن عجز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في أذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك **حتى تفجر** تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف **من الأرض** يعنون أرض مكة **ينبوعا** عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء **كما زعمت** يعنون قول الله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها **قبيلا** كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا **شعر** كنت منه ووالدي بريا **شعر** وإني وقيار بها لغريب أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر نحو لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حالا من الملائكة **من زخرف** من ذهب **في السماء** في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة **ولن نؤمن لرقيك** ولن نؤمن لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضه قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعظم لم يكن إلى تبصرتهم سبيل **قل سبحان ربي** وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه **هل كنت إلا بشرا رسولا** كسائر الرسل مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها على **أن** الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعله والهدى الوحي أي وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله عز وجل البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه

قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا

هو المنكر عند الله لان قضيته حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء عليهم السلم ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملئكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه **مطمئنين** ساكنين في الارض قارين **لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم **فان قلت** هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا **قلت** وجه حسن والمعنى له اجوب **شهيدا بيني وبينكم** على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم **انه كان بعباده** المنذرين والمنذرين **خبيرا** عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال **ومن يهد الله** ومن يوفقه ويلطف به **فهو المهتد** لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه **ومن يضلل** ومن يخذل **فلن تجد لهم اولياء** انصارا **على وجوههم** كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم **عميا وبكما وصما** كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤن ويتكلمون **كلما خبت** كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله **ذلك جزاؤهم** الى قوله **ءانا لمبعوثون خلقا جديدا** فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا **قلت** على قوله اولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها **وجعل لهم اجلا لا ريب فيه** وهو الموت والقيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا

قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل

نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر **رحمة الله** رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها فانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها **قتورا** ضيقا بخيلا **فان قلت** هل يقدر لامسكتم مفعول **قلت** لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا هو بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال اوحى الله جل وعز الى موسى صلوات الله عليه ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت **فسئل بني اسرائيل** فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم صلوات الله عليه ولكن ليطمئن قلبي **فان قلت** بم تعلق اذ جاءهم **قلت** اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم **مسحورا** سحرت فخولط عقلك **لقد علمت** يا فرعون **ما انزل هؤلاء** الايات الا الله عز وجل **بصائر** بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة **فاراد** فرعون ان يستخف موسى صلوات الله عليه وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن

وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل امنوا به اولا تؤمنوا
ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء

طهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه **اسكنوا الارض** التي اراد فرعون ان يستفزكم منها **فاذا جاء وعد الاخرة** يعني قيام الساعة **جئنا بكم لفيفا** جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملئكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين **وما ارسلناك الا** لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس لك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك **وقرانا** منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي فرّقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رض انه قراه مشددا وقال لم ينزل في يومين وثلثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب **على مكث** بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت **ونزلناه تنزيلا** على حسب الحوادث **قل امنوا به او لا تؤمنوا** امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه واله وسلم وانزال الفرقان عليه وهو المراد بالوعد في قوله **ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا** اي يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين **فان قلت** ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا **قلت** يجوز ان يكون تعليلا لقوله امنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله عليه السلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد امن به من هو خير منكم **فان قلت** ما معنى الخرور للذقن **قلت** السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن **فان قلت** حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال **شعر** فخر صريعا لليدين وللفم **قلت** معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص **فان قلت** لم كرر يخرون للاذقان **قلت** لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس رض سمعه ابو جهل يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

في التورية فنزلت **والدعاء** بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى و**او** للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم **فله الاسماء الحسنى** والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونهما احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم **بصلوتك** بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير **والصلوة** افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى لا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك **وابتغ بين** الجهر والمخافتة **سبيلا** وسطا وروي ان ابا بكر رض كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة **ولي من الذل** ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا لاجل مذلة به ليدفعها بموالاته **فان قلت** كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد **قلت** لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق الله قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه واله وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم **ولم يجعل له عوجا** ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه **فان قلت** بم انتصب قيما **قلت** الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل

قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا
فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها
لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا

بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج
فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي
احدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا
يخلو عن ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا
بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى
مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا
شديدا من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه
صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف
والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق
اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا
استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان
قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان
وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما
لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه
واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز
والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج
من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم
فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان
يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر
وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت
الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه
ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته
فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ
باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ
ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن
اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب
يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف
الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم
بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا

بها او تزهيدهم في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل
ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه
وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ولما ذكر من
الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله
كان لم يكن قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم
مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص
رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل
وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل مكانهم بين غضبان
وايلة دون فلسطين كانوا عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب
من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من
الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون
بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا
فضربنا على آذانهم اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة
لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه
فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة
سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير
قليل عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار
عدده فلم يحتج الى ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي مضمن معنى الاستفهام فعلق
عنه لنعلم وهو معلق عنه الضالان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد نعلم اليه وفاعل نعلم مضمون
الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في
ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين
من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله
من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس
ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف
به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد
عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله شعر واضرب
منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت

نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من

ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله تعالى لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين ببرهان ظاهر وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غيره عز وجل مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان قالوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزاور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قاله ذو الرمة

شعر

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس

وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله عز وجل يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة ابدا

وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما

ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق رضوان الله عليه وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد

شعر

بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظر اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك فقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاخرجتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله عز وجل وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر

قيل الفاء في وليتلطف نصف حروف القرآن عدداً

فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في
ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب
فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن
عليهم مسجداً

بما بعثهم والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة
أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفاً من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أن يتخذ أنفاً من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة
وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن أنه كسر الواو
وأسكن الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس
قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على أن حمل النفقة وما يصلح
المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم
من النفقات ومنه قول عائشة رض لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أوثق عليك
نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت
الله ويقول من ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج أتوه فبذلوا
له أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم فإذا انفضوا عنه قال لمن
عنده ما لهذا السفر إلا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن أيها أي أي أهلها
فحذف الأهل كما في قوله واسأل القرية أزكى طعاماً أحل وأطيب وأكثر وأرخص
وليتلطف وليتكلف اللطف والتقية فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن
أو في أمر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحداً يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير
قصد منه إلى الشعور بنا فسمى ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه والضمير في إنهم راجع
إلى الأهل المقدر في أيها يرجموكم يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم
أو يعيدوكم أو يدخلوكم في ملتهم بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها والعود في معنى
الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت أفعل كذا يريدون ابتداء الفعل
ولن تفلحوا إذاً أبداً إن دخلتم في دينهم وكذلك أعثرنا عليهم وكما أنمناهم وبعثناهم
لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم أن وعد الله حق وهو
البعث لأن حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث إذ يتنازعون
متعلق بأعثرنا أي أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة
البعث فكان بعضهم يقول تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهم يقول تبعث الأجساد
ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل
الموت فقالوا حين توفى الله أصحاب الكهف ابنوا عليهم بنياناً أي على باب كهفهم لئلا
يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بالحظيرة قال الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين وملكهم و
كانوا أولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون

بمكانهم وقيل إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف ويتكلمون في
قصتهم وما أظهر الله من الآيات فيهم أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا كيف يخفون
مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنياناً روي أن أهل الإنجيل
عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها وممن
شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا
الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه
فأنطقه الله فقال ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم وقيل
مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب
الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف أهل
مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على
رماد وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم
الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق
وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة
فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم
قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم
وتوفى الله أنفسهم فألقى الملك عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب
فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً ربهم أعلم بهم من كلام
المتنازعين كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما
لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين
في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من أهل الكتاب سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله عنهم فأخر الجواب إلى أن
يوحي الله إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم
من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه أنا من أولئك القليل وروي
أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي عليه السلام فجرى ذكر أصحاب
الكهف فقال السيد وكان يعقوبياً كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطورياً
كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول
المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن لسان جبرئيل صلوات
الله عليه وعن علي رضوان الله عليه هم سبعة نفر أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومشلينيا

قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير **فإن قلت** لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين **قلت** فيه وجهان أن يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له **رجما بالغيب** رميا بالخبر الخفي وإتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب أي يأتون به أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل ظنا بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى إلى قول زهير **شعر** وما هو عنها بالحديث المرجم أي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في تاء التأنيث وثلاثة خبر مبتدأ محذوف أي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم **فإن قلت** فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأوليين **قلت** هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة كقولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه أن الله سبحانه أتبع القولين الأولين قوله رجما بالغيب وأتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم إلا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة أي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل إلا قليل من أهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لأهل الكتاب خاصة أي سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين **فلا تمار فيهم** فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي أحسن **ولا تستفت** ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم **ولا تقولن لشيء** لأجل شيء تعزم عليه **إني فاعل** ذلك الشيء **غدا** أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة **إلا أن يشاء الله** متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون

وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ

فعله وذلك ما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته وهو في موضع الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش **واذكر ربك** أي مشيئة ربك وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال أبو حنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى **واذكر ربك** بالتسبيح والاستغفار **إذا نسيت** كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها و**هذا** إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء عليهم السلام والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله تعالى أو ننسها نأت بخير منها **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين** يريد لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية لكلام أهل الكتاب وقل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاثمائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله بالأخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلاثمائة سنة **تسعا** تسع سنين لأن ما قبله يدل

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا

عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من حوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر **ما لهم** الضمير لاهل السموات والارض **من ولي** من متول لامورهم **ولا يشرك في حكمه** في قضائه **احدا** منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له **واتل ما اوحي اليك** من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل **فلا مبدل لكلمات ربك** اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية **ولن تجد من دونه ملتحدا** ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت **واصبر نفسك** واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب **شعر** فصبرت عارفة لذلك حرة۞ ترسو اذا نفس الجبان تطلع **بالغداة والعشي** دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال **شعر** والزيد زيد المعارك۞ ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء في القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينها اذا اقتحمته ولم تعلق به **فان قلت** اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم **قلت** الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله **شعر** فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له۞ لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم **تريد زينة الحيوة الدنيا** في موضع الحال **من اغفلنا قلبه** من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ

اذا وجدته كذلك او من اجبل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله **واتبع هواه** وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا **فرطا** متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط متقدم للخيل **وقل الحق من ربكم** الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مأمور بان يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم **يغاثوا بماء كالمهل** كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت **يشوي الوجوه** اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه **بئس الشراب** ذلك **وساءت** النار **مرتفقا** متكأ من المرفق وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله **شعر** اني ارقت فبت الليل مرتفقا۞ كان عيني فيها الصاب مذبوح۞ **اولئك** خبر ان و**انا لا نضيع** اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم **فان قلت** ان جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ **قلت** من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم **واضرب لهم مثلا رجلين** اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم

كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك
مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي
لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا

إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد **جنتين من أعناب** بستانين من كروم **وحففناهما بنخل** وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا أطافوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به **وجعلنا بينهما زرعا** جعلنا أرضهما جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها و**الأكل** الثمر وقرئ بضم الكاف **ولم تظلم** ولم تنقص و**آتت** حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ **وفجرنا** على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل **وكان له ثمر** أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء **وأعز نفرا** يعني أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث **يحاوره** يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فما أحار كلمة يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك دونه **فإن قلت** لم أفرد الجنة بعد التثنية **قلت** معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما **وهو ظالم لنفسه** وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله عز وجل وهو أفحش الظلم إخباره عن نفسه بالشك في بيود جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه **ولئن رددت إلى ربي** إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستيهاله وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله إن لي عنده للحسنى **لأوتين مالا وولدا**

فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا
فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها

وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين **منقلبا** مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية **خلقك من تراب** أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في أصله فكان خلقه خلقا له **سواك** عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لأنه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا **لكنا هو الله ربي** أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن إياك لا أقلي أي لكن أنا **وهو** ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها إلا في الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي بن كعب لكن أنا على الأصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي **فإن قلت** هو استدراك لماذا **قلت** لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر **ما شاء الله** يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله فإن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله أعز نفرا والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك **حسبانا** مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق **صعيدا زلقا** أرضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر

ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا

كناية عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا لهم ويقلب كفيه كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان قرئ ولم يكن بالتاء والياء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت ما معنى ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله عز وجل الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان

ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا

كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله عز وجل ويصيبه في الاخرة وقرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اي يذهب بها بان نجعلها هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم في قولهم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء عليهم السلام من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر ولا كبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنه الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان

الساجدين كأنه قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن أمر ربه والفاء للتسبيب أيضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني أنه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم أنه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن أمر ربه خرج عما أمره به ربه من السجود قال [شعر] فواسقا عن قصدها أو صار فاسقا كافرا بسبب ترك أمر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس للظالمين بدلا من الله إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته ما أشهدتهم وقرئ ما أشهدناهم يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض لأعتضد بهم في خلقها ولا خلق أنفسهم أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا أنفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا أي أعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنتَ بالفتح على الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم وقرأ علي رضوان الله عليه متخذا المضلين بالتنوين على الأصل وقرأ الحسن عُضُدا بضمتين وعَضَدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم ورصد ورصد من عضده إذا أعانه وقواه يقول بالياء والنون وإضافة الشركاء إليه على زعمهم توبيخا لهم وأراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا إذا هلك وأوبقه غيره ويجوز أن يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من أودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا أو المعنى موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز أن يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي وجعلنا بينهم أمدا بعيدا تهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان فظنوا فأيقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال [شعر] أزهير هل عن شيبة من مصرف أكثر شيء جدلا أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني أن جدل

ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

الإنسان أكثر من جدل كل شيء ونحوه فإذا هو خصيم مبين أن الأولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا أنواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها وما أنذروا يجوز أن يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا أي وما أنذروه من العقاب أو مصدرية بمعنى وإنذارهم وقرئ هزؤا بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع الضمير مذكرا في قوله أن يفقهوه فأعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم جمع بعد الإفراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كأنه محال منهم لشدة تصميمهم أبدا مدة التكليف كلها وإذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول يعني أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سببا لوجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم حرصا على إسلامهم فقيل وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا والغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلا من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم أشار لهم إليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس وأهلكناهم خبر ويجوز أن يكون تلك القرى نصبا بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم أهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي لهلاكهم أو وقت هلاكهم والموعد وقت أو مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي وقيل هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

سفر وأما الكلام فلان قوله حتى أبلغ مجمع البحرين فإنه مضروبة تستدعي ما هي غاية
له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو أن يكون
المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم المضاف
مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل من لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف
ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى
أبلغ كما تقول لا أبرح المكان و**مجمع البحرين** المكان الذي وعد فيه موسى صلوات الله عليه
لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل أفريقية
ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر عليهما السلام لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ
مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل **أو أمضي حقبا**
أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي أنه لما ظهر موسى صلوات الله عليه على
مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام
فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس
أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله تعالى فأوحى إليه بل أعلم منك عبد
لي عند مجمع البحرين وهو الخضر صلوات الله عليه وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى
عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى صلوات الله عليه وقيل إن
موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك
أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس
إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك
من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا
فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في
البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة
فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه
نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله
لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر
ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر **نسيا حوتهما**
أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع
أن يذكره ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل إن يوشع
حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى

قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا

فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ
يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء **سربا** أمسك الله
جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر
فلما جاوزا الموعد قال لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله نصبا وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان
منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة
الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا
جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة **فإن قلت**
كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه
معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء
وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به حتى خلفا الموعد وسارا
مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى الحوت **قلت** قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب
بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه لما ضري بمشاهدة أمثاله
عند موسى من العجائب واستأنس بأخواته فأعان الإلف على قلة الاهتمام أرأيت بمعنى
أخبرني **فإن قلت** ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني
نسيت الحوت لا متعلق له **قلت** لما طلب موسى صلوات الله عليه الحوت ذكر يوشع ما
رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك
كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي
الصخرة التي دون نهر الزيت وأن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره
إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني
واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب وقيل قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله
في رؤيته تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا
الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب
موسى صلوات الله عليه وليس بذاك **ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا** ذلك
إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء
الخضر عليه السلام وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف
فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف **فارتدا** فرجعا في أدراجهما **قصصا** يقصان
قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين **رحمة من عندنا** هي الوحي و
النبوة **من لدنا** مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب **قال له موسى هل أتبعك**
على أن تعلمن مما علمت رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا رشد أرشد به

قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
قال فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا

في بيي فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس رضي الله عنه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانهما مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم وقرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني من شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحمست وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامروهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى صلوات الله عليه يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال شعر داهية دهياء ادا امرا بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي واخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم صلوات الله عليه هذه اختي

فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا
اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه

اني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعي اياك يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال اقتلت فان قلت لم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعدها بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني اي فلا تكن صاحبي وفلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد اعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولك في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله من السماء فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي شعر في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال آخر شعر يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان شعر ان دهرا

قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام
فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا

يلف شملي جمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ و
طلب ان يطفأ واذا كان النطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء
والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد لما لا يعقل فما بال الارادة قال اذا
قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنواة طيني الا يستطق اللهو حتى ينطق العود
وشكا الي بعبرة وتحمحم ان يك ظني صادقا وهو صادقي و لما سكت عن موسى
الغضب تمرد مارد وعز الابلق وليعضهم يابى على اجفانه اغفاؤه هم اذا القاه
الهموم تمردا ابن الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا فقالتا
اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير
للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة ليرده
الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز
وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل
افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت
السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه
قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل
نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار
الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما اقام
الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت
والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في
شيء فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على
ما قال موسى صلوات الله عليه ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله
مبتدأ واخبر عنه كما يقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة
الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ
به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به لمساكين قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورائهم
برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر
وهو جلندى فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه
ان يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وانما قدم للعناية ولان خوف
الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني

فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه
صبرا ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ٥

مقيم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
وقرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشأن فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء
صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد
الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وعلا اعلمه بحاله واطلعه على سر
امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك
والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا
حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة
الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف
في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن
يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت
كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه
مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت
لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ابوهما صالحا اعتد الله
بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضوان الله عليهما كان بين الغلامين و
بين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه
فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك
لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امري عن اجتهادي ورأيي
وانما فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل
كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له
النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور بامامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا
وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر
اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا

سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وسئل عنه كرم الله وجهه فقال أحب الله فأحبه وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لأنه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره **والسائلون** هم اليهود سألوه على جهة الامتحان وقيل سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في عليكم لأحد الفريقين **من كل شيء** أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه **سببا** طريقا موصلا إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة فأراد بلوغ المغرب **فأتبع سببا** يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق **فأتبع سببا** وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا وقرئ فاتبع وقرئ **حمئة** من حمئت البئر إذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن أبي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عامر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع: فرأى مغيب الشمس عند مآبها ۞ في عين ذي خلب وثأط حرمد ۞ أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجاز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعا **كانوا** كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين وأما من آمن وعمل صالحا ما يقتضيه الإيمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله أن يجازي المثوبة الحسنى أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى أي فله

كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد

الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه **من أمرنا يسرا** أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كأن مجر الرامسات ذيولها ۞ يريد كأن آثار مجر الرامسات **على قوم** قيل هم الزنج و**الستر** الأبنية وعن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض **كذلك** أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره **وقد أحطنا بما لديه** من الجنود والآلات وأسباب الملك **خبرا** تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك أي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر وإحسانه إلى من آمن منهم **بين السدين** بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما وقرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق **من دونهما قوما** هم الترك **لا يكادون يفقهون قولا** لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة **يأجوج ومأجوج** اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ في نبأ أجوج ومأجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم **مفسدون في الأرض** قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه

حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

ولا يابسا إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرط الطول وقصار مفرط القصر وقرئ خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي إليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرئ بالإدغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني أي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين الساكنين على غير الحد أن يظهروه أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا إشارة إلى السد أي هذا السد نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السد دكا أي مدكوكا مبسوطا مستوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني أولياء هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود رضي أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضوان الله عليه أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوا أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة نزلا ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي عليه السلام كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا نقيم لهم ميزانا لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فإن قلت الذين ضل سعيهم في أي محل هو قلت الأفصح أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم حولا تحولا يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الأرض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل أن تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء

[illegible]

رضًا وقبول وقد فسّرنا اللقاء أو فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجهه لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم إني أعمل العمل لله فإذا اطّلع عليه سرّني فقال إن الله لا يقبل ما شورك فيه وروي أنه قال له لك أجران أجر السرّ وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه عليه السلم اتقوا

الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورًا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورًا من

الأرض إلى السماء وعنه عليه السلم من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورًا يتلألأ إلى مكة حشو

وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة يكون فان خرج الدجال في الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال تفسير

ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نورًا يتلألأ من مضجعه إلى البيت

المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ بعون الله تعالى والله أعلم

قد وفّقني الله بإتمام المجلد الأول من الكشاف وأرجو من كرمه العميم وفضله الجسيم أن ينفعني وسائر المؤمنين بمطالعته وإدراك معانيه والعمل بمقتضى ما يفهم من مبانيه بحرمة محمد سيد المرسلين وذريته الطيبين الطاهرين وقد وقع الفراغ من تسويد يوم الثلثا خامس شهر ربيع الثاني من سنة خمس وتسعين بعد الألف

١٠٩٥

هذا مما منّ الله عليّ ووفقني بختامه وإتمامه بيدي الداثرة حين تعلّق إرادتي بمطالعته وملاحظة جواهره من لطيفه العميم أن ينفعني به وسائر إخواني المؤمنين بحرمة محمد سيد المرسلين وعترته المعصومين [illegible]

[illegible]

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب